

الزواج المبكر بين حقائق الإسلام وأساطير الإعلام





الزواج المبكر بين حقائق الإسلام وأساطير الإعلام



دكتور/ محمد سعيد المكاوى

الناشر: منصة أمازون للكتب الرقمية

رقم أمازون: ASIN: B0B924R91P

2022م – 1444 هـ

المؤلف



دكتور/ محمد سعيد المكاوى ، باحث فى قضايا الفكر الإسلامى. ولد عام 1976م بمحافظة المنوفية فى مصر. تخرج من كلية الطب عام 2000م. حصل على الدكتوراة فى طب الأطفال عام 2011م ، ويشغل حاليا منصب أستاذ مساعد طب الأطفال بكلية طب المنوفية. نشرت للمؤلف عدة أبحاث فى المجلات الطبية الدولية ، وعدد من الكتب فى الفكر الإسلامي. يرى المؤلف أن الإسلام في هذه اللحظة الخطيرة يقف على مفترق طرق : فإما أن يسود ويتمدد ، وإما أن ينحدر ويندثر ، وإما أن يتحول إلى دين باهت كالنصرانية التي لا تفعل أكثر من الاستسلام لكل شروط العلمانية. وليس من شأن المسلم أن يتنبأ بالمستقبل ، بل واجبه أن يعمل بأقصى طاقته من أجل دينه ، والكلمة الأخير لله وحده. والمهمة ليست سهلة، فالحرب على الإسلام في غاية الشراسة ، والنظام العالمي الذي يقوده اليهود أقسم أن يقتلع الإسلام من جذوره. دعهم يتآمروا، واعمل في صمت ، ولا تخلد للراحة ، فنصر الله قادم رغم أنف إبليس ، إن لم يكن في الدنيا ، ففي الآخرة. وإن غدا لناظره لقريب.

هذا الكتاب

انتهى عصر الاستعمار السياسي الفج ، وحل محله اليوم استعمار سياسي-ديني خفي. الاستعمار السياسي يسلب من الشعب قراره وثروته ، أما الاستعمار الديني فهو يسلب من الشعب عقيدته وشريعته وعلاقته بربه. والنظام العالمي الخاضع لليهود هو الذي يصوغ لنا اليوم تفاصيل ديننا داخل غرفه المغلقة ، ثم يبعث إلينا بتعليمات وإرشادات واجبة التنفيذ عبر عملائه المحليين من الساسة والإعلاميين ورجال الدين. وقد فرض النظام العالمي على الدول الإسلامية قوانين تعسفية ، حُرمت بموجبها الفتاة من الزواج حتى لو كانت أنثى كاملة الأنوثة، وحُرم بموجبها الشاب من الزواج حتى لو كان أبوه أغنى الأغنياء. وهذا الكتاب يحاول إحياء فريضة الزواج المبكر التي نسيها الجميع، ليس لأن الظروف الاقتصادية لا تسمح بالزواج المبكر ، ولكن لأن وسائل الإعلام برمجت عقول الناس على احتقار زواج الصغار ، واعتباره جريمة من جرائم العصور الوسطى. والكتاب يثبت فكرته من خلال أدلة كثيرة وبراهين جديدة، تحرك بإذن الله المياه الراكدة ، وتعيد النبض إلى معركة تتصور الجبهة العلمانية أنها ربحتها بفعل تطور الزمن. لقد وقع المسلمون في براثن نخب ثقافية ، لا علم لها بأحوال الناس، ولا تعنيها شريعة الله ، ولا يهمها إلا أن ترضي المنظمات الدولية والجهات المانحة ، فكانت النتيجة انتشار الانحلال ، وشيوع الفواحش ، وضياع الدين. ومن هنا جاء هذا الكتاب كصرخة أخيرة قبل فوات الأوان. فلينصت العقلاء ، وليكمل الحمقى نومهم، حتى يأتي وعد الله ، ولن يخلف الله الميعاد.

د. محمد سعيد المكاوي

محتويات الكتاب

مقدمة

ألفت هذا الكتاب كي أساهم في إحياء عادة اجتماعية جميلة كانت سائدة فى مجتمعتنا الإسلامية منذ عهد غير بعيد ، ألا وهي الزواج المبكر. **والزواج المبكر ليس مجرد عادة ، يجوز للناس أن يبقوها أو يغيروها طبقا لأهوائهم. الزواج المبكر فريضة إسلامية ، يثاب فاعلها ، ويأثم تاركها** طبقا لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» متفق عليه.

والكارثة أن تأخير الزواج اليوم ليس مجرد ضرورة أملتها الظروف الاقتصادية الصعبة ، ولكنها صارت واحدة من المسلمات الثقافية التي لا يجروء أحد على التشكيك فيها. أصبحت البنت التي تتزوج في سن صغيرة تصور على أنها ضحية للمجتمع المتخلف وفريسة ، فتك بها أهلها الغارقون في مستنقع الجهل. ويردد الإعلام دائما أن البنت يجب أن تعيش طفولتها ، غير مثقلة بأعباء الزوجية ومسئوليات الأمومة. **لقد تحول سن الزواج من مسألة اقتصادية بحتة إلى مسألة سياسية، فحتى لو كان الشاب غنيا فلن يسمح له القانون أن يتزوج إن كان سنه صغيرا أو سن الفتاة التي يبغي الزواج منها صغيرا.**

ومن كان لديه قليل من البصيرة فلا بد أن يشك فيما يردده الإعلام بعد أن تبين للكافة أن نجومه ما كان لهم أن يصلوا لمكانتهم لولا أنهم علمانيون وملحدون وزناة وشواذ وسكارى ومنافقون. ومع ذلك فالشك وحده لا يكفي ، ولا بد من حجة نرد بها على هؤلاء الشياطين الذين يوحون للناس زخرف القول غرورا.

وأهمية هذا الكتاب تكمن في أمرين: أولا أن تأخير سن الزواج جر على مجتمعاتنا كوارث فادحة. ثانيا أن الإسلام يتعرض اليوم لهجوم كاسح بسبب قبوله للزواج المبكر ، مما دفع بعض الشباب الأهوج إلى الإلحاد.

وأصارحكم القول بأن الشيطان وسوس لي كثيرا ، قائلا: «ما فائدة هذا الكتاب؟ لن يهتم به أحد. إنه يسبح ضد التيار ، ولن يضحي أحد بمستقبل ابنته ويزوجها مبكرا من أجل كتاب قرأه. ولن

يسمع رجال الدولة أو نواب البرلمان عن هذا الكتاب ، وإن سمعوا فلن يغيروا قوانينهم من أجل كتاب قرأه بضع مئات».

ولكن لم يعصمني من الشيطان إلا يقيني بأن **من سكت عن جريمة فهو شريك فيها. فلا خير فينا إن لم نأمر بالمعروف ، وننه عن المنكر**. ولن يحمينا من عذاب الله حين يأتي إلا موعظة وعظنا بها الناس. **ومن استسلم للقنوط ، ظنا منه أن الناس قد هلكوا وانتهى الأمر ، فليستعد لعقاب الله** كما حدث مع أولئك القوم الصالحين من بني إسرائيل الذين أنكروا على العصاة معصيتهم، لكنهم تركوهم دون موعظة ، فلما نزل عذاب الله طال العصاة ومن توانوا عن موعظتهم، ولم ينج إلا الذين كانوا ينهون الناس عن السوء: {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (164) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [الأعراف: 164، 165]

نسأل الله تعالى السداد والرشاد والإخلاص ، ونرجو أن يتقبل منا عملنا هذا ، وأن يهدي به الملايين، وأن يجعله لنا شفيعا ، وحجابا عن النار. والله تعالى ولي التوفيق.

د. محمد سعيد المكاوي

8 أغسطس 2022– 10 محرم 1444هـ

mekkawy55@gmail.com

الباب الأول: الزواج المبكر.. لماذا؟

١-إما الزواج المبكر وإما الزنا

مَنْ كَره الزنا أَحب الزواج المبكر ، ومَن أحب الزنا كَره الزواج المبكر. هذا هو المنطق البسيط الذى لا يجوز الاختلاف عليه. **ومشكلة الداعين إلى تأخير سن الزواج أنـهم لا يشعرون أن الزنا جريمة.** إنهم **يتجنبون كلمة "الزنا" سيئة السمعة** ، فلا يقولون: "فلان زنى بفلانة"، وإنما يقولون: "فلان على علاقة بفلانة" ، أو "فلان يحب فلانة"، أو "فلان يصاحب فلانة". فكأنهم يتعمدون تبييض الوجه القبيح لما حرم الله.

إن سن المراهقة يمثل فترة حرجة جدا. إنه السن الذى يبدأ فيه الشعور بميل جارف نحو الجنس الآخر، وتتولد لدى المرء غريزة جديدة تتطلب الإشباع كغريزة الطعام والشراب. والسبيل المشروع لإشباع هذه الغريزة طبقا للشريعة الإسلامية هو الزواج ، لكن العالم الذي يقال أنه متحضر له رأى آخر: **التعليم أولا ثم الزواج ثانيا.** فإن سألتهم: "**وماذا عن الغريزة الجنسية؟**" لم يكن بوسعهم إلا أن يقولوا باستخفاف: "هؤلاء لا يزالون أطفالا ، كما أن التعليم والعمل أهم من أى شيء آخر".

وهذا الكلام غير واقعي لأن **المراهق ليس طفلا.** كما أن **اعتبار التعليم والعمل أهم من أي شيء آخر يعني ضمنا أن من الممكن التغاضي عن إشباع المراهق لغريزته الجنسية دون زواج من خلال الزنا،** فالزنا لا يتطلب أكثر من ساعة أو ساعتين يلتقى فيهما الشاب بالفتاة كالبهائم ، ثم ينصرف كل منهما لحاله دون أى التزامات على أحدهما تجاه الآخر. فإن أخفقت حبوب منع الحمل، وحبلت الفتاة كان الحل الطبيعى بالنسبة لهما أن يتم التخلص من الجنين بالإجهاض ، أو بإلقاء المولود في ملجأ للأيتام. وإن قلت لهم: "هذه استهانة بنفس بشرية" سكتوا ، ولسان حالهم يقول: "من المستحيل أن نضع أى عراقيل فى طريق مستقبل الفتاة ، وسعيها لتحقيق أحلامها".

ولو عاد بنا الزمن للوراء ، وسلكنا مسلك أجدادنا ، وزوَّجنا الذكور والإناث فى سن صغير، فهل كانت الفواحش ستنتشر كما هى الآن؟ **هل كنا سنشهد عروض الأزياء النسائية الجنونية فى الشوارع والجامعات؟ هل كان الشباب سيتسكعون فى الطرقات** ، ويجلسون على المقاهي، ولا

عمل لهم إلا الاستماع للأغاني الماجنة ، ومشاهدة الأفلام الإباحية؟ هل كنا سنسمع عن ظواهر التحرش بالنساء؟

أذكر أنه فى أحد البرامج كان الضيوف يناقشون قضية قانون رفع الحد الأدنى لسن الزواج فى مصر ، فاتصلت إحدى الأمهات بالبرنامج ، وقالت أنها أم لخمسة أبناء، وان إحدى بناتها عمرها أربعة عشر عاما ، وأنها اكتشفت يوما أنها على علاقة بشاب غريب بعد أن شاهدتهما يجلسان معا فى إحدى الحدائق ، فجن جنونها ، وكادت تقتلها ، وأنها لهذا السبب تؤيد الزواج المبكر للفتيات. كان هذا الاتصال صفعة للحاضرين من أنصار رفع سن الزواج ، فلم تجد إحداهن شيئا تقوله إلا أن وبخت الأم لأنها أنجبت خمسة أبناء ، إذ لو أنجبت اثنين فقط لعرفت كيف تراقبهما. يا له من كلام سخيف! إن الأم بالفعل نجحت في رقابة ابنتها ، ولم تغفل عن علاقتها الآثمة بالشاب رغم كثرة عدد أبنائها ، فاتهامها بالتقصير فى الرقابة على أولادها لا معنى له ، وهو ليس أكثر من افتعال قضية وهمية للتهرب من المشكلة الحقيقية التى طرحتها الأم المتصلة. المشكلة ليست فى كثرة الأولاد ، فلو كان لدى هذه الأم بنت واحدة ، وتمكنت من رقابتها بشكل أفضل ، واستطاعت أن تكتشف مبكرا علاقة لها مع شاب غريب ، فستجد نفسها في نفس الورطة. **ماذا تفعل الأم إن أرادت أن تزوج ابنتها كي تحميها من الانحراف ، بينما القانون يمنعها من الزواج إلا في سن 18 عاما؟ هل تترك ابنتها تزني مع هذا الشاب؟ هل تتشاجر معه ومع أسرته؟ هل تزوج ابنتها عرفيا؟ هل تمنعها من الخروج من البيت؟ هل تقتلها؟ لا مناص من الاعتراف بأن الزواج هو الحل المثالي لمنع انحراف المراهقين.**

إن الزنا ليس بالشىء الهين؛ من زنى ليس كمن ألقى كيسا للقمامة فى الطريق ، أو شتم زميله، أو سخر من صاحبه. الزنا يختلف عن هذه الصغائر. **الزنا من الكبائر ، والكبائر هى أعظم الذنوب فى نظر الإسلام.** ومشكلة كثير من المثقفين هذه الأيام أنهم لا يرون فى الزنا جريمة ، بل إنهم يسخرون ممن يعظ الناس ، ويحذرهم من عاقبته. وتسمع الواحد منهم يقول فى وقاحة: "هل انتهت كل مشاكلنا حتى لم يبق إلا ثوب المرأة لنتحدث عنه؟" وأصبح كثير من علماء الدين يخشون من مجرد النطق بلفظ "الزنا" في أحاديثهم على الفضائيات خوفا من أن يُتهموا بالسطحية والرجعية. بل تطور الأمر إلى ما هو أبعد من ذلك ، حيث سمعنا بطلة أحد أفلام وحيد حامد المشهورة تعترف في الفيلم بأنها أسلمت جسدها لأحد الرجال (بالطبع لم تستخدم كلمة "الزنا")، لكنها لا تعتبر

هذا عيبا لأنها لم تفعل ذلك من أجل المال أو الدعارة ، ولكن من أجل الحب. يا إلهى! ما هذا التطاول على دين الله؟ ألهذا الحد وصل استخفافنا الزنا؟ إن كانت هذه الممثلة تعتقد حقا أن الزنا حلال فهي كافرة. والمؤسف أن مئات غيرها من الفنانين والمثقفين لديهم نفس الفكر ، لكنهم لا يعلنونه صراحة ، ويكتفون بالتهوين الشديد من شأن الزنا ، والنقد اللاذع لكل عالم ، تحدثه نفسه أن يهاجم أهل الفواحش. أي مثقف هذا الذي لا يدري كيف كان الله تعالى قاسيا فى تعامله مع الزناة حين قال: "**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** [النور : 2]؟

انظر ! إن القرآن ينهانا عن الرأفة بالزناة ، بينما مثقفو اليوم يشجعون على الزنا ، ويرفعون من قدر الممثلات والمغنيات اللائي لا عمل لهن إلا تحريض الشباب على الرذيلة. ولعلكم تذكرون تلك الراقصة المشهورة التى ظهرت منذ عدة سنوات في برامج عديدة لتتكلم بكل وقار وجدية عن دراستها للفلسفة. وفجأة قامت جهة ما بتسريب فيديو ، يصور وقائع زناها مع أحد الشخصيات المعروفة ، فاختفت الراقصة لفترة ، ثم عادت من جديد لتطل علينا فى وسائل الإعلام، وكأن شيئا لم يكن! وليس ببعيد تسريب فيديوهات جنسية لمخرج مشهور، فتكلم الناس عنها ، لكن هذا الزانى عاود الظهور فى وسائل الإعلام ، ليتكلم فى السياسة والفن والإبداع. ونسى الجميع ما قيل عن استغلاله لبطلات أفلامه. **وقد بلغت الوقاحة بواحدة من نجمات الصف الأول للسينما المصرية أن صرحت بكل انحطاط لوسائل الإعلام أنها لا تعارض إقامة علاقة جنسية بين شاب وفتاة قبل الزواج. وهذه نقلة نوعية غير مسبوقة** ، فمنذ سنوات قليلة كان الفنانون يدعون الشرف والعفة ، لكن اليوم بلغت الجرأة على ثوابت الدين حدا لا نظير له. **ومن يعتقد من هؤلاء أن الزنا حلال فهو كافر ، وليس له فى الإسلام اسم آخر.** وقد تقدم أتباع الشيطان خطوة أخرى، فلم يكتفوا بتلميع الزناة ، بل حرَّموا فى وسائل إعلامهم كل حديث ينتقد الزنا ، فهم لم يكتفوا بمحاربة شريعة الله ، وتعطيل حد الجلد (والرجم) الذى فرضه الله تعالى عقابا للزانى ، بل قاموا بشيطنة كل من يظهر عدم الرضا عن تلك الفواحش. هذا ما وصل إليه حالنا ، فانتظروا غضبة السماء.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

2-الزواج المبكر فريضة إسلامية

الزواج المبكر يمثل الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فمن البديهي أن يتزوج الإنسان إذا وصل لسن البلوغ ، وراودته الرغبة في الجنس الآخر. **وهذا السن يختلف من شخص لآخر. ولهذا لم يلزم الله تعالى كل الناس بحد أدنى لسن الزواج.**

ومن الغريب أن يتأخر الزواج رغم وجود الرغبة في الجماع. هذا هو الشذوذ بعينه ، **فالفطرة تقول أن من جاع أكل ، ومن ظمأ شرب ، ومن سهر نام. وبالمثل من رغب في الجماع تزوج.** من الفطرة أن يشبع الإنسان غرائزه ، فالغرائز من حيث المبدأ من الله ، لا من الشيطان ، فقد خلق الله تعالى الغرائز والشهوات ، ليس لنقتلها كالرهبان ، ولكن لأن لها وظائف في حياة البشر ، فشهوة الطعام تقوي الجسد ، وشهوة الجماع تؤدي إلى تعمير الأرض ، وشهوة النوم تريح الجسد ، وشهوة النجاح تصنع الحضارة. ويجب أن نقاوم الغرائز فقط إن خرجت عن إطار ضوابط الشريعة.

والإسلام لا يقبل فقط بإشباع الغريزة الجنسية ، بل يحارب من أراد كبتها نهائيا: فقد قال سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ: «رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لاَخْتَصَيْنَا» متفق عليه.

(رد): نهى. (التبتل): ترك الأزواج. (لاختصينا): قطعنا الخصيتين

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الزواج المبكر بمجرد توافر القدرة على تحمل تكاليفه وأعبائه، حيث قال: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**» متفق عليه، واللفظ للبخاري.

(الباءة): النكاح والزواج (وِجَاءٌ): هُوَ رَضُّ الْخُصْيَتَيْنِ – أى ضربهما ودقهما– وَقِيلَ رَضُّ عُرُوقِهِمَا. وَمَنْ يُفْعَلْ بِهِ ذَلِكَ تَنْقَطِعْ شَهْوَتُهُ. ومعنى ذلك أن الصوم يقمع شهوة الجماع[1]

1) " **فتح الباري شرح صحيح البخاري**" (4/ 119). تأليف ابن حجر العسقلاني. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. دار المعرفة - بيروت، 1379ه.

وهذا الحديث الأخير يدل على أن الزواج المبكر واجب وفرض ، وليس مجرد شيء مستحب، وذلك لأن من لم يتزوج ستلح عليه الشهوة ، وقد يقع في الحرام. والحديث يقدم حلا لمن لا يستطيع الزواج ، ألا وهو الصوم ، لكن الصوم حل مؤقت وغير كامل ، ولن يقدر أحد على الصيام كل يوم ، ولهذا فلا مفر من الزواج المبكر.

الزواج حاجة ملحة من حاجات الإنسان الطبيعية. **الزواج ليس ترفا، الزواج ضرورة بدونها يعيش الفرد فى اضطراب ونصَب.** إن من يجرمون الزواج المبكر أغلبهم من الأثرياء ، الذين شبوا في مجتمعات منحلة ، تعتبر الزنا شيئا طبيعيا ، وترى أنه لا يجوز لعلية القوم أن يشعروا بالحرمان من أي شيء بما في ذلك الجنس. ولهذا فالواحد منهم يشبع رغبته في الحرام ، ولا يضيره تأخر الزواج. **وليتهم زنوا وسكتوا ، ولكنهم زنوا ، وأرادوا أن يزني الجميع.** وهل الدعوة لتأخير سن الزواج إلا دعوة للزنا؟

لا تعاملوا المراهقين على أنهم حجارة صماء ، فللإنسان قدرة محدودة على الصبر ، والشاب يتوق للجنس الآخر بمجرد البلوغ ، فإن قلت له: "اصبر ثلاثة أعوام أو أربعة حتى يحين الوقت المناسب للزواج" ، فيمكنه أن يتقبل ذلك ، أما إن قلت له: "اصبر عشرة أعوام أو عشرين" ، فكأنك تقول له: "لا تصبر".

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

3-الزواج سُترة

قديما قال المثل: (الزواج سُتْرَة)[2] **، والسترة هي السِتارة التي تخفي ما وراءها. وقد وُصف الزواج بأنه سترة لأنه يمنع الفضيحة عن البنت والولد.** وهذا المثل واقعي تماما، فالمراهق إن لم يتزوج أظهر من سوء السلوك والفحش أشكالا وألونا. و **هذا المثل لم يعد أحد يسمعه الآن إلا في الأفلام العربية القديمة** لأن الناس صارت تستسيغ العري والتبرج والاختلاط بين الذكور والإناث.

ويبدو أن هذا المثل مشتق من القرآن الكريم الذى قال عن النساء: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} [البقرة: 187]. **والقرآن هنا يصف المرأة بأنها لباس – أى غطاء – للرجل ، ويصف الرجل بأنه غطاء للمرأة. وأحد معاني ذلك أن المرأة تخفي شهوة الرجل ، والرجل يخفي شهوة المرأة.**

منذ حوالي عشرين سنة كنت أمر كل يوم أثناء ذهابي للعمل على أحد البيوت الذي يوجد به أربعة شباب ، كلهم في سن الزواج ، فكان كل منهم يتعمد الوقوف طويلا في الشباك ، وهو يرتدي الملابس الداخلية كي ترى البنات رجولته وعضلاته المفتولة. وكان الجيران والمارة في القرية يتأذون كثيرا من هذا المنظر الفاحش بمقاييس هذه الفترة. فلما تزوج هؤلاء الإخوة تبدل الحال كلية ، فصار من المستحيل أن يطل أحدهم من الشباك بالملابس الداخلية ، أو حتى يقف أمام باب البيت بملابسه الكاملة ليشاهد الغادي والرائح. وكان ذلك لعدة أسباب: أولا **أنهم وجدوا سبيلا لتفريغ شهواتهم عند زوجاتهم. ثانيا صار على كل منهم سيف مسلط من زوجته التي تغار عليه وتحاسبه. كما انصرفت عنهم البنات لأنهم تزوجوا ، ولم يعودوا مطمعا لهن.**

لقد أثبتت لي تلك الواقعة – ووقائع كثيرة مماثلة– الأهمية المطلقة للزواج ، وقدرته الفائقة على نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة. لقد ظل هؤلاء الشباب يؤذون المارة بسلوكهم لأكثر من عشر سنوات، ولم تفلح معهم النصائح ، ولا الانتقادات ، ولا التهديدات ، ولكن أخيرا انتهى الأمر بفعل شيء اسمه "الزواج". **لقد ستر الزواج شهواتهم ، وأخفاها عن الناس. ولولا الزواج لعرف الناس**

---

2) السُتْرة مشتقة من فعل (ستر) بمعنى غطى. والسُتْرة: ما يُسْتَرُ به كائناً ما كان. وكذلك السِتارة، والجمع الستائر. انظر: **"الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"** (2/ 676). تأليف أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين – بيروت. الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م

من سلوكهم الفاحش أنهم مشتاقون للنساء. وهذا معنى قوله تعالى عن النساء: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} [البقرة: 187].

وبالمثل يستر الزواج النساء ، خاصة المراهقات منهن. بدون الزواج تصبح المراهقة مدمنة للوقوف أمام المرآة ، ويتحول وجهها إلى حقل تجارب لكل جديد في عالم التجميل وطرائق الزينة. وتظل طوال اليوم تفكر في الرجال. فإذا مرت على رجل في الطريق ظلت تتساءل: هل أعجبه ثوبي الجديد؟ هل أعجبته مشيتي؟ هل أعجبته طريقة كلامي؟ هل انبهر بي أكثر أم بصاحبتي؟ وتتكرر التساؤلات كلما قابلت الفتاة رجلا آخر. وفي كثير من الأحيان لا يتوقف الأمر عند حد الخواطر، بل تتحول الأفكار إلى واقع ، فتُقدم الفتاة على الكلام مع الرجال ، وقد تصاحبهم ، وليس ببعيد أن تقع في الزنا.

وإن خرجتَ إلى حديقة عامة أو جلستَ على شاطيء النيل ، فلن تجد رجلا متزوجا يجلس مع امرأته ، بل ستجد آلاف المراهقات يجلسن مع أصدقائهن دون علم أهليهن. وكثيرا ما تجلس الفتاة والشاب في أوضاع مخلة بالآداب العامة. وإن فكرت في أن تنصحهما أو تعنفهما صرت أنت المتهم بالتعدي على حرية الآخرين! وفي ظل غياب دور الدولة في محاربة مظاهر الفجور لا بد من دور للآباء. **وأحد الحلول أن تتزوج الفتاة مبكرا ، فالزواج سيخمد شهوتها ، ويشبع رغبتها بانتظام. وستنشغل كذلك بخدمة زوجها وبيتها. وبعد الحمل والولادة ستنسي بشكل شبه كامل عالم الرجال** ، وسيصبح تفكيرها محصورا في أولادها.

إن الغالبية العظمى من مظاهر الانحلال وحوادث الزنا تقع بين المراهقين. ولو سعى المجتمع لتزويج المراهقين مبكرا لطهرنا مجتمعنا من شرور عظيمة. ولا أظن أن أحدا يمكن أن يجادل حول مبدأ (الزواج سُترة) ، فهو مبدأ بديهي. والمشكلة تكمن في أخلاق الناس ، الذين نخر في عقولهم سوس الانحلال، فلم يعد يعنيهم الستر والاحتشام وكل هذه المعاني التي تبدو في نظرهم بالية. نسال الله الستر والرحمة.

والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

٤- انتشار العنوس

العُنوس كلمة تشير إلى بقاء الإنسان دون زواج أكثر من المعتاد. والناس في هذا العصر يسمونها (العنوسة) ، وهي كلمة مستحدثة لم ترد في معاجم اللغة القديمة. يقال عنست الجارية تعنس بالضم عُنوساً وعِناساً، فهي عانِسٌ ، وذلك إذا طال مكثها في منزل أهلها بعد إدراكها حتَّى خرجت من عداد الأبكار. هذا ما لم تتزوَّج ، فإن تزوَّجت مرَّةً فلا يقال عَنَسَتْ. والرجل أيضا "عانس" [3] ، لكن الكلمة تستخدم أكثر مع النساء.

وللعنوس أسباب عديدة ، من أهمها تأخير القوانين الحديثة لسن الزواج ، الذي وصل فى أغلب البلاد إلى ستة عشر أو ثمانية عشر عاما.

الفتاة اليوم لم تعد مهيأة للزواج إلا بعد أن تكون قد شارفت على الانتهاء من التعليم الجامعى أو فى أحسن الأحوال بعد أن تنهى المرحلة الثانوية (أو ما يعادلها). هذا بالنسبة للجميلات ، أما الفتيات الأقل جمالا فقد يتزوجن في سن الثلاثين أو بعد ذلك. وإن افترضنا أن المرأة تصلح للزواج حتى سن أربعين عاما ، فهذا يعنى أن سن الزواج اليوم يتراوح بين 18 و40 عاما، بينما كان منذ عقود قليلة يتراوح بين 12 و40 عاما ، أى أن الفرصة قد ضاقت أمام الفتاة المعاصرة بما يقرب من ست سنوات. وقد انعكس هذا على كثير من الفتيات، اللائي فتك بهن القلق، فصارت الواحدة منهن تشعر أن القطار أوشك أن يفوتها، وأنها مهددة بالبقاء مدى الحياة بلا زواج ، وذلك لأنها قد دخلت من الأساس ميدان الزواج فى سن متأخرة.

فى الماضى لم تكن المرأة تبقى بلا زواج إلا إن كانت قبيحة، أما اليوم فمن الشائع جدا أن ترى فتاة جميلة أو متوسطة الجمال وقد فاتها قطار الزواج لأن الرجال لم يتقدموا إليها إلا بعد أن أتمت تعليمها الجامعي ، فلما أخذت تختار بينهم فوجئت أنها وصلت دون أن تشعر إلى سن الثلاثين، فانصرف عنها الرجال. والحل لهذه المشكلة هو العودة للزواج المبكر الذى يتيح للمرأة فرصة أكبر. الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

[3]) **"الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"** (3/ 953)

5-من أجل استمتاع أكبر بالحياة

تأخر سن الزواج فيه ظلم وعنت لكل من الرجل والمرأة. **لقد كان أجدادنا أكثر سعادة منا** ، فقد كان الرجل والمرأة يتزوجان فى سن صغيرة ، فيستمتعان معا لسنوات طويلة ، أما **اليوم فالزواج يشبه عود الثقاب ، سرعان ما ينطفيء بمجرد أن يشتعل** ، وذلك لأن الزواج الآن يتم فى منتصف العمر ، وليس فى مقتبل العمر كما كان في الماضي ، فما هي إلا سنوات معدودة حتى يزحف الشيب إلى وجوه الزوجين.

وتأخر الزواج يحمل ظلما أكثر للرجل ، وذلك لأن **الرجل إن تزوج امرأة في سن الخامسة والعشرين مثلا فسيجد أن زوجته قد ذهب جمالها ، ووقعت في براثن الشيخوخة بعد 20 عاما من الزواج** (بفرض أن سن اليأس يحدث عند 45 عاما) ، **أما إن تزوج فتاة في سن الخامسة عشرة فسيستمتع معها بفترة أطول ، تبلغ 30 عاما**. وإذا أضفنا إلى ذلك أن رغبة الرجل في الجماع تستمر لسنوات غير قليلة بعد وصول المرأة لسن اليأس ، كما أن رغبة المرأة في الجماع هي من الأصل قليلة بحكم طبيعتها كما يؤكد العلماء[4] ، فهذا يجعل الرجل بحاجة أكبر للإنصاف.

ولاحظوا معي أن الرجل يضطر للتأخر في الزواج لعدة سنوات بعد المرأة لأنه لا بد أن يبحث عن عمل ، ويدخر مالا كي يتزوج به. وقد عوض الله تعالى تأخر الرجل في الزواج بأن جعل قدراته الجنسية تستمر حتى سن أكبر من زوجته ، بحيث يمكنه أن يتزوج من امرأة ثانية بعد فتور رغبة زوجته الأولى. ولكن جاء العصر الحديث فأجبرت القوانين الظالمة المرأة على التأخر في الزواج، **فأصبح الرجل يتزوج بامرأة في منتصف العمر ، وغير بعيدة عن سن اليأس**. وفي نفس الوقت تمت شيطنة تعدد الزوجات ، وتجريمه في بعض البلدان ، **فكتب المجتمع الحديث شهادة وفاة جنسية للرجل بمجرد بلوغ زوجته سن اليأس ، وكأنهم فرضوا عليه أن يُدفن جنسيا معها كما يفعل الهندوس حين يحرقون المرأة بعد وفاة زوجها.**

وهكذا **فتأخير سن الزواج يجعل الحياة المعاصرة أكثر كآبة.**

4) **Roy F. Baumeister, Kathleen R.Catanese, and Kathleen D. Vohs.** Is there a gender difference in strength of sex drive? Theoretical views, conceptual distinctions, and a review of relevant evidence. *Personality and Social Psycheology Review*. 2001; 5 (3): 242-273.

ملحوظة: من حكمة الله تعالى أن جعل سن اليأس يحدث عند المرأة مبكرا حتى يريحها من متاعب الحمل والولادة الجمة. ولو كانت قدرات المرأة الجنسية تستمر حتى 60 أو 70 عاما مثل الرجل لصارت كل امرأة تنجب 15 أو 20 ابنا ، وهذا إرهاق كبير لها. والله تعالى يوزع الآلام كما يوزع الأرزاق.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

6- الزواج المبكر ضروري لزيادة السكان

من أهم الأسباب التي تدفع الغرب للضغط على الدول الإسلامية لتأخير سن الزواج خوفهم من زيادة أعداد المسلمين. إن تأخر سن الزواج يتسبب في تقليل معدل الإنجاب ، فكثير من الفتيات اليوم يتزوجن في سن الثلاثين أو بعدها ، فلا يكون أمامهن إلا 10 أو 15 عاما حتى سن اليأس (سن توقف الحمل) ، لكن في الماضي كانت المرأة تتزوج مثلا في سن الخامسة عشرة ، فيكون أمامها 25 أو 30 عاما قبل الوصول إلى سن اليأس ، فتنجب أطفالا أكثر.

فوائد زيادة السكان

أغرب شيء أن يركع العملاق أمام القزم. وهذا ما حدث في مسألة السكان. فالإعلام يتكلم عن زيادة السكان ، وكأنها كارثة محققة ، تفتك بالشعوب. لكن بقليل من التفكير والعلومات العامة يكتشف المرء أن لزيادة السكان فوائد واضحة كالشمس ، ويشعر الواحد بالذهول من غفلة شعوبنا عنها. إن المسلم حين يتكلم عن زيادة السكان تجده يشعر بالخجل، ويدافع عن كثرة الإنجاب بلين وضعف خوفا من أن يتعرض للسخرية والاتهام بالتخلف. ولكننا سنرى الآن أن من يكرهون الإنجاب هم المتخلفون ، وهم الذين لا يفهمون ما يجري حولهم في العالم. هم بلهاء بلا ريب. ولا أجد وصفا آخر لهم.

أ- الأهمية العسكرية للسكان

حث الله تعالى المسلمين على إعداد القوة لتخويف أعداء الله: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: 60]. واستخدام النكرة (قوة) بدلا من المعرفة (القوة) في قوله تعالى (ما استطعتم من قوة) يفيد العموم ، أي أن على المسلمين إعداد كل نوع من أنواع القوة بلا استثناء. ولا شك أن السكان أحد أشكال هذه القوة. وهذا يجعل التناسل فريضة إسلامية، لا تقل أهمية عن حمل السيف دفاعا عن الدين.

والحديث المشهور (تزوجوا الودود الولود) صحيح بالبداهة ، فقد كان المسلمون في أمَس الحاجة لمزيد من المواليد في ظل حالة الحرب الدائمة مع قريش والقبائل المجاورة. وكان السلاح الأهم في

هذه الحروب هم الأفراد المقاتلون. ألا تذكرون كم كان عدد جيش المسلمين في غزوة بدر؟ كانوا 313 مقاتلا فقط. وكانت أحد أهم أوجه عظمة النصر أن عدد الكفار أكبر بثلاثة أضعاف من عدد المسلمين. وفي فتح مكة جهز المسلمون أكبر جيش عرفته الجزيرة العربية ، بلغ عدده عشرة آلاف مقاتل ، ورغم ذلك كانت مثل هذه الأرقام تافهة بالنسبة لجيوش الفرس والروم الجرارة. ففي معركة اليرموك مثلا حشد الروم 200 ألف مقاتل أو يزيدون ، بينما كان جيش المسلمين يقدر ب 24 أو 46 ألفا [5،6]. وفي موقعه القادسية كان جيش الفرس مكونا من 120 ألف مقاتل إضافة إلى 80 ألفا من الأتباع[7]. وفي معركة اليرموك شاركت النساء في الحرب ، وما كن ليفعلن ذلك لو كان هناك من الرجال ما يكفي[8] : ذكر الطبري "أَنَّ النِّسَاءَ قَاتَلْنَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ فِي جَوْلَةٍ، فَخَرَجَتْ جُوَيْرِيَةُ ابْنَةُ أَبِي سُفْيَانَ فِي جَوْلَةٍ، وَكَانَتْ مَعَ زَوْجِهَا وَأُصِيبَتْ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ".

وبعد اندحار فارس والروم ظلت جيوش المسلمين تفتح البلد تلو الآخر ، في جهاد لا يتوقف.

لقد كان من الصعوبة بمكان أن يخوض المسلمون كل هذه الحروب طوال عشرات السنين دون زيادة الإنجاب. ولاحظوا أيضا أن خروج المسلمين للقتال كان أحيانا يؤدى إلى تعطل النشاط الاقتصادي ، وإصابته بالشلل ، كما حدث في غزوة تبوك حين تكاسل بعض الناس عن الخروج للحرب بسبب انشغالهم بجمع الثمار ، فقد ورد في سيرة ابن هشام أَنَّ «رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالتَّهَيُّؤِ لِغَزْوِ الرُّومِ، وَذَلِكَ فِي زَمَانٍ مِنْ عُسْرَةِ النَّاسِ، وَشِدَّةٍ مِنْ الْحَرِّ، وَجَدْبٍ مِنْ الْبِلَادِ: وَحِينَ طَابَتْ الثِّمَارُ، وَالنَّاسُ يُحِبُّونَ الْمُقَامَ فِي ثِمَارِهِمْ وَظِلَالِهِم»9. ولو كان هناك فائض في الرجال لما تأثر الاقتصاد بتجنيد المقاتلين. ولهذا فحديث (تزوجوا الودود الولود) صحيح عقلا.

وأهمية زيادة السكان لم تكن أهمية تاريخية للجيوش القديمة فقط ، فعلى الرغم من أن الدبابات والصواريخ والطائرات والغواصات اكتسبت حديثا أهمية أكبر ، إلا أن هذه المعدات تحتاج لجنود يشغلونها. ولا تزال الجيوش اليوم بحاجة لمئات الآلاف من الأفراد. والدليل على ذلك أن القوى العظمى مثل أمريكا والصين وروسيا لها جيوش ضخمة العدد. ودولة مثل أمريكا لها قواعد عسكرية

---

5) **فتوح البلدان** (ص: 136) تأليف أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري. دار ومكتبة الهلال- بيروت. 1988 م

6) **تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري**(3/ 402) تأليف محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري. (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي). دار التراث – بيروت. الطبعة الثانية - 1387 هـ

7) **تاريخ الطبري** (3/ 505)

8) **تاريخ الطبري** (3/ 401)

9) **السيرة النبوية لابن هشام** (2/ 516). تأليف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري. تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م]

فى بلاد كثيرة من العالم. ولو لم يكن عدد سكانها كبيرا لما فكرت يوما في السيطرة العسكرية على العالم بهذا الشكل.

واليوم نرى تركيا وإيران تحاولان لعب دور إقليمي كبير (سياسي وعسكرى) في بلاد العالم الإسلامي ، ولهذا بدأتا تشجعان المواطنين على زيادة الإنجاب. ودولة الخلافة الإسلامية التي نتمنى قيامها دولة طموحة ، فغاية أملها ليس أن تعيش كما يعيش الآخرون ، ولكن أن تصبح قوة عالمية عظمى ، فهذا هدف ضروري لحماية الإسلام ونشره في ربوع العالم ، وهو يحتم أن يكون عدد سكانها كبيرا.

ولما انتفض الشعب السوري على بشار الأسد ، **اضطر إلى الاستعانة بجنود حزب الله اللبناني وبالمتطوعين الشيعة من مختلف بلاد العالم ، وذلك بسبب قلة عدد الطائفة العلوية التي ينتمي إليها** الأسد وموت كثير منهم في الحرب. ولو كانت أعداد العلويين كبيرة لاكتفت إيران بإمدادهم بالسلاح والمال فقط دون حاجة لجلب المحاربين لإنقاذهم.

ودولة مثل دولة الكيان الصهيوني يقض مضجعها قلة سكانها مقارنة بمئات الملايين من العرب والمسلمين المحيطين بها. حقا إسرائيل تمتلك القنابل النووية التى يمكنها تدمير عشرات المدن الإسلامية الكبرى إلا أن إسرائيل لا تحتمل إطلاق صواريخ غزة البدائية. ودائما تضطر لوقف إطلاق النار بشكل مُخز رغم أنها تكون قد قتلت من الفلسطينيين أضعاف ما قتل الفلسطينيون من اليهود. **ولو مات 4 مليون مسلم فى حرب نووية بين مصر وإسرائيل مثلا لما تأثرت مصر لأن عدد سكانها 103 مليون ، وعدد القتلى سيتم تعويضه فى عامين ونصف فقط.** أما إن قتل 4 مليون يهودي فستكون كارثة لا تحتمل لأن هذا العدد يمثل أكثر من نصف عدد اليهود في فلسطين البالغ 7 مليون فقط[10].

ومن المعروف أن خسائر الجيوش الغازية تكون أكثر ضخامة في المناطق المكتظة بالسكان.

لقد احتلت إسرائيل سيناء عام 1956 وعام 1967م ، لكنها في المرتين لم تجرؤ على التقدم لاحتلال القاهرة وغيرها من المدن الكبرى ، وذلك لأن سيناء صحراء شبه خالية من السكان ،

10) **Jewish and non-Jewish population of Israel/Palestine (1517 – present).** www.Jewishvirtuallibrary.org

بينما القاهرة مدينة ضخمة ، يسكنها الملايين ، وسيكون اقتحامها فخا لأي جيش محتل مهما بلغت قوته. ولهذا السبب حرصت إسرائيل على الضغط على مصر بعد معاهدة السلام حتى لا تشجع المصريين على استيطان سيناء لأن ازدحامها بالسكان سيجعل إعادة غزو اليهود لها في المستقبل أمرا مستحيلا.

ولما أرادت أمريكا غزو العراق اضطرت لتجييش جيش جرار لأن عدد سكان العراق كبير. ورغم ذلك لم تفلح القوات الأمريكية في البقاء آمنة بعد نجاح غزوتها ، وسرعان ما انسحبت في غضون سنوات قليلة.

وقبيل الحرب الحالية بين روسيا وأوكرانيا ، تذكرنا أهمية كثرة السكان حين كان الروس يفخرون بأنهم حشدوا أكثر من 190 ألف مقاتل على الحدود مع أوكرانيا. وأثناء الحرب كثر الكلام عن الأزمة السكانية (الديمغرافية) في كل من البلدين. فمثلا كتب سامي عمارة في "الإندبندنت عربية" مقالا عنوانه "الإعصار الديمغرافي يعصف بأوكرانيا" ، وكتب في مقدمته: «**انخفاض معدلات المواليد وموجات الهجرة المتزايدة خصوصاً بعد نشوب الحرب الأخيرة يضع البنية الاجتماعية للدولة في عين الخطر**»[11]

ونفس المشكلة السكانية موجودة على الجانب الروسي ، فقد كتب "بابلو أوتشوا" على موقع البي بي سي مقالا عنوانه «**الحرب في أوكرانيا: كيف يمكن أن يؤدي الصراع إلى تفاقم الأزمة السكانية في روسيا؟**»[12] وجاء في ثنايا المقال ما يلي: «من المتفق عليه أن الهجرة الجماعية تضيف ضغوطا على التحديات السكانية التي تعاني منها روسيا منذ فترة طويلة، خاصة أنها تقترن بكون البلاد شهدت معدل وفيات كان من الأعلى في العالم بسبب كوفيد. وتقول فيديريكا كوكو لبي بي سي سي، وهي صحفية في الفاينانشيال تايمز ، وقد كتبت مؤخرا مقالا حول هذا الموضوع :"كانت هناك أزمة ضخمة في منتصف التسعينيات، وهي معروفة باسم أزمة الوفيات السوفييتية، وقد تسببت في خسائر فادحة في الأرواح بسبب إدمان الكحول ومعدلات الانتحار المرتفعة، وذلك بالتزامن مع أزمة اقتصادية هائلة". وتضيف "لا تزال روسيا تعاني من عواقب ذلك لأنه بسبب

---

11) الإعصار الديموغرافي يعصف بأوكرانيا. بقلم سامي عمارة. إندبندنت عربية. 5 مايو 2022. تم الدخول للموقع يوم 2 أغسطس 2022. https://www.independentarabia.com

12) **الحرب في أوكرانيا: كيف يمكن أن يؤدي الصراع إلى تفاقم الأزمة السكانية في روسيا؟** بقلم بابلو أوتشوا. موقع بى بى سي نيوز. 20 أبريل 2022. https://www.bbc.com/arabic/world-61149151 . تم الدخول إلى الموقع 2 أغسطس 2022.

العدد الكبير للوفيات، أصبحت أعداد الرجال والنساء الأصغر سنا، أي في العشرينات والثلاثينيات من العمر أقل الآن في روسيا. علاوة على ذلك، يتم تجنيد العديد منهم، وخاصة الشباب، كما يغادر الكثيرون لتجنب الأزمة الاقتصادية"».

وفي مقال مهم للباحث "**برادلي أ. ثاير**" **Bradley A. Thayer عن العلاقة بين السكان والحروب**[13] **نستطيع أن نفهم لماذا يخاف الغرب من زيادة السكان في العالم الإسلامي** ، حيث يقول المؤلف: «لو نما سكان الولايات المتحدة (منذ عام 1950م) بنفس معدل نمو السكان في باكستان لوصل عدد سكان أمريكا الآن بليون نسمة تقريبا. وطبقا لقسم السكان التابع للأمم المتحدة: بالنسبة للسكان الذين تبلغ أعمارهم 45–60 عاما تتفوق كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة على أفغانستان وباكستان بنسبة 4:1. لكن بالنسبة لعمر 0–14 عاما (أي أولئك الذين سيصلون إلى سن التجنيد في عام 2020 وما بعده) فإن ال 36 مليون فتى في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة يزيد عليهم ال 38 مليون ولد في أفغانستان وباكستان. وأغلب هؤلاء ال 38 مليون فتى من المحتمل أنهم يمثلون الابن الثاني أو الثالث أو الرابع ، الذي لن يعتبر فقده في الصراع كارثيا لأسرته. وهذا على النقيض من الغرب حيث الفتى هو الوحيد وربما الثاني فى الأسرة ، حيث سيكون فقده أكثر أهمية إن لم يكن أقل تراجيدية».

وينتقل المؤلف إلى **الأزمة السكانية التى أضعفت أوربا ، وجعلتها عاجزة عن خوض صراع عسكري**، فيقول: « ليس لدى الدول الأوربية حاليا فائض في السكان كي تضحي بهم في الحرب، وهو ما يساهم في الاستقرار في هذه القارة. وتعمل الدول الأوربية على ابتكار حلول سياسية لعكس ذلك ، إلا أنه لا أحد منها أكثر مباشرة من جهود روسيا. فسكان روسيا البالغ عددهم 142 مليونا ينكمش بأكثر من 700 ألف كل عام ، وقد يصل إلى النصف بحلول عام 2050 وقد سمى الرئيس فلاديمير بوتين ذلك "أكثر المشاكل التي تواجه شعبنا اليوم حدة". ويجب أن يرتكز قلق بوتين جزئيا على حقيقة أن كثيرا من جيران روسيا لديهم أعداد سكان كبيرة ، بما في ذلك الصين التي يتزايد وجودها في أقصى شرق روسيا. ولعكس ذلك قامت حكومة الرئيس ديمتري ميدفيديف بعمل "وسام شرف الوالدين" للنساء اللائي لديهن أطفال كثيرون. وحتى لا يتفوق عليه أحد **قام**

---

13) **Thayer BA.** Considering population and war: a critical and neglected aspect of conflict studies. Philos Trans R Soc Lond B Biol Sci. 2009 Oct 27;364(1532):3081-92.

محافظ أوليانوفيسك بتشجيع الأزواج على ترك العمل وممارسة الجنس بدلا من ذلك ، واعدا أي امرأة تلد يوم 12 يونيو (العيد القومي لروسيا) بأن تكون مؤهلة للحصول على جائزة».

وكلما زادت الأخطار المحدقة ببلد من البلدان زادت حاجته لمزيد من السكان. يقول برادلي ثاير: «**منذ 1982م انخفض معدل الخصوبة في إيران من 6.6 إلى 2.1 ولادة لكل امرأة. وحتى في المناطق الريفية ينخفض السكان. وترتب على ذلك انخفاض القوة التقليدية لإيران**. وإيران تواجه مشكلة حرب لَعِينة متعددة الجبهات. يجب على طهران أن تأخذ في الاعتبار التهديدات الصادرة من واشنطن وتل أبيب وبغداد ودول الخليج والرياض وأنقرة والقوقاز وأفغانستان ودول وسط آسيا وحتى الحلفاء السابقين مثل موسكو... وبالرغم من ذلك من المعقول أن نفترض أن **تباطؤ نمو السكان في إيران يقلق المدافعين عن النظام. وانخفاض سكان إيران يقلل من قدرتهم على ردع الخصوم تقليديا** ، وهو ما يفسر رغبتهم في الحصول على الأسلحة النووية».

وتكلم المؤلف عن فلسطين وإسرائيل فقال أن «**الأراضي الفلسطينية المحتلة حافظت باستمرار على توازن قوة سكاني يتفوق على إسرائيل**. فقد قفز عدد سكان غزة من 240 ألف نسمة عام 1950 إلى مليون ونصف تقريبا عام 2007م. وفي عام 2006م كان عدد الذكور اليهود الأقل من سن 15 عاما يبلغ 540 ألفا مقابل مليون و120 ألف طفل عربي أقل من 15 عاما في غزة والضفة الغربية وإسرائيل (عرب إسرائيل) ». والمؤلف طبعا يقصد أن الذكور في هذا السن الصغير هم الذين يمكن تجنيدهم في المستقبل القريب ، بينما الذكور الأكبر لن يخدموا في الجيش. وهذا عامل مهم جدا في الصراع العسكري.

وتعرض المؤلف للوضع في يوغسلافيا ، فقال أنه عقب تفكك يوغسلافيا ، ونشوب الصراع بين المسلمين والصرب والكروات كان **كل طرف من الأطراف المتنافسة ينظر بقلق بالغ إلى معدلات المواليد لدى الأطراف الأخرى. وفي خضم الصراع فى كوسوفو كان أحد أكبر مصادر القلق لدى الصرب هو معدل المواليد لدى الألبان المسلمين ، والخوف من أن يتحول ميزان القوة الديمغرافي (السكاني) بسرعة ضد الصرب** في هذه المنطقة المهمة تاريخيا.

حقا صدق من قال: (الديمُغرافيا تصنع التاريخ).

ب-الأهمية السياسية للسكان

إن قال لك قائل أن كثرة السكان لا قيمة لها فاعلم أنه لا يفهم في السياسة. أهم الصراعات السياسية في مختلف بلاد العالم تتأثر بشدة بأعداد السكان. الدول الإسلامية يعيش على أرضها أقليات دينية مختلفة. وطبقا للشريعة الإسلامية يجب أن تعيش الأقليات مع الأغلبية المسلمة في سلام كأهل ذمة ، لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا. لكن في السنوات الأخيرة استخدم النظام العالمي الأقليات كسلاح لمحاربة الأغلبية المسلمة في صميم دينها ووجودها.

في السودان دعم النظام العالمي المسيحيين في جنوب السودان ، حتى نجحوا فى تكوين دولة مستقلة في جنوب السودان. ولو كانت أعداد المسلمين أكبر من المسيحيين في جنوب السودان لما تمزق السودان الكبير.

ولو كانت أعداد المسلمين السُّنة في اليمن والعراق وسوريا ولبنان أكبر مما هي عليه الآن لكان من الصعب على الشيعة أن يسيطروا عليها ، ويحولوها إلى دول فاشلة تابعة لإيران.

ولو كانت أعداد السُّنة في السعودية والكويت والبحرين أكبر مما هو عليه الآن لما عاشت هذه الدول في رعب خوفا من تمرد الأقليات الشيعية ، واستقلالها بالمناطق الغنية بالنفط. وفي المقابل تدعم دول الخليج أهل السنة في إيران ضد نظام الحكم الشيعي ، الذي يتمنى هناك لو كان السنة أقل عددا.

وفي مصر يروج الأقباط لأسطورة أن عددهم داخل مصر يزيد على 15 مليون نسمة كما صرح بذلك البابا تواضروس والأنبا باخوميوس. بينما أكد اللواء أبو بكر الجندي رئيس الجهاز المركزي للإحصاء أن عدد المسيحيين طبقا لتعداد عام 1986م يبلغ 5.6% فقط من عدد السكان ، أي أقل من 6 ملايين نسمة بحساب الزيادة حتى الآن[14].

ومحاولة المسيحيين تضخيم أعدادهم هدفه أن يمنعوا تطبيق الشريعة الإسلامية ، ويحولوا دون صبغ مصر بصبغة إسلامية على اعتبار أن من سيضارون من تطبيق الشريعة ليسوا أقلية صغيرة،

---

14) **كم عدد الأقباط في مصر**. بقلم حمدي رزق. صحيفة المصري اليوم. 4 أكتوبر 2017م. تم الدخول إلى الموقع يوم 3 أغسطس 2022م.
https://www.almasryalyoum.com/news/details/1200646

بل أقلية ذات وزن كبير. ومن أشد ما يقلق المسيحيين تناقص أعداد المسيحيين بسبب الهجرة وقلة الإنجاب والتحول للإسلام. وهنا تبرز الأهمية القصوى للإنجاب في إطار تنافس الإسلام والمسيحية على السيادة على مصر.

وفي كتاب قذائف الحق[15] أورد الشيخ الغزالي تقريرا خطيرا عن لقاء سري للبابا شنودة بقيادات المسيحيين وأثريائهم ، وفيه تكلم عن أهمية زيادة أعداد المسيحيين في مصر حتى تتساوى مع المسلمين. يقول التقرير أن البابا شنودة: "صرح لهم أن مصادرهم في إدارة التعبئة والإحصاء أبلغتهم أن عدد المسيحيين في مصر ما يقارب الثمانية مليون (8 مليون نسمة) ، وعلى شعب الكنيسة أن يعلم ذلك جيداً، كما يجب عليه أن ينشر ذلك ويؤكده بين المسلمين، إذ سيكون ذلك سندنا في المطالب التي سنتقدم بها إلى الحكومة التي سنذكرها لكم اليوم". "والتخطيط العام الذي تم الاتفاق عليه بالإجماع، والتي صدرت بشأنه التعليمات الخاصة لتنفيذه، وضع على أساس بلوغ شعب الكنيسة إلى نصف الشعب المصري، بحيث يتساوى عدد شعب الكنيسة مع عدد المسلمين لأول مرة منذ 13 قرنا، أي منذ "الإستعمار العربي والغزو الإسلامي لبلادنا " على حد قوله، والمدة المحددة وفقاً للتخطيط الموضوع للوصول إلى هذه النتيجة المطلوبة تتراوح بين 12 . 15 سنة من الآن". " ولذلك فإن الكنيسة تحرم تحريماً تاماً تحديد النسل أو تنظيمه، وتعد كل من يفعل ذلك خارجاً عن تعليمات الكنيسة، ومطروداً من رحمة الرب، وقاتلاً لشعب الكنيسة، ومضيعاً لمجده، وذلك باستثناء الحالات التي يقرر فيها الطب والكنيسة خطر الحمل أو الولادة على حياة المرأة، وقد اتخذت الكنيسة عدة قرارات لتحقيق الخطة القاضية بزيادة عددهم:

1. تحريم تحديد النسل أو تنظيمه بين شعب الكنيسة.
2. تشجيع تحديد النسل وتنظيمه بين المسلمين (خاصة وأن أكثر من 65 % من الأطباء والقائمين على الخدمات الصحية هم من شعب الكنيسة).
3. تشجيع الإكثار من شعبنا، ووضع حوافز ومساعدات مادية ومعنوية للأسر الفقيرة من شعبنا.

[15]) **قذائف الحق** (ص: 71-72). تأليف محمد الغزالي. دار القلم، دمشق. الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1991 م

4. التنبيه على العاملين بالخدمات الصحية على المستويين الحكومي وغير الحكومي كي يضاعفوا الخدمات الصحية لشعبنا، وبذل العناية والجهد الوافرين ، وذلك من شأنه تقليل الوفيات بين شعبنا (على أن نفعل عكس ذلك مع المسلمين).
5. تشجيع الزواج المبكر وتخفيض تكاليفه، وذلك بتخفيف رسوم فتح الكنائس ورسوم الإكليل بكنائس الأحياء الشعبية.
6. تحرم الكنيسة تحريماً تاماً على أصحاب العمارات والمساكن المسيحيين تأجير أي مسكن أو شقة أو محل تجاري للمسلمين، وتعتبر من يفعل ذلك من الآن فصاعداً مطروداً من رحمة الرب ورعاية الكنيسة، كما يجب العمل بشتى الوسائل على إخراج السكان المسلمين من العمارات والبيوت المملوكة لشعب الكنيسة، وإذا نفذنا هذه السياسة بقدر ما يسعنا الجهد فسنشجع ونسهل الزواج بين شبابنا المسيحي، كما سنصعبه ونضيق فرصه بين شباب المسلمين، مما سيكون أثر فعال في الوصول إلى الهدف، وليس بخافٍ أن الغرض من هذه القرارات هو انخفاض معدل الزيادة بين المسلمين وارتفاع هذا المعدل بين شعبنا المسيحى.

انتهى الاقتباس من كتاب الغزالي. وسواء تغير فكر قيادات الكنيسة بعد وفاة البابا شنودة أم ظل كما هو ، فما يعنينا في هذا الكتاب هو إثبات الأهمية السياسية لزيادة السكان ، خلافا لما يروج له الأفاكون.

وتتجلى أهمية زيادة معدلات الإنجاب في أوربا وغيرها من البلاد الأجنبية. ففي هذه الدول توجد أقليات مسلمة. وكلما زاد حجم هذه الأقليات زاد نفوذها السياسي ، وتعاظم دورها في المجتمع ، وصارت أقدر على نيل حقوقها ، وأكثر أمانا على وجودها وحرية عبادتها. إن من السهل طرد أقلية مسلمة عددها عدة آلاف ، لكن من الصعب جدا طرد أقلية يبلغ عددها عدة ملايين. وفي الانتخابات تبرز أهمية كثرة العدد ، فكلما زاد عدد الأقلية في بلد ما صارت قادرة على انتخاب عدد أكبر من الأعضاء الذين يمثلونها في البرلمانات ، أو دعم مرشحين غير مسلمين يتبنون قضاياها. وعلى ذلك **فدعم الإسلام في أوربا لا يكون فقط بتوزيع الكتب ، ولكن أيضا بإنجاب الأطفال.**

وأوربا الآن تعيش في خوف ليس لأن كل مسلم يحمل في حقيبته قنبلة جاهزة للانفجار ، ولكن لأن المسلمين يتكاثرون سريعا ، بينما الأوربيون يكرهون الإنجاب. ومع الوقت سينقرض السكان الأصليون ، وتصبح أوربا قارة مسلمة. يقول برادلي أ. ثاير عن أوربا: «إن القارة لم تتعرض قط لمثل هذه التغيرات الدرامية كما هي الآن. إن أقلية سكانية (يقصد المسلمين) ذات دين وخصوبة مختلفين بشكل جذري عن الأغلبية السكانية تتسبب في تغير سياسي واقتصادي واجتماعي عميق. وهناك سيناريوهات عديدة محتملة. **ولا زلنا في انتظار معرفة ما إذا كانت أوربا العجوز ستصبح قادرة على دمج سكانها المسلمين وإعادة تأكيد مبادئها السياسية وممارساتها الاقتصادية وعقائدها الثقافية التي كانت موجودة من قبل ، أم سيقوم مسلمو أوربا بدمج الأوربيين الأصليين في نظام الذمة الأوربي–العربي الذي وصفه "بات يور"»**[16].

والأقلية النشطة لا تستطيع فقط أن تنال حقوقها ، بل ستكون قادرة كذلك على خدمة قضايا المسلمين عامة أسوة بالأقلية اليهودية في أمريكا التي تسيطر على الحياة السياسية هناك ، وتسخرها لخدمة أهداف إسرائيل.

يقول الشيخ الغزالي: «إن هذا الدين يتعرض لحرب إبادة فى هذه الأيام من تحالف الصهيونية والاستعمار، فكيف تصدر الأوامر من رؤساء الأديان بتكثير الأتباع، ومباركة النسل، ويفتون هم بالتعقيم والتقليل؟ إننى لا أدرى علة هذا الزيغ؟ أهى قلة العلم أم ليونة الضمير؟»[17]

فاعلم أخي المسلم أن إنجاب الأطفال ليسا شأنا خاصا يدور أمره بينك وبين زوجتك ، ولكنه عمل عام ، يعود بالقوة السياسية على دولتك الإسلامية أو الأقلية المسلمة التي تنتمي إليها.

ج- الأهمية الاقتصادية للسكان

زيادة السكان لا تؤدي بالضرورة إلى الفقر ولا إلى الغني. لكن نقص السكان يعوق النمو الاقتصادى، فالأيدي العاملة ضرورية للمصانع والمزارع والشركات.

---

[16]) **Thayer BA.** Considering population and war: a critical and neglected aspect of conflict studies. Philos Trans R Soc Lond B Biol Sci. 2009 Oct 27;364(1532):3081-92.

17) **قذائف الحق**. صفحة 271.

وكلنا نعرف مقولة أن السودان سلة الغذاء للعالم العربي. ولكنهم هناك لا يستغلون المساحات الشاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة. وهذه المساحات الكبيرة تحتاج بالضرورة لعدد سكان أكبر كي يزرعونها. وهنا تتجلى أهمية السكان اقتصاديا.

والدولة التي تريد أن تحقق معدل نمو اقتصادي مرتفع سيكون عليها أن تشجع الاستثمار ، وإنشاء المشروعات. ولهذا يستحيل على دولة قليلة السكان – مثل الإمارات أو قطر أو الكويت (مع احترامنا لهم كمسلمين)– أن تصبح عملاقا اقتصاديا عالميا كالولايات المتحدة أو الصين لأن أعداد السكان بها لا تكفي لإقامة المشروعات الكثيرة الضخمة التي تنقل الدولة إلى مصاف الدول العظمى.

ونقص السكان في دولة سيجبرها على فتح أبوابها أمام العمالة الوافدة ، فتتغير تركيبتها السكانية، ويصبح الأجانب نسبة كبيرة فيها ، فيهددون الدولة في قلبها. وأوربا الآن مضطرة لاستقبال المهاجرين بسبب نقص المواليد فيها ، فأصبحت لا تنام بسبب كابوس الأجانب الذين كثرت أعدادهم. وبعض الدول العربية الصغيرة يزيد أعداد الأجانب فيها على أعداد السكان الأصليين ، ولولا ذلك ما نعمت هذه الدول بالرفاهية ، لأن أهل البلد الأصليين لن يجدوا من يخدمهم.

إن الدول المتقدمة المتحضرة تعتبر السكان نعمة ، لا نقمة. الدول تتقدم بالعلوم والاختراعات والصناعات المتطورة. أمريكا مثلا تحرص على استقطاب العلماء من مختلف بلاد العالم حتى تظل في الصدراة العلمية. وكلما زاد عدد سكان دولة زاد عدد العلماء والنابغين لديها ، وزادت مساهمة الدولة في الأبحاث العلمية والحضارة العالمية.

د- الأهمية الدعوية للسكان

كثرة عدد أتباع دين من الأديان تجعل الناس أكثر ميلا للإيمان به ، لأن هذا يجعلهم يتساءلون: **هل يمكن أن يكون كل هؤلاء على باطل؟** لو لم يكن هذا الدين به شيء من الحق لما تبعته كل هذه الملايين. وعلى ذلك فكثرة عدد المسلمين ، لا نقول أنها تبرهن بشكل قاطع على صدق الإسلام، ولكن تمهد الطريق للاستماع إليه ، وأخذه على محمل الجد ، وهذا مكسب غير قليل.

وقد كان أحد أسباب اهتمام الأديب الانجليزي الشهير توماس كارلَيْل بالإسلام واحترامه له كثرة عدد معتنقيه ، الذين كان عددهم في عصره (1981–1795م) حوالي 200 مليون. يقول كارليل:

«لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمدا خدَّاع مزور. وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة **فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السرج المنير مدة اثني عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا** ، خلقهم الله الذي خلقنا. **أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاشت بها ، وماتت عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدا. ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول ، فما الناس إلا بله ومجانين ، وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة ، كان الأولى بها أن لا تخلق**»[18].

إن العالم يموج بآلاف الديانات ، لكن لا أحد ينظر بجدية إلا إلى أكبرها عددا كالإسلام والمسيحية والهندوسية والبوذية. وكلما كبر عدد معتنقي الدين زاد حرص الناس على القراءة عنه والاطلاع على مبادئه. وهل سمعت يوما عن كتاب ألف لتفنيد ديانة قبيلة من القبائل الوثنية في إفريقا؟ هذه إضاعة للوقت لأن معتنقي أمثال هذه الديانات المحلية آلاف قليلة. وفي المقابل هناك آلاف الكتب التي صدرت عن الإسلام والمسيحية ، فقرأها الملايين.

وكلما زاد عدد اتباع الدين زاد الاحتكاك بينهم وبين أتباع الأديان الأخرى من خلال السفر والهجرة والمؤتمرات والسياحة وغيرها. ولو لم يكن معتنقي الإسلام كثر في أوربا لما اهتمت أوربا بالإسلام بهذا الشكل.

وفي عصر ثورة الإعلام يمكن توقع أنه إن زادت أعداد المسلمين كثرت إصداراتهم من الكتب ، وكثرت قنواتهم الفضائية ، ومواقعهم على الإنترنت ، وصفحاتهم على مواقع التواصل الاجتماعي. وكل هذا يساعد على نشر الإسلام.

18) **محمد صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى.** تأليف توماس كارلَيل. تعريب محمد السباعي. صفحة 10-11. الطبعة الثانية- مكتبة الآداب. القاهرة. 1993م-1413هجرية.
والكتاب الأصلي الصادر بالإنجليزية لا يحمل طبعا هذا الاسم ، ولكن عنوانه:
On heroes, hero-worship, and the heroic in history ، وهو يتكلم عن عدد من الشخصيات المشهورة ، وأحد فصول الكتاب مخصص للحديث عن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. وهذا الفصل هو ما تمت ترجمته.

هـ- التباهي بكثرة أعداد أهل الحق

إذا تأملنا حديث الرسول عليه السلام: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» – وسنتكلم عنه فيما بعد– لوجدنا أنه يضفي قيمة مطلقة على عدد السكان بصرف النظر عن أهميتهم الاقتصادية والعسكرية والسياسية. ويشعر المرء بالفخار حين يسمع أن عدد المسلمين في العالم اقترب من المليارين ، فالإسلام يمثل الحق ، وكل ما عداه هو الباطل. ومن الأهمية بمكان أن يكون أهل الحق أكثر من أهل الباطل ، وأهل الخير أكثر من أهل الشر ، وعباد الله أكثر من عباد الشيطان. يجب أن تكون أعداد المسلمين أكثر من أعداد المسيحيين واليهود والهندوس والبوذيين.

إن الأحزاب السياسية تتنافس كي تحصل على أكبر عدد من أصوات الناخبين. وكل صاحب قضية يفني عمره من أجل إقناع الآخرين بفكره ، وجعله الفكر السائد على الساحة. أنصار الليبرالية وأنصار الحركة النسائية وأنصار التطبيع مع اليهود يفعلون ذلك. والملحدون أيضا يفعلون ذلك. ألم تروا الملحد سيد القمني ، وهو يعبر يوما عن راحته الشديدة بسبب تتويج كفاحه الطويل بانتشار الإلحاد بين الشباب؟ بل إن دعاة المثلية يبذلون الغالي والنفيس من أجل نشر الشذوذ الجنسي بين أكبر عدد من سكان العالم. **ولا يوجد إنسان ولا مفكر واحد يتمنى أن يظل أتباعه قليلين**. ولو كان الأمر كذلك لأغلق عليه بابه ، وامتنع عن تأليف الكتب. **فلماذا تريدون من الإسلام وحده أن يبقى قزما؟** لماذا تكرهون أن يكبر ويتمدد؟

ألم تسمعوا عن زيارة بابا الفاتيكان للعراق ، وكيف أبدى أسفه على تناقص أعداد المسيحيين؟ ألا يدل هذا على أهمية أعداد معتنقي الأديان؟ اقرأوا معي تفاصيل الخبر[19]:

[عرضت فضائية «يورو نيوز عربية» مقطع فيديو يرصد ترؤس البابا فرنسيس صلاةً عن أرواح «ضحايا الحرب» في منطقة كانت مسرحاً لانتهاكات تنظيم الدولة الإسلامية قبل سنوات قليلة، **آسفاً في كلمة ألقاها لـ«التناقص المأساوي» بأعداد المسيحيين في الشرق الأوسط**. وفي اليوم الأخير من زيارته التاريخية للعراق الذي يتمّ وسط إجراءات أمنية مشدّدة، قال البابا قبل أن يبدأ الصلاة قرب أنقاض كنيسة الطاهرة السريانية الكاثوليكية

19) **فيديو.. البابا فرنسيس: تناقص أعداد المسيحيين في الشرق الأوسط ضرر جسيم.** بقلم هديل هلال. صحيفة الشروق. 7 مارس 2021م.
https://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=07032021&id=ab39a28c-8e0f-41b9-9918-c7db12b51402

القديمة والمدمّرة: «**هذا التناقص المأساوي في أعداد تلاميذ المسيح، هنا وفي جميع أنحاء الشرق الأوسط إنّما هو ضرر جسيم لا يمكن تقديره**»، مضيفاً: «ليس فقط للأشخاص والجماعات المعنية، بل للمجتمع نفسه الذي تركوه وراءهم». ومسيحيو العراق من أقدم الجماعات المسيحية في العالم، وأرغم أبناؤها، بفعل الحروب والنزاعات وتردي الأوضاع المعيشية، على الهجرة. **ولم يبقَ في العراق اليوم سوى 400 ألف مسيحي من سكانه البالغ عددهم 40 مليوناً بعدما كان عددهم 1,5 مليون عام 2003** قبل الغزو الأمريكي للعراق].

وقد تسمع كلاما سخيفا من قبيل أن "الرسول عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يتباهى بكثرة المسلمين إذا كانوا غير متعلمين وغير متحضرين". إن سمعت هذا الهراء ، فاسأل قائله: لماذا إذن يحرص المسيحيون المتحضرون في أوربا وأمريكا حرصا بالغا على تنصير القبائل البدائية غير المتحضرة في إفريقيا؟ السبب أن **كل فكر يحتاج باستمرار لكل تابع مهما قل حظه من الحضارة.**

وول وجهك شطر أحد أهم مظاهر الحضارة هذه الأيام ، ألا وهي القنوات الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي كالفيسبوك واليوتيوب وتويتر. إنك ستجد أن قيمة ما يقال فيها تقدر بشيء واحد هو عدد المتابعين والمعجبين. ولا نبالغ إذا قلنا أن **أعداد الناس أصبحت أهم معيار في هذا العصر للحكم على قيمة الأفكار ، بصرف النظر عن طبيعة الأشخاص المعجبين بهذه الأفكار ، وما إذا كانوا متحضرين أم متخلفين.** نحن نعيش في عصر كل شيء فيه تتم ترجمته إلى أرقام بشرية. وعلى ذلك **فالعمل على زيادة أعداد المسلمين ليس عملا متخلفا ، بل عملا يساير العصر بامتياز.**

ثم إن **من يرددون مقولة أن الرسول لا يمكن أن يتباهى بكثرة مسلمة متخلفة هم أول من يضعون أيديهم في أيدي أنظمة الحكم المستبدة ، التي تتعمد إفقار الشعوب المسلمة وإبقائها في الجهل والتخلف** كي يرضى عنها النظام العالمي اليهودي. ولو أخلصت هذه الأنظمة لوجدت ألف وسيلة للاستفادة من أعداد السكان الكبيرة ، وتحويلها إلى طاقة منتجة ، بدلا من معاملتها كأفواه جائعة.

لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام معه كل الحق حين قال أنه سيتباهى بكثرة المسلمين بين الأمم يوم القيامة. **والتباهي بكثرة المسلمين هنا أشبه بالمظاهرات في عالم اليوم.** فكلما كثر المشاركون في المظاهرة زادت قيمتها ، وتبارت وسائل الإعلام في نقل وقائعها. ولا معنى لأي مظاهرة بها نفر قليل من الناس ، بل إنها في الواقع تؤتي نتيجة عكسية لأنها ستفضح مدى قلة اهتمام الناس بالقضية التي تتبناها. وفي مصر إبان ثورة 25 يناير كانت عيون كل الناس وكل وسائل الإعلام على أعداد المتظاهرين، وكانت القرارات السياسية الخطيرة تتخذ طبقا لأعداد من خرجوا إلى الشوارع. وكان أتباع بعض الاتجاهات السياسية يميلون إلى الكذب المفضوح ، فيزعمون أن مظاهراتهم خرج بها عشرات الملايين ، وما هم في الحقيقة إلا مأجور من هنا ، ومأجور من هناك.

وتخيل أن كل الناس من عهد آدم حتى قيام الساعة قد احتشدوا ، ووقفوا صفا أمام الله. فأُحصي المسلمين ، فتبين أنهم يمثلون 25% سكان البشرية. أليس هذا أفضل مما لو كان المسلمون 5% فقط؟ وإن كان المسلمون 70% ألن يكون هذا أفضل وأفضل؟

إن زيادة أعداد المسلمين في العالم تصبغ كوكب الأرض كله بصبغة إيمانية. وهذه أهمية معنوية، لا تقدر بثمن.

أخيرا إن كنت حقا مسلما مخلصا ، وتزعم أنك تحب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعلمت أن زيادة النسل رغبة شخصية للرسول ، فلماذا تتوانى عن عمل شيء يحبه؟

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

هل زيادة السكان ضارة ؟

فطنة رجل الشارع

في عهد الرئيس السابق مبارك كان الإعلام يحذر باستمرار من الانفجار السكاني الذي يعوق التنمية والرخاء. وقد توقفت هذه الأسطوانة لعدة سنوات ، ثم عاد الإعلام مؤخرا ليرددها، لكن هذه المرة لم يعد أحد يصدقهم. لقد أصبح الناس أكثر وعيا ، فكل ذي عين يرى أن سبب مشاكلنا الطاحنة ليس كثرة السكان ، بل إخفاق الحكومات فى إدارة ملفات الاقتصاد.

ما جدوى الامتناع عن الإنجاب إن ظل الفساد كما هو؟ إن أموال الشعوب المسلمة تسرق بالمليارات، ومن السهل جدا وقف هذه السرقات ، وتوجيهها لصالح الشعوب. إن مليار جنية من أموال الدولة يربحها مسئول فاسد تكفي لإقامة 100 مصنع صغير (بفرض أن تكلفة المصنع الواحد 10 ملايين جنيه). وبفرض أن المصنع يعمل فيه 50 فردا ، فسيكون مجموع العمال في كل المصانع 5000 عامل. وبفرض أن كل عامل يعول أسرة مكونة من 5 أفراد ، فمعنى هذا أن 25000 شخص سيستفيدون بشكل مباشر من المليار جنيه. ويضاف إلى هؤلاء من يستفيدون بشكل غير مباشر من إنفاق عمال المصانع على الطعام والشراب والمواصلات والملابس والأحذية، فيحدث رواج في المجتمع كله.

ويمكن لمبلغ مليار جنيه أن يزوج ثلاثة آلاف شاب ، بفرض أن تكلفة زواج الشاب الواحد 300 ألف جنيه. ويمكن لمبلغ مليار جنيه أن يشتري 2000 جهاز تنفس صناعي ، تكفي لتشغيل 200 عناية مركزة ، تخدم عشرات الآلاف من المرضى كل عام.

هذا ما يمكن أن يعمله مليار واحد منهوب من أموال الدولة ، فما بالك بعشرات المليارات التي تضيع كل عام دون أن يتحرك أحد لإنقاذها؟

وما جدوى التوقف عن الإنجاب إن كانت الحكومات تحارب رجال الأعمال ، وتضع العراقيل أمام كل من يريد أن يبني مصنعا أو يفتتح مشروعا؟

وما جدوى التوقف عن الإنجاب إن ظلت الحكومات تستدين مئات المليارات بشكل جنوني من الخارج من أجل الإنفاق على مظاهر الترف والأبهة والمشروعات التي ليس لها أي جدوى اقتصادية؟ أوليس من الغريب أن تتضاعف الديون دون أن يتضاعف السكان؟

وما جدوى التوقف عن الإنجاب إذا كانت بعض الحكومات تتنازل للأعداء بكل كرم عن نفطها وغازها ومواردها التي تقدر بمئات المليارات من الدولارات؟

ما جدوى التوقف عن الإنجاب إن كانت بعض الحكومات تهدم أحياء كاملة ، وتدفع تعويضات بالمليارات (تفقر الدولة ولا تغنى أصحاب المنازل المهدومة) من أجل إنشاء كوبري أو توسعة طريق كان من الممكن بسهولة الاستغناء عنه؟

وإن أنجبنا عددا أقل من الأولاد كي يتعلم أولادنا تعليما أفضل ، ويصبحوا علماء يشار إليهم بالبنان، فهل تتعهد الدولة بأن تكَرم هؤلاء العلماء بدلا من تكريم الممثلين والمطربين والراقصين؟

وإن اقتنع الموظف الفقير بأن إنجاب طفلين فقط سيمنحهما فرصة في تعليم أفضل ، فهل تتعهد الدولة بأن تحارب المحسوبية حتى يجد أبناء مثل هذا الموظف فرصا للتعيين كمعيدين في الجامعات أسوة بأبناء الأساتذة؟

وإن عُين أبناء الموظف في الجامعة فهل ستمول الدولة الأبحاث العلمية التي يبغون القيام بها؟ وإن مولتها فهل ستسعي للاستفادة منها؟

وإن نبغ ابن الموظف لأنه نشأ في أسرة صغيرة غير مكتظة بالأولاد ، ثم تمكن يوما من اختراع جهاز جديد ، فهل ستتبنى الدولة اختراعه العبقري؟

الناس فهمت كل شيء ، وفزاعة الانفجار السكاني عفا عليها الزمان. البسطاء لديهم فطنة وبصيرة. والحقائق لها صوت أعلى من أصوات مقدمي البرامج الحوارية الذين يتقاضون الملايين.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

خرافة الندرة

أقوى صفعة يمكن أن يتلقاها الإعلاميون والسياسيون الذين يخوفون شعوبنا من زيادة السكان هي أن عدد سكان العالم قد تضاعف من عام 1960 حتى عام 2000 (مرتفعا من 3 بليون إلى 6 بليون نسمة) ، ورغم ذلك لم تحدث مجاعة كونية ، وذلك بفضل التطور الكبير للميكنة الزراعة. ويشير خبراء الاقتصاد إلى أن **الإنتاج العالمي من الغذاء قد نما بمعدل أكبر من نمو السكان** ، وأن حدوث ندرة الطعام وسوء التغذية يعتمد بدرجة أكبر على السياسات الزراعية والتجارية وعلى قلة قدرة الفقراء على شراء الغذاء (المقصود أن الغذاء موجود بكثرة ، لكن الفقراء لا يستطيعون شراءه) أكثر من اعتمادها على معدل زيادة السكان. وأشار الاقتصاديون أيضا إلى أنه بالرغم من أن أعداد السكان قد تضاعفت فى عدد من الدول النامية بين عام 1950 و1985 إلا أن هذا لم يمنع كثيرا من هذه الدول من رفع مستوى المعيشة فيها[20].

ومن خلال تقرير[21] بعنوان "التوقعات الغذائية العالمية عام 2020" للمعهد الدولي لبحوث السياسات الغذائية نعرف **كيف زاد الإنتاج العالمي من الغذاء** . يقول التقرير أن عدد سكان العالم زاد بمقدار بليون نسمة كل عقد عبر الثلاثة عقود الأخيرة. ومع ذلك **صاحب هذا الانفجار السكاني زيادة درامية في إنتاج الحبوب الغذائية واللحوم**. فاجتاحت **سلالات متنوعة من القمح والأرز العالية الإنتاجية** أنحاء كثير من آسيا، فحال هذا دون حدوث مجاعة. وقد نجحت بعض الدول في تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء ، لكن دولا أخرى لجأت للاستيراد ، **فزاد حجم التجارة العالمية فى الحبوب بأكثر من الضعف** عبر ثلاثين عاما. وأدى ارتفاع الدخل فى كثير من البلاد النامية إلى **زيادة استهلاك اللحوم بشكل كبير خاصة الطيور** ، حيث زاد استهلاك الفرد من اللحوم فى الدول النامية بأكثر من الضعف من عام 1976 حتى 1997م. وقد **تحدت كل من الصين والهند كافة التوقعات ، وتمكنتا من تدبير احتياجات أسواقهما من الحبوب**. كما **انخفضت أسعار الذرة والأرز والقمح بمقدار النصف أو أكثر** في العشرين عاما الأخيرة. وقد ترتب على ذلك **انخفاض نسبة الأطفال (أقل من 5 سنوات) الذين يعانون من سوء التغذية بشكل حاد** من 45% فى أواخر

---

20) **Thomas W. Merrick.** Population and Poverty: New Views on an Old Controversy. *International Family Planning Perspectives.* 2002*;* 28 (1): 41-46.

21) **Rosegrant MW, Paisner MS, Meijer S, Witcover J.** 2020 Global Food Outlook: trends, alternatives, and choices (A 2020 vision for food, agriculture, and the environment initiative). International Food Policy Research Institute. Washington,D.C. August 2001

الستينات إلى 31% في أواخر التسعينات من القرن العشرين. والمنطقة الوحيدة التى لا تزال فيها الصورة مظلمة هي منطقة جنوب الصحراء في إفريقيا Subsaharan Africa حيث ثلث الأطفال ينامون جوعى.

وهذه الأرقام الأخيرة تثبت أن الندرة خرافة ، وأن ما في الأرض من أقوات أكثر مما نتوقع ، وأن السكان ليسوا كارثة كما يزعم الإعلام.

ووقع في يدي كتاب خطير عنوانه (صناعة الجوع) أو (خرافة الندرة) من تأليف فرانسيس مور لابيه وجوزيف كولينز. والكتب منشور عام 1983 إلا أن ما ورد به لا يزال ينطبق بشكل كبير على العالم اليوم. هذا الكتاب يضع إعلامنا وحكامنا في مأزق كبير ، فهو ينسف بالحقائق والدراسات ما يروجون له من أن زيادة السكان كارثة ووبال على الشعوب. يفتتح الكتاب بعبارة بليغة قائلا:

«إن تشخيص الجوع بأنه نتيجة لندرة الغذاء والأرض هو لوم للطبيعة على مشكلات من صنع البشر. ففي العالم يوجد على الأقل 500 مليون من البشر سيئي التغذية أو الجائعين. هذا الجوع يوجد في مواجهة الوفرة. وهنا تكمن الإهانة»[22]

ويقول المؤلفان: «هناك فرق بين الإنتاج الحالي للغذاء والإنتاج الممكن ، فالدراسات تؤكد أنه **لا يزرع الآن سوى نحو 44% من الأراضي الصالحة للزراعة في العالم. وفي كل من إفريقيا وأمريكا اللاتينية لا يزرع سوى أقل من 25% من الأرض التي يمكن زراعتها**. وفي عديد من البلدان النامية يمكن للأرض التي تقدم الآن محصولا واحدا في السنة أن تقدم محصولين أو أكثر. والعقبات أمام تحرير هذه الطاقة الإنتاجية ليست في معظم الحلات فيزيائية ، بل اجتماعية ، **فحيثما كان هناك سيطرة غير عادلة وغير ديمقراطية على الموارد الإنتاجية فإن تطورها يعاق»**[23]

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

22) **"صناعة الجوع" (خرافة الندرة).** تأليف فرانسيس مور لابيه وجوزيف كولينز. ترجمة أحمد حسان. صفحة 17. سلسلة "عالم المعرفة" ، عدد 64- من إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت- 1983م.
23) **صناعة الجوع.** صفحة 18.

زيادة السكان لا تفقر الشعوب

يرجع الاتهام المعاصر لزيادة السكان بالتسبب في الفقر إلى أفكار توماس مالتوس Thomas Malthus في نهاية القرن الثامن عشر[24].

وفي الستينات والسبعينات من القرن العشرين سادت وجهة نظر خلفاء مالتوس Neo-Malthusians الذين نظروا إلي السكان على أنهم عبء يجب على الدول أن تتخلص منه إن أرادت القضاء على الفقر. **وقد تعرضت تلك النظرية إلي نقد عنيف في الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين،** وأصبح أغلب العلماء يعتقدون أن كثرة السكان ليست مسئولة عن الفقر. ويرجع الفضل الأكبر في تبرأة السكان من تهمة الإضرار بالاقتصاد إلى تقرير بالغ الأهمية أصدره مجلس البحوث القومي فى أمريكا عام 1986م[25] ، والذي أفاد أنه **بالرغم من أن العوامل الديمُغرافية (السكانية) قد تلعب دورا ما في التقدم الاقتصادي إلا أن أهميتها محدودة مقارنة باعتبارات أخرى** من قبيل السياسات الاقتصادية السيئة وسوء الإدارة والفساد والفقر فى الموارد الطبيعية.

وقد عبرت "نانسي بيردسول" إحدى المشاركات في تأليف التقرير عن خلاصته قائلة: «**إن النمو السكاني السريع يمكن أن يبطيء من التنمية ، لكن هذا يحدث فقط في ظل ظروف معينة، وبشكل عام بآثار محدودة أو ضعيفة**»[26]. وهذا التقرير يتوافق مع سياسات إدارة الرئيس الأمركي ريجان التي أعلنت في المؤتمر الدولي للسكان عام 1984 أن «**النمو السكانى في ذاته ليس خيرا ولا شرا. إنه ظاهرة محايدة**»[27].

وبحلول منتصف التسعينات من القرن العشرين كان قليل من الاقتصاديين هم الذين لا يزالون متمسكين بالرأى القائل أن زيادة السكان سبب للفقر[28].

---

24) في المقابل رأى كارل ماركس أن زيادة السكان ليست سبب الفقر ، بل عَرَض أو نتيجة له. ورغم أن ماركس يهودي، وسياسة اليهود دعم تحديد النسل إلا أن ماركس لو قال أن سبب الفقر هو كثرة السكان لكان بهذا يهدم فكره الشيوعي القائم على فكرة أن الفقر سببه ظلم الأغنياء.

25) **Johnson DG, Lee RD, Birdsall N, et al.** Population Growth and Economic Development: Policy Questions. National Research Council 1986. Washington, DC: The National Academies Press. https://doi.org/10.17226/620.

26) **Birdsall N.** 1988 Economic approaches to population growth and development. In Handbook of development economics (eds H. B. Chenery & T. N. Srinivasan), pp. 478–536. Amsterdam, The Netherlands: Elsevier Publications. [Quoted from: **Steven W. Sinding**. Population, poverty and economic development. *Phil. Trans. R. Soc. B* (2009) 364, 3023–3030. doi:10.1098/rstb.2009.0145]

27) **Steven W. Sinding**. Population, poverty and economic development. *Phil. Trans. R. Soc. B* (2009) 364, 3023–3030. doi:10.1098/rstb.2009.0145

28) **Thomas W. Merrick**. Population and Poverty: New Views on an Old Controversy.

ويتفق مع هذا الخط مقال شديد الأهمية للعالم المتخصص في الاقتصاد السياسي نيكولاس إبرستادت Nicholas Eberstadt ، نشر في صحيفة واشنطن بوست العالمية بعنوان "**خمسة أساطير حول سكان العالم**"[29].

يبدأ المقال بذكر مفاجأة للقاريء العادي ، إذ يؤكد أن مصطلح زيادة السكان Overpopulation نادرا ما يستخدمه أغلب علماء الاقتصاد والديمغرافيا الجادين ، وذلك لأن هذا المصطلح ليس له تعريف محدد ، فلا يمكن تعريفه باستخدام المعدل السنوي للزيادة السكانية ، ولا بكثافة السكان لكل كيلومتر مربع من مساحة الدولة.

ويقدم المقال بعد ذلك مفاجأة ثانية ، وهي **أن ندرة الموارد خرافة** ، **فقد زاد عدد سكان العالم في القرن العشرين من 1.6 بليون إلى 6 بليون ورغم ذلك انخفضت بشكل جذري الأسعار الحقيقية للحبوب الغذائية كالقمح والأرز ، لتصبح أقل مما كانت عليه قبل مائة سنة**. وطبعا انخفاض الأسعار يدل علي المحاصيل لم تصبح أكثر ندرة حين زاد عدد السكان.

يبدد المقال أيضا الوهم القائل بأن سياسة الطفل الواحد كانت السبب في النمو الاقتصادي الهائل للصين. لقد فرضت الصين بالقوة على كل أسرة أن تنجب طفلا واحدا فقط ، **لكن لا يمكن القول بأن تناقص السكان كان السبب في التقدم الاقتصادي** ، وذلك لأن الصين تبنت سياسة الطفل الواحد وفى نفس الوقت (نهاية السبعينات من القرن العشرين) بدأت تتبنى اقتصاد السوق. ومنذ ذلك الحين زاد دخل الفرد ثمانية أضعاف ، لكن **من أدرانا أن تحديد النسل هو الذي دفع الاقتصاد نحو الازدهار؟ أليس من المحتمل جدا أن تبنى آليات اقتصاد السوق هو السبب الحقيقي؟** ويؤكد هذا الاحتمال الأخير أنه قبل تبني سياسة الطفل الواحد حدث انخفاض حاد في **المعدل الإجمالي للخصوبة من 5.9 إلى 2.9 لكل امرأة بين نهاية الستينات ونهاية السبعينات من القرن العشرين، ومع ذلك كان النمو الاقتصادي للفرد أبطأ بكثير في نفس الفترة.**

29) **Five myths about the world's population.** By Nicholas Eberstadt. Washington Post. November 4, 2011. https://www.washingtonpost.com/opinions/five-myths-about-the-worlds-population/2011/10/26/gIQArjSWmM_story.html ; Accessed July 3, 2022.

كما لاحظ كاتب المقال أن معدل الخصوبة في الصين لا يختلف عن كثير من دول شرق وجنوب شرق آسيا ، **فدولة مثل بورما معدل الإنجاب بها منخفض للغاية (بدون قيود من الحكومة)، ومع ذلك نجدها أفقر بكثير من الصين.**

ويرفض كاتب المقال الفكرة القائلة بأن زيادة عدد السكان يجعل الدول الفقيرة تبقى فقيرة ، فإن أخذنا **كوريا الجنوبية وتايوان** كمثال لوجدنا أنهما فى عام 1960م كانتا دولتين فقيرتين. وفى العقدين التاليين زاد سكان كوريا الجنوبية بمعدل 50% ، وزاد سكان تايوان بمعدل 65% ، ومع ذلك زاد الدخل فى الدولتين في نفس الفترة ، فكان معدل النمو الاقتصادي للفرد 6.2% في كوريا الجنوبية ، و7% في تايوان. وهذا يعني أن النمو السريع للسكان لم يمنع الازدهار الاقتصادي للدولتين.

وفى المقابل يقول كاتب المقال أنه كما أن زيادة السكان لا تمنع تقدم الاقتصاد فكذلك نقص السكان لا يسبب بالضرورة تدهور الاقتصاد. فمثلا بين عام 1840 و 1960 انخض عدد سكان أيرلندا من 8.3 مليون إلى 2.9 مليون. وفي نفس الفترة تقريبا تضاعف الناتج الإجمالي المحلي للفرد بمقدار ثلاثة أضعاف. وفي الحقيقة فإن كل دول الاتحاد السوفيتي السابق تقريبا يعانون الآن من انخفاض عدد السكان ، ومع ذلك كان النمو الاقتصاد لديهم قويا.

ويستخلص كاتب المقال حقيقة في غاية الأهمية ، وهي أن **دخل الشعب من الشعوب يعتمد على ما هو أكثر من من تعداد سكانه. والثروة القومية تعكس الإنتاجية ، التى تعتمد بدورها على التكنولوجيا والتعليم والصحة والمناخ المشجع على الاستثمار والسياسات الاقتصادية.**

وإذا نظرنا للعالم ككل لوجدنا – كما يقول صاحب المقال– أنه بين عام 1900 وعام 2000م ، **وبينما كان عدد سكان العالم ينفجر ، نما دخل الفرد بمعدل أسرع من أي وقت مضى ، ليصل تقريبا إلى خمسة أضعاف** طبقا لحسابات المؤرخ الاقتصادي أنجوس ماديسون Angus Maddison. **وفي أغلب الأحيان كانت الدول الأسرع نموا في الاقتصاد في القرن العشرين هي الدور الأكثر نموا في عدد السكان.**

ولا ينكر كاتب المقال أن أسرع نمو فى تعداد السكان موجود فى الدول التى تسمى فاشلة ، أي الأكثر فقرا ، لكن **ليس من الواضح أن زيادة السكان هي مشكلتهم المركزية. فمن خلال تحقيق الأمن وتبني سياسات أفضل ، واستثمار أكبر في الصحة والتعليم لا يوجد سبب يدعو للاعتقاد بأن هذه الدول الهشة لن تحقق التقدم الاقتصادي.**

وفي فصل بعنوان (هل البشر عقبة أم مورد) يبدد كتاب "صناعة الجوع" الذي تكلمنا عنه سابقا عددا من الخرافات الشائعة ، **أولها أن الزراعة في البلدان المتخلفة متأخرة لأن في الريف بشرا أكثر مما يلزم للعمل بصورة منتجة.** لكن الواقع يقول غير ذلك ، فمثلا هناك دول ناجحة زراعيا مثل اليابان وتايوان ، وبها من العمال الزراعيين لكل فدان أكثر من ضعف ما في الفلبين والهند مع العلم أن قيمة إنتاج الفدان في اليابان سبعة أضعاف قيمته في الفلبين ، وعشرة أضعاف قيمته في الهند. ويبدو أن هذه العلاقة الطردية عامة. **فمن الواضح أن التعداد الكبير للسكان في الريف بعيد تماما عن كونه العائق الذي يعتقد دائما أنهم يمثلونه**[30].

ومن الخرافات التي يبددها كتاب "صناعة الجوع" أن النمو السكاني عبء هائل على اقتصادات العالم الثالث حيث أنه يعني ضرورة خلق وظائف جديدة ، بينما 15–30% من السكان هم بلا عمل فعلا. وخلافا لذلك يؤكد مؤلفا الكتاب أن **النجاح الاقتصادي لأمة من الأمم لا يعتمد على الموارد الطبيعية الغنية بقدر ما يعتمد على الكفاءة في حفز شعبها وفي استخدام عمله. والناس يبدون عقبة فقط في نوع معين من النظام الاقتصادي ، وهو النظام الذي لا يقاس فيه النجاح الاقتصادي برفاهية كل الناس ؛ والذي يتزايد فيه احتكار الإنتاج من جانب قلة ؛ والذي تستخدم فيه التكنولوجيا لاستبعاد البشر من عملية الإنتاج حتى يتم الوصول إلى الحد الأقصى لإنتاج مالك الأرض من كل عامل ، فالناس لم يولدوا هامشيين**[31].

ويتعرض الكتاب السابق لدولة بنجلاديش كمثال، فيقول أن «بنجلاديش بالنسبة للكثيرين هي النموذج النمطي لبلد طغى تعداده السكاني ببساطة على موارده لإنتاج الغذاء. لكن الحقيقة أن الأمر ليس كذلك. فحتى في الوقت الحاضر ، بمواردها التي تعاني من قلة الاستخدام الفظيعة ، تنتج بنجلاديش من الغلال وحدها ما يكفي لتزويد كل فرد في البلاد بما لا يقل عن 2300 سعر

30) **صناعة الجوع.** صفحة 27
31) **صناعة الجوع.** صفحة 31

حراري يوميا، إلا أن أكثر من نصف العلائلات في بنجلاديش –طبقا لأرقام البنك الدولي– تستهلك أقل من 1500 سعر حراري للفرد ، وهو الحد الأدنى للبقاء على قيد الحياة.... إذا كان ما ينتج كافيا، فلماذا إذن لا يأكل الجياع في بنجلاديش؟ المفارقة أن الجياع يزرعون الكثير من أرز البلاد، وفي وقت الحصاد ، حين تبلغ الأسعار أدنى حد لها ، يضطر الكثيرون لبيع كمية كبيرة مما ينتجونه بحيث لا يعودون يملكون ما يكفي لسد احتياجاتهم حتى الحصاد الثاني. وهم مضطرون لعمل ذلك حتى يسددوا ما يدينون به بفائدة كبيرة للمرابين–التجار ، الذين احتاج المزارعون إلى اقتراض الغذاء منهم بأسعار أعلى بكثير قبل الحصاد»[32]

ويقول المؤلفان أن بنجلاديش «تمتلك ما يتطلبه إنتاج غذاء أكثر بكثير. وفي ارتحالنا في أرجاء البلاد أدهشتنا خصوبتها المذهلة ، إذ لا تتمتع بنجلاديش بمناح استوائي سخي فقط ، بل كذلك بتربة غرينية غنية وعميقة ، يرسبها سنويا ثلاثة أنهار ضخمة بفروعها التي لا تحصى. ولدى تقدير حجم إمكانيات بنجلاديش في إنتاج الغذاء استنتج تقرير للكونجرس الأمريكي عام 1976 أن (البلاد غنية بما يكفي من الأراضي الخصبة والماء والقوة العاملة والغاز الطبيعي والأسمدة ، لا لتصبح مكتفية بذاتها غذائيا فقط بل لتصبح كذلك مصدرا للغذاء حتى مع حجم سكانها السريع التزايد) »[33].

ويتكلم الكتاب عما يسمى بالقنبلة السكانية فيذكر أن **إحدى عشر دولة متخلفة على الأقل تعاني من انخفاض أشد حدة في معدلات المواليد** مما عانته أى واحدة من الدول التي هي الآن صناعية خلال نقلتها الديمغرافية للقرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين..... فولاية كيرالا بالهند مثلا تعتبر أفقر من ولايات كثيرة بالدولة ، رغم انخفاض معدل المواليد بها.[34]

أما انخفاض معدل النمو السكاني في بلاد معينة فلا يبدو أنه يرتبط بمعدل نمو صافي الناتج القومي ، ولا حتى بمستوى دخل الفرد ، بل باتجاه نحو التوزيع المتكافيء للدخل والخدمات مثل الرعاية الصحية. ولهذا ففي بنجلاديش ، مثلما في بلدان عديدة يجعلوننا نفهم أنها فقيرة بصورة يائسة ، نجد أن التفاوت الحاد في السيطرة على الموارد الإنتاجية هو ما يجعل العمل التعاوني

32) **صناعة الجوع**. صفحة 22-23
33) **صناعة الجوع**. صفحة 24
34) **صناعة الجوع**. صفحة 35-37

صعبا ويعوق الإنتاج. ولهذا السبب يستنتج تقرير لمنظمة الأغذية والزراعة في 1975م أن (سياسة جذرية حقا في إعادة توزيع الأرض يمكن أن تزيد كلا من الإنتاج والعدالة)[35].

ونختتم هذا الفصل بهذا الكلام الرائع الذي ورد في كتاب صناعة الجوع: «**إن النظرية القائلة بأننا الآن ندخل عصر الندرة المحتومة لأن أعدادنا قد تخطت حدا مفترضا هي نظرية لا يمكن إثباتها.** ففي عالم **تستنزف فيه الاحتياطات الغذائية عمدا** لكي تحقق صادرات الولايات المتحدة من القمح أكبر قدر من العملة الأجنبية ويكون فيه الصداع الرئيسي لمئات من مسئولي السوق المشتركة هو **كيفية إنقاص جبال ما يسمى بالفائض** تكون فكرة الندرة أسوأ من مجرد تشويه لأنها **تلقي ذنب الندرة على عاتق جماهير غير محددة من البشر وعلى (الحدود الطبيعية التى لا تتعداها الأرض)**»[36].

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الثراء يقلل الإنجاب أم العكس

يرى كثير من العلماء أن **الارتباط بين الفقر وزيادة عدد السكان لا يعنى بالضرورة أن العلاقة بينهما** "سببية" ، **أى لا يعنى أن السكان كانوا سبب الفقر ، بل ربما كان الواقع أن السببية تسير في الاتجاه المعاكس،** وذلك لأن السكان الفقراء يعتقدون أن إنجاب الأطفال مفيد لأنهم يساعدون أهلهم في عملهم ، ويزيدون دخل الأسرة ، ويرعون آباءهم إذا كبروا. وبالتالي **فالفقر هو الذي تسبب في كثرة الإنجاب، وليس العكس**[37].

وبالمثل إن رأيت تقدما اقتصاديا في بلد قليل السكان ، فليس من حقك أن تقول بكل ثقة أن قلة الإنجاب لها الفضل في التقدم الاقتصادي ، فمن المحتمل جدا أن التقدم الاقتصادي هو الذي جعل السكان يميلون لقة الإنجاب.

إن المرأة إن كانت غنية ، ومرفهة صارت أكثر كرها للحمل لأن حياتها كلها راحة في راحة ، فهي تركب السيارة ، وتنعم بمكيف الهواء ، وتستعمل السخان ، وتأكل الطعام الجاهز من المطاعم ،

35) **صناعة الجوع**. صفحة 25-26

36) **صناعة الجوع**. صفحة 56.

37) **Thomas W. Merrick.** Population and Poverty: New Views on an Old Controversy.

وتستعين بالأجهزة المنزلية والخدم كي ترتاح من أعباء البيت. مثل هذه المرأة المرفهة التي لم تتعود على التعب لا تطيق الحمل والولادة وتربية الأطفال ، وسيدو لها إنجاب طفل كما لو كان انتحارا. أما المرأة الفقيرة التي تسير على قدميها ، وتطبخ لنفسها ، وتتحمل الحر والبرد ، فستكون أكثر احتمالا للحمل والولادة لأنها اعتادت من قبل على قسوة الحياة. وإضافة إلى ذلك فإن المرأة الغنية تعمل غالبا خارج البيت ، وسيكون من الصعب عليها أن تضحي بعملها ومستقبلها من أجل الحمل والولادة والأطفال. والمرأة الغنية كذلك تحب الرحلات والمصايف ، وتسافر للسياحة، وتخرج للتسوق، وتأكل فى المطاعم ، وترتاد دور السينما والمسرح ، وتحضر الحفلات الغنائية. وكل هذا يثبطها عن الحمل والولادة حتى لا تفقد استمتاعها بالحياة. أما المرأة الفقيرة فحياتها تخلو من كل وسائل الترفيه ، ولن تخسر شيئا إن أنجبت مزيدا من الأطفال.

وعلى ذلك فالتقدم الاقتصادي سبب لنقص الإنجاب. ولا خلاف بين العلماء على ذلك. يقول العالم المعروف "ستيفن سيندينج":

«برغم هذا الجدل **نما اتفاق عريض بمرو الوقت على أنه بارتفاع الدخل تميل الخصوبة (الإنجاب) للانخفاض.** يوجد جدل قليل حول العلاقة السببية بين زيادة الرخاء وانخفاض الإنجاب. وبوجه عام يوجد باتساق ارتباط كبير بين نمو الدخل القومي ومعدلات الولادة المنخفضة ، وبين دخل الأسرة والإنجاب. ويتفق علماء الاقتصاد وعلماء السكان بشكل كبير أن المكونات المهمة لمستوى المعيشة الأفضل مثل التمدين والتصنيع وارتفاع الفرص للوظائف غير الزراعية ومستويات التعليم والصحة الأفضل ، كلها تؤدي إلى تغير إدراك الأبوين لتكلفة ومنافع الأطفال ، مما يؤدي بدوره إلى قلة الإنجاب. وبعبارة أخرى: **لم يعد هناك جدل كثير حول ما إذا كان تحسن الظروف الاقتصادية –سواء على مستوى الأسرة أو المجتمع– يؤدي إلى انخفاض الإنجاب أم لا.** توجد بالطبع اختلافات مهمة بين الدول وحتى داخل الدول بخصوص توقيت وسرعة هذه التغيرت، لكن وجود **علاقة سببية تنطلق من تحسن مستوى المعيشة إلى انخفاض الإنجاب لم يعد محل نزاع كبير** (طبقا لمجلس البحوث القومي الأمريكي ، 1986م)»[38]

38) **Sinding SW.** Population, poverty and economic development. *Philos Trans R Soc Lond B Biol Sci*. 2009 Oct 27;364(1532):3023-30. doi: 10.1098/rstb.2009.0145.

خلاصة القول: إذا كان العلماء يلاحظون أن الشعوب الغنية تنجب أطفالا أقل فليس ذلك بالضرورة لأن قلة الإنجاب هي التي رفعت مستواهم الاقتصادي ، فالأكثر احتمالا أن يكون الثراء هو الذي جعلهم أكثر نفورا من الإنجاب.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

محاولة يائسة لاتهام زيادة السكان

حاول بعض العلماء في السنوات الأخيرة العثور على فائدة لقلة الإنجاب ، فطرحوا نظرية مفادها أن معدل الإنجاب حين يبدأ في الانخفاض فإن ذلك يخلق ما يمكن أن يسمى ب "**نافذة فرصة سكانية**" (ديمغرافية) Demographic window of opportunity أو "منحة سكانية" Demographic bonus يمكن من خلالها زيادة الادخار الشخصى والاستثمار. وهذه الفرصة تستمر فقط لفترة محدودة من الوقت. كيف هذا؟

يشرح توماس ميريك[39] الفكرة موضحا أن من المعروف أن معدل الإنجاب إن كان مرتفعا فإن نسبة الأطفال والمراهقين تكون كبيرة مقارنة بنسبة الكبار العاملين. ولكن حين يبدأ معدل الإنجاب في الانخفاض فإن نسبة العاملين (من عمر 15–64 سنة) ترتفع مقارنة بغير العاملين من المراهقين والأطفال (أقل 15 سنة) والشيوخ (أكبر من 64 عاما) ، وهو ما يعني أن عمالا أكثر سيكونون مسئولين عن أطفال أقل ، وهذا سيمكن الدول من زيادة رصيدها من رأس المال المادي والبشري (المدارس والمعلمين المدربين والمنشآت الصحية ومقدمي الخدمة الصحية المدربين وشبكات الاتصالات الحديثة والعمال المدربين جيدا لإدارتها).

ومع ذلك **فالمنحة السكانية لا تضمن حدوث قفزة في الاقتصاد ، وذلك لعدة أسباب:**

أولا: المنحة السكانية تمثل فرصة مؤقتة ، تستمر حوالي عقدين من الزمان فقط كما يقول توماس ميريك ، وذلك لأن استمرار قلة الانجاب سيؤدي في النهاية إلى زيادة نسبة كبار السن ، الذين لا

39) **Thomas Merrick.** Population and Poverty: New Views on an Old Controversy.

يعملون ، وفي نفس الوقت يتقاضون معاشات. ويؤكد كلا من "بيردسول" و"سيندنج" في تقريرهما المهم على حقيقة أن المنحة السكانية تبلغ على الأكثر 50 عاما[40].

وهنا نجد أن أنصار تحديد النسل يتهربون من السؤال التالي: **وماذا بعد؟ ماذا يحدث بعد انتهاء المنحة السكانية؟ الإجابة المحزنة هي أن الدول ستدخل في مرحلة شيخوخة** ، إذ سيكثر فيها عدد المسنين غير المنتجين ، وسيقل عدد الشباب المنتجين ، كما نرى الآن في أوربا العجوز.

ثانيا: المنحة السكانية تكبر كلما انخفض معدل الإنجاب بسرعة أكبر ، بمعنى أن فوائد زيادة نسبة القادرين على العمل مقارنة بنسبة من يحتاجون للإعالة تعظم كلما قل معدل نمو السكان. أى أن الدولة لكي تستفيد من نقص السكان (بفرض أن نقص السكان مفيد) فمن المهم أن ينخفض الإنجاب بسرعة ، وهذا أمر عسير المنال في أحيان كثيرة.

ثالثا: تأثير هذه المنحة السكانية أو الفرصة الديمغرفية يتطلب –كما يؤكد "**توماس ميريك**" –**من الدول أن تتبنى سياسات اقتصادية واجتماعية سليمة كي تُمكن الموجة الكبيرة من العمال المحتملين من اكتساب المهارات والعثور على وظائف منتجة.** فإن حدث ذلك – كما في كوريا الجنوبية وتايوان– ترتبت عليه موجة مؤقتة من تراكم رأس المال المادي والبشري، تؤدي إلى رفع مستوى المعيشة.

ومما يؤكد أن **السياسات الاقتصادية السليمة أهم من الفرصة السكانية** (الديمغرافية) – كما يشرح توماس ميرك– أن النمو الاقتصادي كان بطيئا في دول أمريكا اللاتينية في السبعينات من القرن العشرين ، وذلك جزئيا بسبب فشل هذه الدول فى الاستثمار في التعليم ، خاصة تعليم الفقراء. كما كانت **السياسات الاقتصادية في هذه الدول أقل إفضاء إلى خلق وظائف منتجة للسكان في سن العمل.** كما أثارت سياسات فاشلة مماثلة في جنوب آسيا احتمال أن بنجلاديش والهند (اللتين تتحركان الآن نحو المراحل المتقدمة من التحول لانخفاض الإنجاب) قد لا تستفيدان على الإطلاق من الظروف الديمغرافية (السكانية) المواتية التي خلقها هذا التحول.

40) **Birdsall N and Sinding SW**, How and why population matters: new findings, new issues, in: Birdsall N, Kelley AC and Sinding SW, 2001, op. cit.

وفي تقرير شديد الأهمية[41] يهدف إلى إلقاء الضوء على أضرار زيادة السكان **لم يجد المؤلفان مناصا من الاعتراف** بأن المنحة السكانية تتميز بثلاثة أمور ، كل منها يعبر عن شرط ضروري، لا يمكن لنقص الإنجاب أن يكون مفيدا بدونه ، **وهذا يعني أن نقص الإنجاب لن يحقق وحده الرخاء الاقتصادي**. وقد كتب المؤلفان كلمة (إنْ) بالإنجليزية بطريقة مميزة للتعبير عن ذلك:

1. وجود عدد أكبر من العمال الذين يزيدون الإنتاج **إنِ** تم توظيفهم بشكل منتِج.
2. تراكم أكبر للثروة **إنِ** وُجدت مدخرات ، وتم استثمارها بشكل منتِج.
3. وجود عرض أكبر من رأس المال البشري (يقصد العمال) **إنِ** تم عمل الاستثمارت الملائمة لتكوينه

وعلى ذلك **فالمنحة السكانية هي ظاهرة تحدث لمرة واحدة فقط ، وتستمر لفترة وجيزة نسبيا. وستكون مفارقة محزنة إن أخفقت السياسات الناجحة لتقليل نمو السكان في خفض مستوى الفقر بسبب كون السياسات الاقتصادية المصاحبة غير رشيدة أو اتخذت في وقت متأخر جدا**[42].

لهذه الأسباب تبدو لنا المنحة السكانية أمرا فى غاية السخافة. **إنهم يضخمون الكلام عن المنحة، لكنهم يمرون مرور الكرام على شروط عملها** ، أى يتكلمون بشكل عابر عن ضرورة وجود السياسات التى تحسن توظيف الأيدي العاملة. والمهزلة الأكبر أن **النظام العالمي الذي يضغط علينا من أجل تحديد النسل هو الذي يضع يده في أيدي أنظمة الحكم الفاسدة ، التى تتعمد أن تبقي الشعوب في التخلف والفقر**. على من يضحكون؟

إن أقصى ما يمكن أن يقوله عالم محترم هو أن تحديد النسل مسألة محل جدل وخلاف بين العلماء . على سبيل المثال اختتم خبير البنك الدولي المعروف "توماس ميريك" بحثه المنحاز إلى تحديد النسل قائلا:

---

41) **Birdsall N and Sinding SW**, How and why population matters: new findings, new issues, page 9, in: Birdsall N, Kelley AC and Sinding SW, 2001, op. cit.
42) **Thomas W. Merrick**. Population and Poverty: New Views on an Old Controversy.

«وبالإجمال فإن تنظيم الأسرة والإنجاب مهم لتقليل الفقر لدى الأسر والدول الفقيرة. إلا أنه **ليس العامل الوحيد ولا حتى العامل الأهم في تقليل الفقر. لقد كان هذا الموضوع مثار جدل**»[43].

وليس لدينا أفضل من هذا الاعتراف القائل بأن تقليل الإنجاب ليس أهم العوامل لمحاربة الفقر ، وأن فوائده للاقتصاد لم تثبت بعد. فارفع رأسك أيها المسلم. وتمسك بدينك ، ولا تركع لحزب الشيطان. والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

إدمان تحديد النسل

من يزعمون أن نقص الإنجاب سيدخل الشعوب فى مرحة "المنحة السكانية" يتهربون من الإشارة إلى ما سيحدث بعدها من زيادة عدد المسنين غير المنتجين ، ونقص الأيدي العاملة. وهذا حادث الآن في أوربا التي تجأر بسبب عزوف المواطنين عن الإنجاب ، وانخفاض معدلات المواليد بشكل مريع ، واضطرار الدول الأوربية إلى فتح باب الهجرة للأجانب ، حتى أصبح المواطنون الأصليون مهددين بالانقراض في يوم غير بعيد.

إن تحديد النسل إن بدأ فمن الصعب جدا أن يقف لأنه يتحول بمرور الوقت إلى نظام حياة، يصعب على الإنسان أن يغيره حتى لا يشذ عن الآخرين. إن تغيير فكرة في الذهن أمر ممكن، لكن تغيير نظام حياة أمر عسير ، فالقول أسهل من العمل. ومن تعود على الراحة فلن يسهل عليه أن يقبل مختارا على المشاق. وانظر إلى أوربا الآن تجد استجابة ضعيفة جدا من المواطنين للإغراءات التى تقدمها الحكومات تشجيعا على الإنجاب.

تحديد النسل فخ من وقع فيه لن يخرج منه. تحديد النسل يشبه مخدر الهيروين الذي إن تناوله الإنسان شعر بالقوة والانتعاش ، ولكنه بعد ذلك سيتعود عليه ، ولن يستطيع الإقلاع عنه رغم علمه أنه سيؤدي حتما إلى هلاكه.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

43) **Thomas W. Merrick**. Population and Poverty: New Views on an Old Controversy.

أسرة صغيرة يساوي حياة أفضل؟

يبدو لأول وهلة أن كثرة العيال تؤدي حتما للفقر ، فراتب قدره 8000 جنيه إن قسمته على أسرة مكونة من أربعة أفراد كان نصيب الفرد 2000 جنيه ، وإن قسمته على أسرة مكونة من ثمانية أفراد كان نصيب الفرد 1000 جنيه. فهل هذا يعني أن الأسرة الصغيرة العدد ستكون أكثر سعادة؟

ليس بالضرورة.

إن الأسرة الصغيرة ستجد أن لديها مالا أكثر ، وهذا سيجعلها تتطلع لمستوى رفاهية أعلى ، فبدلا من أن تأكل اللحم مرتين أسبوعيا ستأكله كل يوم ، وبدلا من أن تشتري لكل فرد ثوبين في العام ستشتري ستة. وبدلا من أن تركب المواصلات العامة ستشتري سيارة. وبدلا من أن يلعب الأطفال مع جيرانهم أمام البيت سيشتركون في أحد النوادي الرياضية. وهكذا سيتبخر الفائض من دخل الأسرة على مظاهر الرفاهية التي لا تحصى. وكثيرا ما تشعر مثل هذه الأسرة بالفقر لأن نفقاتها أكبر بكثير من دخلها ، فيضطر الأب للرشوة والسرقة والغش كي تتمكن أسرته من العيش في رفاهية. أما الأسرة ذات العدد الكبير فستعيش بما لديها من مال ، ولن تنفق على مظاهر الترف، وغالبا لن تشعر بالسخط لأن من السهل على الإنسان أن يتكيف على الصعب ، فلا يشعر معه بأي ألم. **إن الشعور بقسوة الفقر لا ينبع من نقص المال ، بل من غياب الرضا بالحال.**

ولا شك أن الإنسان يمكن أن ينعم بالسعادة رغم غياب المال. أذكر أن من أسعد أيام حياتي سنوات الطفولة حين كنا نلعب كرة القدم في الطريق أمام الحقل ، ليس بكرة قدم ، ولكن بزجاجة زيت قديمة فارغة لأن ثمن الكرة كان غاليا بالنسبة لنا. وكنا نسير في الطريق كل يوم باحثين عن زجاجة زيت جديدة ، حتى إن عثرنا على إحداها كنا كمن عثر على كنز. ولا أظن أن الطفل الذي يشترك في النادي الأهلي أو نادي الزمالك يمكن أن يشعر سعادة أكبر مما كنا نحس به في ذلك الوقت.

وكنت أسير يوما في منطقة راقية في إحدى المدن ، فوجدت طفلة فقيرة عمرها ست سنوات قد أجلست أخاها البالغ من العمر سنتين في قفص فاكهة فارغ ، ثم ربطت القفص بحبل ، وأخذت تجر أخاها بالقفص على الأرض على جانب الطريق ، والاثنان في غاية الفرح بهذه اللعبة البدائية.

ولا أظن أن من الممكن للإنسان أن يضحك من قلبه كما كان هذان الطفلين يضحكان. وهناك في المقابل أغنياء يتمنى الواحد منهما أن ينعم بلحظة سعادة كهؤلاء الفقراء.

إن أسرة لديها ابنان فقط ستعطي لكل منهما مصروفا كبيرا مقارنة بأسرة لديها خمسة أبناء. لكن هذا المصروف الكبير قد يغرى الابن بإدمان المخدرات ، فيكون سبب غم لأسرته ، خلافا للأسرة الكبيرة التي يحرص أولادها على كل قرش ينفقونه.

كان هذا على مستوى الأسرة. أما على مستوى الدول فسنجد أن الذي حدث في بلاد المسلمين أنهم نجحوا في خفض معدلات الإنجاب ، وفى نفس الوقت ازدادت معدلات الفساد ، فلم يتحقق شعارهم "أسرة صغيرة يساوي حياة أفضل" ، ووجدنا بدلا منه واقعا يقول: "أسرة صغيرة تساوي أسرة كبيرة تساوي حياة بائسة".

الشيطان يعدكم الفقر

هب أن زيادة السكان تؤدي حتما لفقر الشعوب – وهذا مجرد فرض– فهل هذا مبرر لتحديد النسل؟ هذا منطق لا يمكن قبوله لأن كثيرا من تكاليف الدين صعبة على النفس. على سبيل المثال القتال في سبيل الله شاق على النفس ، بل هو عمل جنوني كما يراه الكثيرون ، لكن المؤمن يُقبل على الجهاد ، ويضحي بنفسه طمعا في رضا الله. وسنجد بالمثل أن الزكاة كما يراها الكثيرون تدخل في باب السفه لأن صاحب المال يبدد ماله بنفسه ، أما المسلم فهو يعطي الفقراء وهو سعيد لأن الله تعالى سيعوضه يوم القيامة. وقول الحق قد يقود صاحبه للسجن ، لكن الحق عند الشرفاء أغلي من كل الكنوز.

وفي المقابل سنجد أن تجارة المخدرات مربحة ، والرقص في الحانات مربح ، والعمل في بيوت الدعارة مربح ، والرشوة مربحة ، ونفاق الظالمين مربح. لكن المسلم يرفض كل هذه الإغراءات، ويحرم نفسه من شهوات تجعل ربه غاضبا عليه.

وعلى ذلك فالمؤمن الحقيقي لا يرفض تحديد النسل لمجرد أنه يقلل من دخله ، ويجعله أقل قدرة على الاستمتاع بمباهج الحياة.

يجب أن يكون **المبدأ المرشد لكل مؤمن هو أن ما نظنه خيرا قد يتبين في النهاية أنه شر ، وما نراه شرا قد يتبين في النهاية خير**. وقد عبر القرآن عن هذا المعني في آية شديدة الروعة: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 216].

لقد بدأت الآية بالاعتراف بأن القتال شيء كريه ، وهذا أمره لا خلاف عليه ، فلا أحد يحب أن يعرض نفسه للقتل أو الجرح أو الإعاقة. ومع ذلك تفاجأنا الآية بالقول أن من الجائز وجود خير فيما نراه لأول وهلة شرا. ومن فوائد الحرب أنها تعود بالغنائم على المقاتلين ، وتجعلهم يشعرون بسعادة غامرة بسبب النصر ، ويحسون بأنهم صنعوا إنجازا تاريخيا. كما تعيد الحرب إلى الدولة حقوقها المسلوبة ، وتكسبها احترام الدول الأخرى. وأهم من ذلك أن جزاء الجهاد هو الجنة.

وبالمثل **إن كان المسلم يكره كثرة الأولاد بسبب فقره أو رغبته في الاستمتاع بالحياة ، فعليه أن يضغط على نفسه بعض الشيء لأنه بإنجابه يساهم في رفعة الإسلام والمسلمين في الدنيا ، وسينال ثواب الله في الآخرة. ولنعلم أن الشيطان يلعب دائما على وتر مشقة التكاليف ، ويخوف الإنسان باستمرار من عاقبة عمل الخير ، ويعمي عينيه عن الثواب الذي ينتظره في الآخرة**. وقد عبر القرآن عن هذا المعنى حين تكلم عن الصدقة: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 268].

لو كانت كل تكاليف الدين سهلة لكان كل الناس في مقام الأنبياء. لو كانت الصلاة ركعة واحدة في اليوم لما تركها أحد ، ولو كان الصوم لمدة ساعة واحدة في اليوم لما أفطر أحد. وهكذا فصعوبة التكاليف هدفها اختبار الناس ، وإظهار معادنهم ، ومعرفة قوة عزائمهم ، والحكم على جديتهم في زعمهم أنهم مؤمنون: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: 2، 3]

التكامل بدلا من تحديد النسل

علينا أن نعلم أن دولة الإسلام ليست مصر ولا العراق ولا إندونيسيا ولا نيجيريا ولا تركيا ، ولكنها مجموع كل بلاد المسلمين. وإن اتحدت كل الدول الإسلامية في خلافة واحدة فلن يعاني أحد من

زيادة السكان لأن كل ثروات المسلمين ستوزع بالعدل على الجميع. ستوزع احتياطات البترول والغاز والحديد والذهب على كل المسلمين. ستوزع المسطحات المائية والموانيء والمضايق على كل المسلمين. ستوزع الأراضي الزراعية على الجميع. ستوزع الأنهار على الجميع. وسيتم استقدام العمالة من المناطق المزدحمة إلى المناطق الخالية من السكان ، ولن يشعر أحد بالبطالة.

فبدلا من أن نسعى لحل أزمة البطالة من خلال تحديد النسل ، لماذا لا يكون الحل بأن تتحد الدول الإسلامية قي دولة واحدة ، يكمل بعضها بعضا؟

يقول الشيخ محمد الغزالي: «إن الإسلام ليس هو بالدين المحلى لأهل الوجهين البحرى والقبلى، إنه دين القارات الخمس! وداره الرحبة الخصبة تمزج بين أجناس كل هذه القارات فى أخوة جامعة لا تعرف الحدود الضيقة المفتعلة التى صنعها الاستعمار ، فكيف يعالجون مشكلة السكان ، وهم لا يدركون هذا الأساس المبين؟»[44]

أخيرا اعلموا أننا لا ندعو لوحدة المسلمين طمعا في ثروات الدول الإسلامية الغنية ، فالخلافة الإسلامية أبعد مما بقي لنا من العمر ، وجنة الله أسهل منالا للكثيرين من نعيم النفط ، ودولة فقيرة كمصر بها من الثروات الطبيعية كالغاز والذهب ما لا يقل عن دول الخليج ، ولكن النظام العالمي لن يقبل أبدا لدولة كبيرة كبلدنا أن تستفيد من ثرواتها حتى لا تتحول إلى قوة عظمى كما كانت في الماضي. فالخلافة الإسلامية حق ، ننادي به لوجه الله. وليغضب من يغضب ، وليبخل من يبخل ، فالله يحكم ، لا معقب لحكمه. اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار.

44) **قذائف الحق.** صفحة 271.

منع الحمل حلال أم حرام

كثير من الشباب الآن يقررون قبل الزواج الاكتفاء بطفلين فقط أو ثلاثة على الأكثر. وأحيانا تقرر الأم بعد أول ولادة ألا تكرر تجربة الحمل مرة أخرى لأنها لن تحتمل تكرار هذا العذاب. ونحن نؤكد أن تحديد النسل حرام لأسباب عديدة:

أ- خطة الشيطان المرعبة

موضوع تحديد النسل ليس بهذه البساطة. المسألة ليست مجرد رغبة زوجين في تقليل أعداد الأولاد لتحسين ظروف معيشتهم. تحديد النسل خطة جهنمية ، صاغها شخص اسمه "إبليس" . نعم إبليس عدو البشرية المعروف. المسألة باختصار أن إبليس يكره آدم ، ويعتبره عدوه اللدود ، ومن الطبيعي أن يحاول التخلص من ذريته. **وأسعد لحظة يمكن أن يعيشها المرء إن نجح في محو عدوه من الوجود. وهذا بالضبط ما يفعله إبليس من خلال بدعة تحديد النسل.** وأى نظرة أخرى لتحديد النسل وهم.

عثرت ذات مرة على مجموعة عربية على الفيسبوك مخصصة للدعوة لوقف الإنجاب. وهالني أن أجد عدد المشاركين فيها أكثر من ثلاثمائة ألف شخص. فقررت أن أشترك فيها لأطلع على مبادئهم، فوجدتهم لا يدعون لتحديد النسل ، بل يطالبون بوقف الإنجاب تماما. وهم يقولون أن التناسل حماقة لأنه يأتي بإنسان إلى الوجود كي يقاسي آلام المرض والجوع والحروب. ويقولون أن الإنسان إن لم يكن له أولاد فسيعيش سعيدا مرتاحا لأنه ينفق على نفسه فقط ، ولا يحمل هم أولاده من بعده. كما تراهم ينذرون البشرية بالخراب ، ونفاد الأرض الزراعية وسيادة الجوع إن استمر التناسل بنفس المعدلات. ولاحظت أن الصفحة تفوح منها بقوة رائحة الإلحاد ، وهذا كفيل بجعل كل عاقل يرتاب من الدعوة لوقف الإنجاب.

إن تحديد النسل يمثل معارضة للخطة الإلهية على أعلى مستوياتها. فقد خلق الله تعالى كوكب الأرض ليكون مسرحا لاختبار بلايين البشر حتى يتبين أيهم يستحق الجنة، وأيهم يستحق النار. **ومن يدعو لتحديد النسل أو وقف الإنجاب فهو يشبه أستاذا يطالب كليته بإلغاء الاختبارات، والتوقف عن منح الشهادات. الله تعالى يريد أن يجري اختبارا للبشر، والشيطان يريد وقف**

الاختبار من خلال تحديد النسل ، فتحديد النسل يمنع وصول البشر إلى مسرح الاختبار ، أى يمنع انتقالهم من الحياة الروحية (عالم الذر) إلى الحياة المادية على الأرض.

لقد كان البشر قبل خلقهم يحيون حياة روحية خالصة ، فخلق الله لكل منهم جسدا ماديا ، كي تدخل فيه روحه ، فيعيش في الدنيا ، ويثبت لله ولنفسه وللناس أنه من أهل الخير أو الشر. الدنيا اختبار كبير لأرواح البشر. وإجراء هذا الاختبار يتطلب خلق الأجساد ، ومنع الحمل يعطل هذا الاختبار. ولهذا فهو جريمة توجب العقاب. فلا شك أن القانون يعاقب كل من يحاول تعطيل عقد الامتحانات الدراسة بأي شكل من الأشكال. وقلنا من قبل: لو وقف رجلا على باب إحدى المدارس محاولا منع بعض الطلبة من الدخول للامتحان ، فيجب أن يكون رد الشرطة عليه فوريا وقاسيا ، فليس من شأنه أن يقرر من يدخل الامتحان ومن لا يدخل. هذه مسئولية وزير التعليم. وبالمثل ليس من حق أى إنسان أن يمنع الحمل لأنه بهذا يعارض إرادة الله. ومن تكون أنت أيها الإنسان كي تعبث بخطة وضعها الله؟

ولا بد من سؤال: إن إبليس لا يعمل بشكل مباشر على الأرض ، بل يستعين برجاله من الإنس، الذين ينفذون مخططاته ، فمن يا ترى جنود إبليس في هذا الميدان؟

من يتابع جيدا شئون العالم يدرك أن **الدعوة لتحديد النسل تحركها أصابع يهودية كما تحرك غيرها من الضلالات كالإلحاد والعدمية وعبادة الشيطان والإباحية والشذوذ**. وليس هذا تخمينا ، فلأول مرة في التاريخ نلاحظ أن هناك جهودا في غاية القوة والتنظيم تضغط بعنف على كل الدول والهيئات والشركات ووسائل الإعلام كي تعترف بأعتى صور الانحلال والشذوذ التي لم يكن يتخيلها أحد. والجميع يرضخون للضغوط لأن أعناقهم بين فكي اليهود الذين يملكون الذهب، ويستطيعون بواسطته إسقاط الشركات والرؤساء والجيوش والدول. ولا أحد غير اليهود يمكن أن يكون وراء هذه الضغوط ، فرؤساء الدول في هذا العصر أضعف مما نظن ، ففي أمريكا مثلا ، يذهب مرشحو الرئاسة راكعين إلي رجال الأعمال اليهود طمعا في تمويل حملاتهم الانتخابية. وأغلب الرؤساء ومرشحي البرلمان في الدول الكبرى يفعلون نفس الشيء. حقا بدأ السياسيون في أمريكا وأوربا مؤخرا يتململون من طغيان اليهود ، لكن خياراتهم محدودة ، وعزائمهم ضعيفة.

ولكن ما مصلحة اليهود في تحديد النسل؟ مصلحتهم واضحة: اليهود يكرهون كل شعوب الأرض ، ولا يحبون إلا أنفسهم ، ويسمون الشعوب الأخرى (الجوييم) أو "الأغيار" أو "الأمميين". وهم يبذلون قصارى جهدهم لتدمير هذه الشعوب حتى تكون لهم السيادة على الأرض كما شرحوا بالتفصيل في بروتوكولات حكماء صهيون. وأهم وسائل تدمير الشعوب نشر الإلحاد والأفكار الهدامة المناوئة للدين كالشيوعية والدارونينة والعدمية والوجودية وما بعد الحداثة والشذوذ والإباحية. وتحديد النسل واحد من هذه الضلالات الكثيرة. فتحديد النسل إذن لا يشذ عن السياسة العامة لليهود.

وفضلا عن ذلك **فهناك ثأر شخصي خاص بين اليهود وكل شعوب العالم ، فاليهود لديهم عقدة نقص لأنهم ظلوا عبر التاريخ أقل عددا من كل الأمم** ، ولهذا لم يتمكنوا من تكوين امبراطوريات كبرى كما فعل الفراعنة والبابليون والفرس واليونان والرومان والمسلمون. فجيوش اليهود دائما قليلة العدد ، وأى حرب يخوضونها تعرضهم ، لا نقول للموت بل للانقراض ، ولعلكم تذكرون كيف صرخت جولدا مائير في حرب أكتوبر 1973م: "انقذوا إسرائيل". ولهذا **لا شيء يبرد نار اليهود أكثر من فناء الشعوب الأخرى ، وتحولها إلى أمم صغيرة ، لا تزيد عددا عن اليهود**. وقد نجحوا نجاحا ساحقا في تقليل أعداد السكان في أوربا بعد أن أغرقوها في الإلحاد والعدمية ، حتى باتت مهددة بالانقراض. ومعدلات الإنجاب انخفضت بشدة في أغلب دول العالم بسبب ضغوط المنظمات الدولية التابعة لليهود.

وهكذا التقت مصالح اليهود وإبليس: إبليس يكره كل سكان العالم ، واليهود يكرهون أغلب سكان العالم.

واليهود جنود إبليس ، لكنهم ليسوا مثل كل جنوده من الإنس. الحقيقة أن الأمر أخطر من ذلك ، فاليهود مشهورون منذ القدم بممارسة السحر ، والسحر يفرض على الساحر عبادة الشيطان. ولهذا فالعلاقة بين الاثنين أقوى مما نظن. وحديثا كثرت الأقاويل حول العلاقة الوثيقة بين اليهود والماسونية. ونحن نرى أن **الماسونية ثورة قام بها بعض الشياطين الذين تحرروا من قبضة نبي الله سليمان بعد وفاته. فقرروا الانتقام منه من خلال أفكار الماسونية.**

ومن المعروف أن سليمان عليه السلام كان يسخر الجن في أعمال البناء والتشييد والغوص وغيرها. قال تعالى: {وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ} [سبأ: 12]. وقال: {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: 13]. وكانت قمة الإهانة حين مات سليما ، وهو مستند إلى عصاه ، وظل كذلك لفترة طويلة دون أن يعلم الجن ، حتى سقط أخيرا لما أكلت الدابة العصا ، فهنا شعر الجن بإهانة بالغة ، فلو كانوا يعلمون الغيب لما ظلوا طويلا يخدمون سليمان حتى بعد وفاته ، ولتخلصوا فورا من هذه الخدمة المذلة: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} [سبأ: 14].

والماسونية Freemasonry مذهب أتباعه يسمون "البناءون الأحرار". وعامة الناس يظنون أن هذا الاسم يشير إلى بناء العالم ونشر الحضارة من خلال أفكار متحررة بعيدة عن الدين. ولكن **اسم (الماسونية) يشير في الحقيقة إلى أمر آخر مخيف: إن كلمة (البناءون) تشير –في رأينا– إلى أولئك الشياطين الذين كان سليمان يسخرهم في أعمال البناء والتشييد. وكلمة (الأحرار) تشير إلى تحرر هؤلاء الشياطين من الذل والعبودية عقب وفاة سليمان.**

وهكذا فكلمة (الماسونية) لها معنى ظاهر ، ومعنى آخر حقيقي مرعب. وثورة هذه الفئة من الشياطين كانت من خلال **إنشاء تنظيم يهودي فى هيكل سليمان** ، يكون هدفه نشر الكفر والوثنية والفساد والانحلال وعبادة الشيطان في العالم كله.

لقد قرر الشياطين الانتقام من سليمان بنفس الطريقة التي أذلهم بها: فكما جند سليمان الشياطين ، وسخرهم لخدمة دين الله ، سيقوم الشياطين هذه المرة بتسخير البشر (الماسونيين) لخدمة قضية الشيطان وتأليهه وعبادته. وسيقام هذا التنظيم في عقر دار سليمان ، أى في الهيكل اليهودي الذي أنشأه. وستكون نواة التنظيم أحبار اليهود الذين بُعث سليمان لهدايتهم. ووقع الاختيار على اسم (الماسونية) الذي يعنى (البناءون الأحرار) ليشير إلى الطابع الانتقامي لهذا التنظيم ، الذي أنشأته تلك الشياطين بعد أن نالت حريتها عقب موت سليمان. فكأنهم يقولون

للعالم: «نحن الشياطين الذين أذلنا سليمان ، قد جئنا لنذل البشر ، ونجبرهم ليس فقط على طاعتنا، بل على عبادتنا».

وأنا لا أبالغ ، ولا أخمن ، فأمامي الآن **اعتراف من حنا أبي راشد –عميد الطرق الماسونية المثالية في العالم– يحسم المسألة** ، **ويذكر أن الماسونية نشأت لأول مرة في عهد سليمان عام 1015 ق.م** ، **ويؤكد أن كل الآراء الأخرى عن نشأة الماسونية تدخل في باب الأوهام:**

«على أن من الأقوال الراجحة في هذا الموضوع ، وجل المؤرخين قرروا أن **الماسونية نشأت في عهد سليمان الحكيم سنة 1015 ق.م** ، إذ كان عهده موصوفا **بحضارة امتازت بصفة عمرانية بارزة** ، اقتضت قيام **جماعة البنائين الأحرار بتأسيس هذه الطريقة في هيكل سليمان نفسه** ، ذلك هو القول الذي قد يكون أقرب إلى سلامة البحث في موضوع نشأة الماسونية ، غير أن هناك من الأقوال ما يذهب إلى أن الماسون أقدم من ذلك بكثير ، وهي **أقوال تقوم على الوهم** أكثر مما تقوم على التحقيق العلمي أو التأريخ المبني على الاستقراء الصحيح»[45].

ولاحظ في هذا النص الخطير عبارة (كان عهده موصوفا بحضارة امتازت بصفة عمرانية بارزة) ، وهي عبارة تلمح إلى دور الشياطين في أعمال البناء والتشييد في عهد سليمان. ولاحظ أيضا عبارة (اقتضت قيام جماعة البنائين الأحرار بتأسيس هذه الطريقة في هيكل سليمان نفسه). ويبدو لأول وهلة أنه لا رابط بين هذه العبارة والعبارة التي قبلها ، لكن بقليل من التفكير يدرك المرء أن المؤلف يلمح إلى أن الشياطين أسسوا الماسونية في هيكل سليمان ، أي في عقر دار سليمان ، انتقاما منه على إذلالهم في أعمال البناء والتشييد. إنهم يشبهون راقصة أرادت الانتقام من شيخ فاضل، فأغرت أولاده من بعده بأن يحولوا مسجدا بناه أبوهم إلى بيت دعارة.

ويذكر الماسوني حنا أبي راشد كذلك ما يُفهم منه أن الماسونية تعتبر الحلقة الأحدث في سلسلة تنظيمات الكهنة السرية ، التي ظهرت منذ فجر التاريخ ، خاصة في مصر. وطبعا كلمة (سرية) في كلامه تشير إلى عبادة الشيطان: «وليس من شك في أن أقدم الأمم التى عرفت الجمعيات

---

45) **دائرة المعارف الماسونية المصورة: صفحات جديدة في تاريخ الإنسانية.** تأليف حنا أبي راشد. صفحة 44. منشورات مكتبة الفكر العربي ومطبعتها. الطبعة الأولى- بيروت- 1961م.

السرية على صورة ما هي الأمة المصرية القديمة ، وإن كان كثير من الأمم بعد ذلك قد استنبطوا شبيها بتلك الأنظمة ، قد اقتبسوه عن المصريين ، الذي كان احتكار الكهنة للشئون الدينية وشئون الحكم عندهم هو منشأ الجمعيات السرية. وعن ذلك النظام أخذت بقية الأمم»[46].

ويورد المؤلف اقتباسات من كتاب آخرين يؤكدون العلاقة بين الماسونية واليهودية وهيكل سليمان، أكثرها صراحة ما قاله فهمي صدقي المصري: «إن **الجمعية الماسونية نشأت في هيكل سليمان، فهذا كتاب التوراة، الذي نؤمن به ونقدسه ، ورد فيه ما لا يمكن المكابرة معه عند المقابلة بين نصه والنص المماثل في التعاليم الماسونية.** وهو يدلنا على قدم هذه الجمعية ، وقوة الأدمغة التي ألفتها في حال ، لم يكن للعالم سابق عهد. **فالماسونية إذن بنيت على بعض التقاليد الإسرائيلية الواردة في التوراة ، والتي كانت شائعة في عهد انبثاقها»**[47].

وقال شاهين مكاريوس: «**الماسونية أكبر الجمعيات وأغناها وأشهرها ، ولعلها أقدمها أيضا.** وقد ذهب القوم في قدميتها مذاهب شتى ، فبعضهم قال: أنها أنشئت في هيكل سليمان ، وبعضهم ردها إلى كهنة المصريين ، وآخرون إلى كهنة الهنود»[48].

وهذا النص الأخير في منهى الخطورة فهو يؤكد أن الماسونية "أكبر الجمعيات" ، وهذا يشير إلى أنها تنظيم عالمي ، يختلف عن التنظيمات المحلية الموجودة في هذه الدولة أو تلك. وهذا دليل واضح على وجود حكومة خفية للعالم. وقوله أن الماسونية أغنى الجمعيات يشير إلى أنها مدعومة بالمال اليهودي لأن اليهود هم أغنى أغنياء الأرض.

وفي فصل بعنوان "هل الماسونية يهودية" يبدأ حنا أبي راشد زعيم الماسونية باعتراف شديد الخطورة: «**قال أحد أساتذة الماسون العارفين في القاهرة: "الماسونية يهودية ، الماسونية يهودية"**».

ويكفينا صدور اعترف صريح كهذا من شخصية ماسونية مرموقة. ولا يمكن أن ننخدع بمحاولة حنا أبي راشد بعد ذلك تمييع الصلة بين الماسونية واليهود ، لأن من يدقق في كلامه[49] يجد أنه

---

46) **دائرة المعارف الماسونية المصورة**. صفحة 45

47) **دائرة المعارف الماسونية المصورة**. تأليف حنا أبي راشد. صفحة 50

48) **دائرة المعارف الماسونية المصورة**. تأليف حنا أبي راشد. صفحة 48

وقال جورجي زيدان: «للمؤرخين في منشأ الماسونية أقوال متضاربة فمن قائل بحداثتها ، ومن قائل بأنها أنشئت من جمعية الصليب الوردي ، التي تأسست عام 1616م ، ومنهم من أوصلها إلى الحروب الصليبية ، وآخرون أرجعوها إلى حكماء اليونان في الجيل الثامن قبل الميلاد ، ومنهم من قال أنها أنشئت في هيكل سليمان. وغيرهم أوصلوها إلى الكهانة المصريين» [**دائرة المعارف الماسونية المصورة**. صفحة 48]

49) يقول حنا أبي راشد: «أما أن الماسونية يهودية فذلك ما لا شك فيه ، من ناحية واحدة لا تتعداها. ونحن الماسونيين العريقين أعلم بذلك من الخوارج المتطفلين ، الذين يصورون الحبة قبة ، وغايتهم السياسية أو الدينية تبرر الواسطة: بل إننا **لنسمح بأن ندل هؤلاء على الحجة الدامغة في هذا الشأن ،**

اعترف بأن اليهود هم من أنشأ الماسونية تاريخيا ، ورغم أن الشعوب الأخرى أسهمت في تطورها إلا أن جوهر الماسونية ظل كما هو. كما أن ريادة اليهود للماسونية تشبه ريادة اليونان للعلوم والفنون. وهذا التمييع من زعيم الماسونية مسلك متوقع لأن الماسونية حركة سرية ، ولا يمكن أن تفصح عن كل خفاياها إلا عبر تصريح شارد من أحد أتباعها ، يسارع آخرون إلى نفيه جزئيا، فتبقي الحقيقة غامضة في أعين البسطاء ، وفي نفس الوقت تكون الرسالة قد وصلت إلى المفكرين والسياسيين وصناع القرار، الذين يراد لهم أن يعرفوا جيدا مدي قوة اليهود ، وأنهم المسيطرون على المنظمة السرية التي تحكم العالم ، فيظل الجميع خائفون راكعون.

هؤلاء هم رعاة تحديد النسل. فاعلم أخي المسلم من يغذي عقلك. والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ب- الإسلام يدعو لكثرة الإنجاب

تحديد النسل يتعارض مع دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام لكثرة الإنجاب. لقد حث رسول الله عليه الصلاة والسلام على الزواج بالمرأة الولود ، أى كثيرة الأولاد ، فقال: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ**». وهذه دعوة صريحة لزيادة النسل. ولكن كيف يعرف الرجل أن المرأة كثيرة الأولاد؟ إن كانت المرأة قد تزوجت من قبل ، ولها أولاد كثيرون ، فهى ولود. أما البكر فيمكن توقع أن تكون ولودا إن كانت النساء في عائلاتها كثيرات الأولاد لأن الأقارب عادة يشبه بعضهم بعضا[50]. والأرجح ان يكون المراد بالولود الشابة التي يتوقع لها أن تنجب كثيرا ، خلافا للمرأة

وهي حجة التوراة في عدة صفحات ، ورد فيها ما لا يمكن المكابرة معه ، عند المقابلة بين نصها ، والنص المماثل في تعاليم الماسونية. إلا أن التوراة ههنا سند هام من الوجهة التاريخية ، وهو يدلنا على قدم هذه الجمعية وقوة الأدمغة التي ألفتها على بدع ، لم يكن للعالم به سابق عهد. كما يدلنا أيضا على قيمة الاضطهاد في تسديد الإنسانية إلى وجهتها القويمة في المؤاخاة والمساواة والحرية. ولكي ندرك انحصار خطر اليهودية بالنسبة إلى الماسونية في هذه النقطة فحسب ، ينبغي أن نذكر أن الحضارة في شتى مناحيها إن هي إلا سلسلة متتابعة متعاقبة منذ أقدم العصور ، تألفت من المجهودات العامة بين الشعوب والأمم على مر الدهور ، وليست العبرة فيها من حيث قدمها وعراقتها ، وإنما العبرة كل العبرة بتطورها ، والجدة التي رافقتها ، فإن أكثر الفنون والعلوم ترجع إلى العهد اليوناني في حضارته البالغة ، ومع ذلك فليس هناك من ينكر فضل من قفي على أثر اليوانيين ، وجدد من أصولهم ، وأضاف إلى تراثهم. **وكذلك القول في الماسونية، فإنها إذا بنيت على بعض التقاليد الإسرائيلية التي كانت شائعة في عهد انبثاقها ، أو بعد ذلك ، فليس يضيرها ذلك في شيء لأن القيمة بالجوهر**». انظر **"دائرة المعارف الماسونية المصورة"**. صفحة 24-25.

50) قال الطيبي: «ويعرف القيدان أعنى الودود الولود في الأبكار من أقاربهن؛ لأن الغالب سراية طباع الأقارب من بعضهن إلي بعض». انظر: **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)** (7/ 2263). تأليف شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي. تحقيق د. عبد الحميد هنداوي. مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض). الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م

الكبيرة التي أشرفت على سن اليأس. والشابة ستكون في نفس الوقت "ودودا" لأنها ستتقرب لزوجها لحاجتها للجماع خلافا للمرأة الكبيرة التي خبت شهوتها[51].

وقد ورد هذا الحديث الشريف في أكثر من سياق:

روى الحاكم عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ، قَالَ: **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَمَنْصِبٍ وَمَالٍ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ».** صححه الحاكم ووافقه الذهبي[52]. ورواة هذه الحديث ثقات ، ثلاثة منهم من رجال البخاري ومسلم[53].

وهذا الحديث ليس معناه أن الزواج بامرأة عاقر حرام ، فالحديث لا يفهم منه ذلك مطلقا ، والأمر لا يعدو مجرد ترتيب للأولويات ، فالزواج بالشابة التي يتوقع لها أن تنجب كثيرا أولى من الزواج بامرأة كبيرة لن تنجب أبدا أو ستنجب قليلا من الأولاد.

وأخرج هذا الحديث أيضا أبو داود عن مَعْقِلِ بنِ يسارٍ، قال: **جاء رجل إلى النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلم – فقال: إني أصبتُ امرأةً ذاتَ حَسَبٍ وجَمَالٍ، وأنها لا تَلِدُ، أفأتزوجُها؟ قال: "لا" ثم**

---

51) قال أبو زرعة: «الحق أنه ليس المراد بالولود كثرة الأولاد بل من هي مظنة الولادة وهي الشابة دون العجوز التي قد انقطع نسلها فالصفتان من وادٍ واحد». انظر: **التنوير شرح الجامع الصغير** (5/ 35). تأليف محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني. تحقيق د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم. مكتبة دار السلام، الرياض. الطبعة الأولى، 1432 هـ- 2011 م

52) **المستدرك على الصحيحين للحاكم** (2/ 176)

53) إسناد هذا الحديث يتضمن ما يلي من الرجال:

(معاوية بن قرة): هو معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رئاب المزنى. وهو أحد التابعين. روى له البخاري ومسلم.

(منصور بن زاذان): هو مَنْصُوْرُ بنُ زَاذَانَ أَبُو المُغِيْرَةِ الثَّقَفِيُّ. روى له البخارى ومسلم.

(المستلم بن سعيد): هو مستلم بن سعيد الثقفى الواسطى ، ابن أخت منصور بن زاذان. قال أحمد بْن حنبل: شيخ ثقة من أهل واسط قليل الحديث. وَقَال يحيى بْن مَعِين: صويلح. وَقَال النَّسَائي: ليس بِهِ بأس. وذكره ابنُ حِبَّان فِي كتاب "الثقات"، وَقَال: ربما خالف [تهذيب الكمال في أسماء الرجال (27/ 430)]. وَقَالَ يزيد بن هَارُون كَانَ مستلم بن سعيد عندنَا هَاهُنَا بواسط وَكَانَ لَا يشرب المَاء إِلَّا كل جُمُعَة وَجعل يثني عَلَيْهِ **[**تاريخ أسماء الثقات **(**ص: 227)]. وقال أصبغ بن زيد لما مات مستلم لو كان هذا في بني إسرائيل لاتخذوه حبرا [تهذيب التهذيب (10/ 104)]

(يزيد بن هارون): هو يَزِيْدُ بنُ هَارُوْنَ بنِ زَاذِي السُّلَمِيُّ. وهو من رجال البخاري ومسلم.

(سعيد بن مسعود): هو سَعِيْدُ بنُ مَسْعُوْدِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المَرْوَزِيُّ. قال عنه الذهبي: المُحَدِّثُ، المُسْنِدُ، أَبُو عُثْمَانَ المَرْوَزِيّ، أَحَدُ الثِّقَاتِ [سير أعلام النبلاء (12/ 504)]. وقال ابن أبي حاتم: كتب إلى أبي وأبي زرعة وإلي ببعض حديثه، وهو صدوق. وفي كتاب «الإرشاد» للخليلي: سعيد بن مسعود العامري، ثقة. وسئل عنه الحاكم فقال: ثقة، وليس بكثير الرواية [الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (5/ 20)]

(أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي): هو محمَّد بن أحمد بن محبوب بن فضيل، أبو العباس، المحبوبي، المَرْوَزِي. روى عنه الحاكم في "مستدركه" وأكثر عنه. قال الحاكم: الثقة المأمون. وقال في "تاريخه" عند ترجمته لابنه عبد الله: كان أبوه شيخ أهل الثروة من التجار بخراسان، وإليه كانت الرحلة. وقال عبد الجبار الجراحي: الشيخ الثقة الأمين التاجر. وقال أبو بكر محمَّد بن منصور السمعاني في "أماليه": كان من مزكي مرو ومعدِّلها، ومحدث أهلها في عصره، ومُقدَّم أصحاب الحديث في الثروة والرئاسة، وكانت الرحلة إليه في الحديث. وقال في موضع آخر من "أماليه": وسماعاته صحيحة مضبوطة بخط خاله أبي بكر الأحول. وقال أبو حاتم أحمد بن الحسن الصائغ في كتاب "الهداية" في الاعتقاد له عند ذكر أئمة السنة المعروفة بالصلابة في سائر البلدان، فقال: إذا رأيت المروزي يحب عبد الله بن المبارك، وأبا حمزة السكَّري، وأحمد بن سنان، ومن المتأخرين أبا العباس المحبوبي، وأبا الحسن المحمودي، فاعلم أنه سني. وقال ابن نقطة: حدث عنه: ابن مندة، والحاكم، والجراحي، وأثنوا عليه خيرًا. وقال الذهبي: الإمام المحدث مفيد مرو، كانت الرحلة إليه في سماع "الجامع"، وكان شيخ البلد ثروة وإفضالًا، وسماعه مضبوط بخط خاله أبي بكر الأحول. قال الحاكم: سماعه صحيح. لنظر: [الروض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم] (2/ 872)

أتاهُ الثانيةَ فنهاه، ثم أتاه الثالثةَ، فقال: "تزوجوا الوَدُودَ الوَلُودَ فإني مكاثِرٌ بِكُمُ الأمم". وإسناده قوي[54]. وأخرجه ابن حبان بلفظ مشابه ، ولكنه قال: "**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الولود فإني مكاثر بكم**". وإسناده قوي[55]، وقال الألباني حديث حسن صحيح[56]. وأخرجه أيضا الطبراني في المعجم الكبير [57]، والبيهقي في السنن الكبرى[58]، والنسائي[59،60].

وإسناد الحديث عند كل من الحاكم وأبو داود وابن حبان والطبراني والبيهقي والنسائي يلتقي عند يزيد بن هارون ، وهو أحد الأعلام الثقات[61]. لكن **يزيد بن هارون لم يتفرد بالحديث ، فقد روي من طريق آخر في سياق آخر:**

عن ابن عمر أن عمر تزوج امرأة فأصابها شمطاء ، وقال: حصير في بيت خير من امرأة لا تلد، والله ما أقربكن شهوة! ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **تزوجوا الودود الولود**

---

54) قال محققا كتاب سنن أبي داود: إسناده قوي. مستلم بن سعيد صدوق لا بأس به. وأخرجه النسائي في "الكبرى" (5323) من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد. وهو في "صحيح ابن حبان" (4065) و (4057). وفي الباب عن أنس بن مالك عند أحمد في "مسنده" (12613)، وابن حبان في "صحيحه" (4028). انظر: **"سنن أبي داود"** (3/ 395). تأليف أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني. تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي. دار الرسالة العالمية. الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

55) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي ، رجاله ثقات رجال الصحيح غير المستلم بن سعيد، فروى له أصحاب السنن، وهو صدوق، وثقه أحمد، وقال ابن معين: صويلح، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره المؤلف في الثقات، وقال ربما خالف. وأخرجه النسائي ، والطبراني ، والحاكم ، والبيهقي من طرق عن يزيد بن هارون، بهذا الإسناد. انظر: **"الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"** (9/ 364). تأليف محمد بن حبان بن أحمد بن حبان. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1988 م

56) "حسن صحيح" يعني في مصطلح الألباني: أنه حسن لذاته، صحيح لغيره، أي بشواهده. انظر: **"التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان"** (6/ 187). مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان. ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان، علاء الدين الفارسي. مؤلف التعليقات الحسان: محمد ناصر الدين الألباني. دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م

57) رواه الطبراني عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ، **أَنَّ رَجُلًا ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَصَابَ امْرَأَةً ذَاتَ جَمَالٍ وَمَنْصِبٍ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا تَلِدُ فَنَهَاهُ عَنْهَا، ثُمَّ عَادَ فَنَهَاهُ عَنْهَا، وَقَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ»**. ومن نقل هذا الحديث عن يزيد بن هارون عند الطبراني هو (إسماعيل بن إبراهيم بن هود الواسطي الضرير). قال أبو حاتم: كان جهمياً فلا أحدث عنه. وقال الدارقطني: ليس بالقوي. انظر: **"ميزان الاعتدال في نقد الرجال"** (1/ 215). تأليف شمس الدين الذهبي. تحقيق علي محمد البجاوي. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، 1382 هـ - 1963 م.

58) رواه البيهقي عن مَعقِلِ بنِ يَسارٍ قال: **جاءَ رَجُلٌ إلَى رسولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسولَ الله، إنّي أصَبتُ امراةً ذاتَ حَسَبٍ ومَنصِبٍ ومالٍ إلّا أنَّها لا تَلِدُ، أفأتَزوَّجُها؟ فنَهاه رسولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، ثُمَّ أتاه الثانيةَ فقالَ له مِثلَ ذَلِك، فنَهاه، ثُمَّ أتاه الثالِثَةَ فقالَ له مِثلَ ذَلِك، فقالَ رسولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: " تَزَوَّجوا الوَلودَ الوَدودَ؛ فإنّي مُكاثِرٌ بكُمُ الأُمَمَ"**.

59) رواه النسائي عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ، قَالَ: **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَمَنْصِبٍ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَنَهَاهُ، فَقَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ»**

60) رواه عن يزيد بن هارون (عبد الرحمن بن خالد بن يزيد القطان) ، قال النسائي: لا بأس به ، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: **"تهذيب الكمال"** للمزي.

61) رواه عن يزيد بن هارون (أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ) عند كل من ابن حبان وأبي داود ، وهو ثقة ، من رجال مسلم.

فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة". أخرجه الخطيب عن الفضل بن أحمد الزُّبيدي[62] ، وإسناده جيد[63،64]. [شمطاء: الشمط هو بياض شعر الرأس يخالط سواده].

وري الحديث من طريق خلف بن خليفة عن حفص بن عمر عن أنس بن مالك: قَالَ: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُر بِالباءَةِ، وَيَنْهَى عَنِ التَّبَتُّلِ نَهْياً شَدِيداً، وَيَقُولُ: "تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ، فَإِنِّي مكاثر الأنبياء يوم القيامة**". أخرجه ابن حبان في صحيحه. ورواه أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ كما قال الهيثمي فى مجمع الزوائد ، وهو صحيح لغيره.[65،66] (الباءة: الزواج. التَّبَتُّل: الانقطاع عن الدنيا ، وترك الزواج من أجل العبادة).

وروي الحديث من طرق أخرى وبألفاظ مختلفة ، لكنها ضعيفة[67].

---

62) قال ابن كثير: [حديث من «تاريخ الخطيب» في ترجمة الفضل بن أحمد الزُّبيدي -ثقة-، قال: حدثنا زياد بن أيوب، قال ابن عُليَّة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمرَ، عن عمرَ : أنَّه تزوَّج امراةً، فأصابَها شمطاءَ، فطلَّقها، وقال: حَصيرٌ في بيتٍ، خيرٌ من امرأةٍ لا تَلِدُ، واللهِ ما أقربُكُنَّ شهوةً، لكنِّي سَمِعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول: «تزوَّجُوا الودُودَ، الولُودَ، فإنِّي مكاثِرٌ بكم الأُممَ يومَ القيامةِ». رواه عنه ابن شاهين، وأبو محمد ابن معروف، وذَكَره الدارقطني، فقال: ثقة مأمون]. انظر: **"مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم"** (2/ 132). تأليف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. تحقيق عبد المعطي قلعجي. دار النشر: دار الوفاء – المنصورة. الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م

63) انظر: **"كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال"** (16/ 487). تأليف علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الشهير بالمتقي الهندي. تحقيق بكري حياني - صفوة السقا. مؤسسة الرسالة. الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م

64) رواة هذا الحديث كلهم ثقات ، وهذا بيان ذلك:

(الفضل بن أحمد الزبيدي): هو: أَبُو العَبَّاسِ الفَضْلُ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَنْصُوْرِ بنِ ذيَّالٍ الزُّبَيْدِيُّ، البَغْدَادِيُّ. قال عنه الذهبي: المُحَدِّثُ، الثِّقَةُ، بَقِيَّةُ المَشَايِخِ، رَوَى عَنْهُ: أَبُو الفَتْحِ القَوَّاسُ، وَابْنُ مَعْرُوْفٍ القَاضِي، وَمُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرٍ النَّجَّارُ، وَأَبُو الحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ. وَقَالَ: هُوَ ثِقَةٌ، مَأْمُوْنٌ. قُلْتُ: العَجَبُ أَنَّهُم مَا أَرَّخوا وَفَاتَه [سير أعلام النبلاء (14/ 528)]

(زياد بن أيوب): هو زياد بن أيوب بن زياد الطوسى البغدادى. وهو من رجال البخاري. قال عنه الذهبي: الإِمَامُ، المُتْقِنُ، الحَافِظُ الكَبِيْرُ [سير أعلام النبلاء (12/ 120)]

و(ابن علية): هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدى. وهو من رجال البخاري ومسلم. قال عنه الذهبي: الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ، الثَّبْتُ [سير أعلام النبلاء (9/ 107)]

و(أيوب): هو أيوب بن أبى تميمة : كيسان السختيانى ، أبو بكر البصرى. وهو من رجال البخاري ومسلم. وقال عنه الذهبي هو: الإِمَامُ، الحَافِظُ، سَيِّدُ العُلَمَاءِ [سير أعلام النبلاء (6/ 15)]

و(نافع): هو نافع أبو عبد الله المدنى ، مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب. وهو الإِمَامُ، المُفْتِي، الثَّبْتُ، عَالِمُ المَدِيْنَةِ [سير أعلام النبلاء (5/ 95)]

65) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** (4/ 258)

66) **هذا حديث صحيح لغيره:** "خلف بن خليفة" صدوق من رجال مسلم إلا أنه اختلط بأخرة، وباقي رجاله ثقات. وأخرجه سعيد بن منصور في سننه، وأحمد والبيهقي من طرق عن خلف بن خليفة، بهذا الإسناد. وأورده الهيثمي في المجمع ، وزاد نسبته إلى الطبراني في الأوسط، وحسن إسناده! وله شاهد من حديث معقل بن يسار وآخر من حديث عبد الله بن عمر عند أحمد ، فيتقوى بهما ويصح (صحيح لغيره). انظر تعليق شعيب الأرنؤوط على: **"صحيح ابن حبان"** (9/ 338)

ويرى الألباني أيضا أن هذا الحديث صحيح لغيره ، حيث قال: «أخرجه ابن حبان فى " صحيحه " وأحمد والطبرانى فى " الأوسط " ، وكذا سعيد ابن منصور فى " سننه " والبيهقى من طريق خلف بن خليفة عن حفص ابن أخى أنس بن مالك عن أنس قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة ، وينهى عن التبتل نهيا شديدا ، ويقول ... " فذكره بلفظ: " الأنبياء " بدل " الأمم ". وقال الطبرانى: " لم يروه عن حفص ابن أخى أنس إلا خلف". قلت: قال الحافظ فى " التقريب ": " صدوق ، اختلط فى الآخر ، وادعى أنه رأى عمرو بن حريث الصحابى ، وأنكر عليه ذلك ابن عيينة وأحمد ". وقال أحمد فى الموضع الثانى المشار إليه من " المسند ". " وقد رأيت خلف بن خليفة ، وقد قال له إنسان: يا أبا أحمد! حدثك محارب ابن دثار؟ قال أحمد: فلم أفهم كلامه كان قد كبر فتركته ". قلت: فعلى هذا فقول الهيثمى فى " المجمع " بعد ما عزاه لأحمد والأوسط: " وإسناده حسن ". هو غير حسن. نعم للحديث شواهد كثيرة خرجت بعضها فى " آداب الزفاف فى السنة المطهرة " (ص 55)، فهو بها صحيح». انظر: **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** (6/ 195) »

67) روى النسائي فى السنن الكبرى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْوَدُودُ، الْوَلُودُ، الْعَؤُودُ عَلَى زَوْجِهَا، الَّتِي إِذَا آذَتْ أَوْ أُوذِيَتْ، جَاءَتْ حَتَّى تَأْخُذَ بِيَدَ زَوْجِهَا، ثُمَّ تَقُولُ وَاللهِ لَا أَذُوقُ غُمْضًا حَتَّى تَرْضَى**» ورواته ثقات باستثناء العلاء بن هلال (والد هلال بن العلاء) وهو ضعيف. وروى البيهقى فى السنن الكبرى عن أبي أُذَينَةَ الصَّدَفِيّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قال: **"خَيرُ نِسائكُمُ الوَدودُ الوَلودُ المُواتيَةُ المُواسيَةُ إذا اتَّقَينَ اللَّهَ، وشَرُّ نِسائكُمُ المُتَبَرِّجاتُ المُتَخَيِّلاتُ؛ وهُنَّ المُنافِقاتُ، لا يَدخُلُ الجَنَّةَ مِنهُنّ إلَّا مِثلُ الغُرابِ الأعصَمِ".** وفي سنده أبو صالِحٍ عبدُ اللَّهِ بن صالِحٍ ، وفيه لين: قال ابن القطان : هو صدوق ، و لم يثبت عليه ما يسقط له حديثه ، إلا أنه مختلف فيه ،

ج-حرمة تغيير خلق الله

وسائل تحديد النسل الحديثة تحدث تغييرا في خلق الله لأنها تسبب اضطرابات في فسيولوجيا الجسم وطريقة عمله وربما فى تركيبه أو تشريحه. وتغيير خلق الله جريمة من أكبر الجرائم التي أقسم إبليس أن يوقع فيها بني آدم: {لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا} [النساء: 118، 119].

ويجب أن نعلم أن جسد الإنسان ليس ملكا للإنسان ، ولكنه ملك لله. وقد خلق الله تعالى الجسم بطريقة معينة. **وليس من حق أحد أن يعدل التصميم الذي وضعه الله ، فمن حيث المبدأ لا يحق لأحد أن يغير من شيء لا يملكه حتى لو كان واثقا أن التغيير الذي سيدخله هو الأحسن.** وهل يمكن لفنان أن يدخل معرضا لفنان آخر ، فيمسك بريشته ، ويجري تعديلات على الصور والألوان دون استئذان صاحب اللوحات؟ أقل ما يوصف به هذا العمل أنه وقاحة ، ولا يمكن لأحد أن يلوم صاحب اللوحة إن رفع قضية على هذا الفنان المتطفل مطالبا إياه بالتعويض. ولن ينصت القاضي للفنان المتهم إن أكد أنه كان يحاول بحسن نية إضفاء لمسة جمال على اللوحة. وحتى لو أجمع كل فناني العالم على أن اللوحة ستكون أجمل إن تم تغيير أحد الألوان فيها ، فلن يبرأهم هذا أمام القضاء. وبالمثل نقول أن من أراد أن يغير جسم الإنسان ، فهو يتعدي على ملك الله تعالى وإبداعه.

وقد تقول المرأة في نفسها: هل أخطأ الله حين جعلني أحمل وألد كثيرا؟ ألم يكن الله قادرا على أن يخلق آليات طبيعية فسيولوجية تجعل الحمل مستحيلا بعد الولادة لمدة ثلاثة أو أربعة أعوام حتى يكبر الطفل الرضيع وأسترد صحتي دون الحاجة لاستعمال حبوب منع الحمل؟

قد يبدو هذا السؤال وجيها لمن يفكر بطريقة سطحية ، لكن بقليل من التأمل ندرك أن الله تعالى لو فعل ذلك لكانت كارثة لأن تاريخ البشرية لم يبدأ في القرن العشرين ، بل بدأ منذ أكثر من مليون

فحديثه حسن. وقال ابن حبان : منكر الحديث جدا ، يروى عن الأثبات ما ليس من حديث الثقات ، وكان صدوقا فى نفسه ، وإنما وقعت المناكير فى حديثه من قبل جار له كان يضع الحديث على شيخ عبد الله بن صالح ، ويكتب بخط يشبه خط عبد الله ، ويرميه فى داره بين كتبه ، فيتوهم عبد الله أنه خطه فيحدث به [**"تهذيب التهذيب"** (5 / 260).] وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبى عنه ، فقال : كان أول أمره متماسكا ثم فسد بأخرة ، وليس هو بشىء ، قال : وسمعت أبى ذكره يوما فذمه وكرهه (**تهذيب الكمال** 15 / 101). وقال الذهبي: قَدْ شَرَحْتُ حَالَهُ فِي (مِيْزَانِ الاعْتِدَالِ) ، وَلَيَّنَّاهُ. وَبِكُلِّ حَالٍ، فَكَانَ صَدُوْقاً فِي نَفْسِهِ، مِنْ أَوْعِيَةِ العِلْمِ، أَصَابَهُ دَاءُ شَيْخِهِ ابْنِ لَهِيْعَةَ، وَتَهَاوَنَ بِنَفْسِهِ حَتَّى ضَعُفَ حَدِيْثُهُ، وَلَمْ يُتْرَكْ بِحَمْدِ اللهِ، وَالأَحَادِيْثُ الَّتِي نَقَمُوهَا عَلَيْهِ مَعْدُوْدَةٌ فِي سَعَةِ مَا رَوَى [**سير أعلام النبلاء** (10/ 405)].

سنة. وفي العصور القديمة كانت الأمراض فتاكة قبل اختراع العقاقير ، ولهذا منح الله تعالى المرأة قدرة على إنجاب عدد كبير من الأطفال لتعويض معدلات الوفاة المرتفعة الناشئة عن الأوبئة والأمراض ، ولولا ذلك لانقرض البشر منذ زمن طويل. إذن الله تعالى لم يخطيء حين ابتلى المرأة بكثرة الحمل. هذا ليس عيبا في التصميم ، بل حكمة بالغة.

وقد تقول المرأة: "ولكن نحن الآن نعيش في القرن الحادي والعشرين ، وقد نجح الطب في علاج آلاف الأمراض ، وانخفضت وفيات الأطفال ، ولم تعد البشرية بحاجة لكثرة الإنجاب لأن الأعداد القليلة التى تولد ستبقى حية في الغالب".

ونحن نقول: ومن أدراك أن الله تعالى حين كتب عليك كثرة الولادة كان يهدف فقط إلى حماية البشرية من الانقراض؟ لماذا لا يكون لديه أكثر من مقصد؟

أليس من المحتمل أن الله تعالى أراد أن تتألم المرأة لأنه كتب الألم على كل إنسان؟ لقد خلق الله الناس ليختبرهم ، حتى يتبين الصالح من الفاسد ، والمطيع من العاصي. ولا بد من وجود الآلام والمصائب حتي يتبين أي الناس يصبر ، وأيهم يجزع. كل واحد منا يقول: "أنا أرضى بقضاء الله، وأتقبل ما كتبه عليَّ" ، فإذا ابتلي بمرض ، تغير ، وضج بالشكوى ، وسخط لأنه وحده المريض ومن حوله ينعمون بالصحة. والألم ليس فقط اختبارا لمن يتألم ، ولكنه اختبار لمن حوله ، فالمرأة المريضة مثلا قد تطلب مساعدة من جارتها ، فترأف بحالها ، أو تتهرب منها.

ويجب أن نعلم أن الله عز وجل لم يشأ أن يخلق الإنسان كاملا. فمثلا قدرة الإنسان على القفز أقل من قدرة البرغوث ، وقدرته على تحمل العطش أقل من قدرة الجمل ، وقدرته على الحياة داخل الماء أقل من قدرة السمكة ، وقدرته على الطيران أقل من قدرة العصفور. ومن الحماقة أن يظن البعض أن هذه عيوب في صنع جسم الإنسان. هذه ليست عيوبا ، بل توزيعا للأرزاق. ولو جعل الله الإنسان مخلوقا كاملا لاغتر ولنسي ربه. إن ضعف قدرات الإنسان تمثل عونا له على نوازعه الشريرة التي تجعله يسارع إلى الاستغناء عن خالقه إن أحس في نفسه قوة وبطشا. وكلنا نلاحظ أن الإنسان في الغالب يغفل عن ربه ، ولا يذكره إلا في لحظات الضعف. وربما جعل الله تعالى المرأة تحمل وتلد كثيرا كي يساعدها على التوبة والتخلص من الذنوب. كثرة الحمل من هذه الوجهة نعمة ، لا نقمة.

ومن المعروف أن المرأة تميل للغيبة والنميمة ، وتكثر من مقارنة نفسها وأولادها بالآخرين. وانشغالها بالحمل والولادة يجعلها تبتعد عن هذه الذنوب. وفي القرى كنا نلاحظ أن النساء المشهورات بالحقد والحسد والغيبة هن من العجائز ، اللائي كبر أولادهن ، وتفرغن لتتبع عورات الناس وعيوبهم ونعمهم. أما المرأة الشابة المثقلة بخدمة الأولاد فلم يكن لديها وقت لذلك.

ولماذا لا نفترض أيضا أن الله تعالى أراد أن يثقل المرأة بالحمل المتتابع لأنها إن تخلصت من أعبائه وأعباء الأولاد تفرغت لجمالها ، فيزيد معدل الجمال بين الناس أكثر من اللازم ، فيكون هذا سببا لانتشار الزنا؟ ومن الملاحظ أنه كلما كثرت الجميلات اللائي يقابلهن الرجل في طريقه اشتعلت رغبته ، وحدثته نفسه بما يغضب ربه ، ولهذا اقتضت حكمة الله ألا يزيد الجمال في الأرض عن حد معين. وإحدى الآليات لإحداث ذلك أن تنشغل المرأة بالحمل. ونحن نرى الآن كيف أصبح الجمال هو الشغل الشاغل للمرأة المتزوجة حتى سن الأربعين والخمسين ، وذلك لأنها تخففت كثيرا من أعباء الأولاد بسبب وسائل منع الحمل.

وبالمثل لو قل عدد الأولاد لدى الرجل لكثر المال في يده ، ولأتلفه فيما يضره كالخمر والمخدرات. والرجل المرتاح يفكر هو الآخر في النساء ، وهذا دافع للزنا. أما الرجل الكثير الأولاد، فهو منهمك طوال اليوم في عمله كي يوفر الطعام لأولاده ، وليس لديه الفراغ لينشغل بالجميلات. وحتى إن كان لديه فراغ فليس لديه المال لينفق علي مظهره وزينته كي يعجبهن ، وليس لديه المال الذي يغريهن به كي يقبلن تودده.

وهناك حكمة أخرى ، فكثرة الأولاد تدفع الرجل للعمل والتعب كي يطعمهم ، ويجمع لهم ثروة تغنيهم بعد مماته ، وهذا يؤدي لتعمير الأرض ، وكثرة المشروعات ، وقيام الحضارات. التاجر الكثير الأولاد سيعمل دائما على توسيع تجارته. والنجار الكثير الأولاد سيعمل على تكبير ورشته. والفلاح الكثير الأولاد سيعمل على اقتناء مزيد من الأرض أو تأجيرها من الآخرين. أما من لديه ولد واحد أو اثنين فلن يتعب نفسه كثيرا لأن قليلا من العمل يكفي أولاده. ومن ليس لديه أولاد سيصاب بالاكتئاب ، ويقول: "لماذا أعمل وأتعب ، وليس لي أولاد يرثونني من بعدي؟

وهكذا فيمكن تصور وجود حِكم متعددة لله من كثرة الحمل والولادة. واعلم أن ما تجزم بأنه نقص وعيب في الصنع قد يكون في الحقيقة ميزة وكمالا. إن نظر فنان مبتديء إلى آلة لهدم المباني

لقال ممتعضا: "كيف تُطلى هذه الآلة بهذا اللون الكئيب؟ لو كان الأمر بيدي لطليتها بألوان مبهرة جذابة". وقطعا سيموت العامل الذي يشغل آلة الهدم من الضحك لأن الألوان الجميلة ستتعرض للتشويه بسبب الغبار الناشيء عن الهدم ، ولا بد من طلاء الآلة بلون كئيب يتناسب مع العوامل التي تسبب الاتساخ. وعلى ذلك فإن ظن الإنسان أن قلة الإنجاب ستجعل الحياة أكثر بهجة فهو مخطيء لأن هناك زوايا أخرى لا ينظر الناس إليها ، لكن الله عز وجل يأخذها في اعتباره.

إذن تغيير خلق الله حرام. **ومن حق الإنسان أن يغير خلق الله فقط في حالة المرض لأن الله أمر بالتداوي ، لكن تغيير خلق الله الطبيعي السليم حرام**. إن خلق الله الطبيعي السوي الفسيولوجي خط أحمر ، لا يجوز الاقتراب منه. ومسموح للإنسان أن يعدل في خلق الله فقط كي يجعله مشابها للحالة السوية الموجودة عند بقية الناس. بعبارة أخرى: **يجوز للإنسان أن يغير خلق الله كي يحول المريض إلى سليم ، لكن لا يجوز له أن يغير خلق الله ليحسن الجسد السليم**. يمكن للعلماء مثلا أن يُدخلوا جينا سليما إلى جنين أو إنسان مريض كي ينقذه من مرض مميت، لكن لا يجوز للعلماء أن يطمعوا في تحسين صفات الإنسان الطبيعي بأن يدخلوا جينا يزيد قوة عضلاته ليصبح كالأسد ، أو يغير من لون بشرته ، أو يجعله يحصل على الطاقة من الشمس مثل النبات. ومن البديهي أيضا أن تغيير خلق الله يجوز إن أوصت بذلك الشريعة كما في حالة الختان.

وعلى ذلك نقول أن **تغيير خلق الله جريمة كبرى لسببين رئيسيين:** أولا أن الإنسان لا يملك الجسد كي يغيره. ثانيا أن الإنسان علمه قاصر ، ولذا فمن المتعذر عليه في كثير من الأحيان أن يعلم الحكمة التى من أجلها خلق الله خلقه ببعض أوجه النقص الظاهرة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

د- حرمة إتلاف أعضاء الجسم

إتلاف جزء من جسم الإنسان حرام. ولهذا فإجراء عمليات التعقيم لمنع الإنجاب مدى الحياة يخالف تعاليم الدين. ويتم التعقيم بوسائل منها ربط قناة فالوب عند المرأة أو ربط القناة المنوية عند الرجل. **وهذه الجراحات مرفوضة لأنها تدمر أحد أعضاء الجسم. ومن يجري لنفسه عملية تعقيم ، فهو لا يختلف عمن قرر يوما أن يفقأ عينه ، أو يبتر ساقه ، أو يقطع لسانه.**

ولقد حرم الله تعالى قطع عضو من أعضاء الحيوان هو الأذن حين أخبرنا أن هذا من عمل الشيطان: { لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا} [النساء: 118، 119].

وإذا كان قطع أذن حيوان حرام ، فما بالك بمن يقطع أو يتلف عضوا من أعضاء إنسان؟ وما بالك بمن يتلف عضوا من أعضاء جسمه؟ وما بالك إن كان هذا العضو أغلى من الأذن كأعضاء الجهاز التناسلي؟ الحرمة هنا قطعا أشد. إن الآية الأخيرة تعتبر دليلا مباشر – بل أقوي من الدليل المباشر– على حرمة جراحات التعقيم.

إن الإنسان يجب أن يقابل نعمة الله بالشكر ، وليس بالجحود. قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان: 12]. وقال أيضا: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ} [إبراهيم: 28، 29].

ولا شك أن الجهاز التناسلي السليم نعمة من الله ، فهناك من البشر ملايين مصابون بالعقم ، ويتمنى الواحد منهم لو باع كل ما يملك من أجل أن يكون له طفل من صلبه. وهذا يجعل **العاقل يشكر الله على نعمة الإنجاب ، لا أن يتخلص منها بالتعقيم.** وما قولك في رجل قرر يوما أن يسحب كل أمواله من البنوك ، ثم وضعها أمامه في الحديقة ، وأشعل فيها النيران؟

من منحه الله تعالى نعمة فعليه أن يستغلها ، ولا يضيعها. إن منحك الله الذكاء فعليك أن تستغله فى العلوم والاختراعات ، وليس بأن تشرب الخمر التى تذهب عقلك. وبالمثل إن منحك الله تعالى نعمة الخصوبة فاستمر في الإنجاب ، ولا تقرر يوما التخلص من قوتك التناسلية.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

هـ- وسائل منع الحمل أدت لانتشار الزنا

لا بد أنك شاهدت يوما فيلما عربيا ، يدور حول مأساة فتاة وقعت في الزنا ، ثم حملت ، فاسودت الدنيا في عينيها ، وانتحرت كي تتخلص من العار. اليوم لم يعد أحد يسمع عن مثل هذه المآسي بسبب استخدام الزواني لوسائل منع الحمل. قديما كانت المرأة تخاف أشد الخوف من الزنا حتى لا تحمل ، أما اليوم فيمكن للواحدة أن تتنقل بين الرجال كل يوم ، دون أن يكتشف أحد أمرها. وكم من بغيّ تسير بيننا ، فتلقى كل التقدير والاحترام من الناس ، وهم لا يعرفون ما تفعله في الخفاء.

لقد انكسر أهم حاجز بين الناس والزنا بسبب وسائل منع الحمل. ولو كانت وسائل منع الحمل مثل المخدرات التي لا يجوز للصيدلي أن يبيعها للمرأة إلا بوصفة طبية لقل كثيرا معدل حدوث الزنا في المجتمع.

إن **وسائل منع الحمل لا تقل خطورة عن التبرج وإطلاق البصر.** لقد حرم الإسلام التبرج والنظر إلى الجنس الآخر بشهوة ، رغم أن هذه الأشياء في ذاتها لا تضر ، ولكن سبب حرمتها أنها تقود بقوة إلى الزنا. ولا شك أن **وسائل منع الحمل سهلت الزنا بدرجة لا تقل عن التبرج والنظر بشهوة.** وهذا سبب كاف لتحريم تداولها بغير وصفة طبيب.

إن القانون يعاقب من يتستر على الجرائم ، وحبوب منع الحمل تخفي جريمة الزنا ، وتتستر عليها. وما قولك في أربعة رجال شاهدوا واقعة زنا ، فتكتموا عليها؟ ألا يعد هؤلاء مجرمون رغم أنهم لم يفعلوا الفاحشة؟

إنني في غاية الدهشة من تساهل المسلمين بهذا الشكل الغريب مع وسائل منع الحمل رغم أنها أهم سلاح في أيدي الزواني. ألا تعلمون أنهم في الدول الأجنبية يوزعون الواقي الذكري ووسائل منع الحمل على المراهقين والمراهقات في المدارس حتى يمارسوا الجنس دون خوف من حدوث الحمل؟ هذا هو الدور الحقيقي لوسائل منع الحمل: نشر الزنا بين الناس. انتبهوا أيها السادة.

و- العزل وحده هو المباح

يرى كثير من الفقهاء أن وسائل منع الحمل الحديثة كاللولب حلال قياسا على العزل. والعزل Coitus interruptus هو وسيلة بدائية لمنع الحمل ، تتم بإخراج الرجل لذكره من فرج المرأة قبل نزول المني حتى لا يحدث الحمل. **وجمهور الفقهاء يرى أن العزل مباح ، ولكنهم اشترطوا موافقة الزوجة**. وقالوا أن الْحُرَّةَ لَا يَعْزِلُ عَنْهَا إِلَّا بِإِذْنِهَا وَأَنَّ الْأَمَةَ يَعْزِلُ عَنْهَا بِغَيْرِ إِذْنِهَا. وهذا ما اتفق عليه أتباع مذهب أحمد ومالك وأبو حنيفة. أما الشافعية فرأى بعضهم جَوَازِ الْعَزْلِ عَنِ الْحُرَّةِ بِغَيْرِ إِذْنِهَا ، بينما اشترط آخرون موافقة الزوجة على العزل[68].

وقد لخص أبو حامد الغزالي مختلف الاتجاهات الفقهية حول العزل ، فقال: «اختلف العلماء في إباحته وكراهته على أربعة مذاهب ، فمن مبيح مطلقاً بكل حال ، ومن محرم بكل حال ، ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها ، وكأن هذا القائل يحرم الإيذاء دون العزل ، ومن قائل يباح في المملوكة دون الحرة»[69].

وسنتعرض الآن للنصوص التي تناولت العزل ، ثم نبين رأينا فيه ، وفي وسائل منع الحمل الحديثة:

نصوص في العزل

- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كُنَّا نَعْزِلُ وَالقُرْآنُ يَنْزِلُ**» متفق عليه. وروى البخاري عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «**كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**». وفي رواية أخرى للبخاري عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «**كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالقُرْآنُ يَنْزِلُ**».

وهذه الأحاديث تفيد أن العزل حلال ، فلو كان حراما لنزل القرآن ليخبر المسلمين بحرمته ، أو لنهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام فى أحاديثه. وهذا الصمت في رأي جابر معناه الموافقة. لكن في رواية أخرى لمسلم عن جابر أن الرسول عليه الصلاة والسلام علم بالعزل ،

68) احتج هؤلاء بِحَدِيثٍ عَن عمر أخرجه أَحْمد وبن مَاجَهْ بِلَفْظِ نَهَى عَنِ الْعَزْلِ عَنِ الْحُرَّةِ الا بإذنها ، ولكن في إسناد هذا الحديث بن لَهِيعَةَ ، وهو ضعيف. انظر: "**فتح الباري شرح صحيح البخاري**" لابن حجر العسقلاني (9/ 308).

69) **إحياء علوم الدين** (2/ 51). تأليف أبو حامد الغزالي. دار المعرفة - بيروت

فلم ينه عنه ، وهذا يعني أنه حلال: «**كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَنْهَنَا**».

- هناك روايات أخرى تبيح العزل بألفظ صريحة ، فقد روي أن رجلا كان لديه جارية ، وكان يجامعها ، لكنه كان لا يريدها أن تحمل ، فلجأ للعزل ، فأباحه الرسول عليه الصلاة والسلام له ، على اعتبار أن العزل لا يمنع قدر الله ، فحملت المرأة بعدها:

عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ **رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ لِي جَارِيَةً، هِيَ خَادِمُنَا وَسَانِيَتُنَا، وَأَنَا أَطُوفُ عَلَيْهَا، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ تَحْمِلَ، فَقَالَ: «اعْزِلْ عَنْهَا إِنْ شِئْتَ، فَإِنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»، فَلَبِثَ الرَّجُلُ، ثُمَّ أَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ الْجَارِيَةَ قَدْ حَبِلَتْ، فَقَالَ: «قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا**» رواه مسلم.

وفي لفظ آخر لمسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: **سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي جَارِيَةً لِي، وَأَنَا أَعْزِلُ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ ذَلِكَ لَنْ يَمْنَعَ شَيْئًا أَرَادَهُ اللهُ» قَالَ: فَجَاءَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْجَارِيَةَ الَّتِي كُنْتُ ذَكَرْتُهَا لَكَ حَمَلَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»**.

(خَادِمُنَا): الخادم كلمة تستخدم مع المذكر والمؤنث بمعنى الشخص الذي يخدم الآخرين. **(سَانِيَتُنَا)**: أَيِ الَّتِي تَسْقِي لَنَا شَبَّهَهَا بِالْبَعِيرِ. والسانية: المستقية من الدواب وغيرها. **(أطوف عليها)**: أجامعها [70].

- عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَرَأَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ العَزْلِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: **خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ، فَأَصَبْنَا سَبْيًا مِنْ سَبْيِ العَرَبِ، فَاشْتَهَيْنَا النِّسَاءَ، وَاشْتَدَّتْ عَلَيْنَا العُزْبَةُ وَأَحْبَبْنَا العَزْلَ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَعْزِلَ، وَقُلْنَا نَعْزِلُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَبْلَ أَنْ نَسْأَلَهُ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَفْعَلُوا، مَا مِنْ نَسَمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِلَّا وَهِيَ كَائِنَةٌ»** متفق عليه ، واللفظ للبخاري. وفي رواية مسلم: عَنِ أبي سعيد الخدري: **غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ بَلْمُصْطَلِقِ، فَسَبَيْنَا كَرَائِمَ الْعَرَبِ، فَطَالَتْ عَلَيْنَا الْعُزْبَةُ، وَرَغِبْنَا فِي**

70) "**إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**" (4/ 620). تأليف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل. تحقيق الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر. الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م

الْفِدَاءِ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَسْتَمْتِعَ وَنَعْزِلَ، فَقُلْنَا: نَفْعَلُ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا لَا نَسْأَلُهُ، فَسَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ «لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا، مَا كَتَبَ اللهُ خَلْقَ نَسَمَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا سَتَكُونُ»

(أصبنا سبيا): أسرنا بعض الناس من الأعداء. **(اشتدت علينا العزبة)**: اشتدت رغبتنا في الجماع. **(ما عليكم أن لا تفعلوا)**: ما عليكم ضرر في ترك العزل. **(بين أظهرنا)**: موجود بيننا. يقال: أقام بَين ظهريهم وظهرانيهم وأظهرهم ، أي بَينهم. **(نَسَمَةٌ)**: إنسانٌ. وتَنَسَّمَ، أي تنفَّس. **(كرائم العرب)**: النفيسات منهن. **(بلمصطلق)**: بني المصطلق.

وعَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: أَصَبْنَا سَبْيًا، فَكُنَّا نَعْزِلُ، فَسَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**أَوَإِنَّكُمْ لَتَفْعَلُونَ –قَالَهَا ثَلاَثًا– مَا مِنْ نَسَمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِلَّا هِيَ كَائِنَةٌ**». متفق عليه واللفظ للبخاري. وفى رواية مسلم أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَإِنَّكُمْ لَتَفْعَلُونَ؟ وَإِنَّكُمْ لَتَفْعَلُونَ؟ وَإِنَّكُمْ لَتَفْعَلُونَ؟ مَا مِنْ نَسَمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا هِيَ كَائِنَةٌ**» وفي رواية أخرى لمسلم: قَالَ: «**لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّمَا هُوَ الْقَدَرُ**». وفي رواية لمسلم: "**وَلِمَ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ؟ – وَلَمْ يَقُلْ: فَلَا يَفْعَلْ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ – فَإِنَّهُ لَيْسَتْ نَفْسٌ مَخْلُوقَةٌ إِلَّا اللهُ خَالِقُهَا**". وفي رواية لمسلم: «**مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ خَلْقَ شَيْءٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ**».

- عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: ذُكِرَ الْعَزْلُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**وَمَا ذَاكُمْ؟**» **قَالُوا: الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الْمَرْأَةُ تُرْضِعُ، فَيُصِيبُ مِنْهَا، وَيَكْرَهُ أَنْ تَحْمِلَ مِنْهُ، وَالرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الْأَمَةُ فَيُصِيبُ مِنْهَا، وَيَكْرَهُ أَنْ تَحْمِلَ مِنْهُ، قَالَ: «فَلَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا ذَاكُمْ، فَإِنَّمَا هُوَ الْقَدَرُ»** رواه مسلم.

ويبدو من هذا الحديث أن الناس على عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام كانوا يلجأون للعزل في حالتين: حالة الأمة وحالة المرأة المرضعة. أولا كان بعض الناس يخافون من أن تحمل المرأة وهي ترضع ، لأن الحمل يقلل إدرار اللبن ، فيجوع الطفل. ثانيا أن الجارية إن حملت لم تعد قادرة على خدمة سيدها. كما أن بعض الناس يأنفون من أن يأتيهم ولد من أمة.[71]

71) قال ابن حجر: « فَفِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ سَبَبَ الْعَزْلِ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا كَرَاهَةُ مَجِيءِ الْوَلَدِ مِنَ الْأَمَةِ وَهُوَ إِمَّا أَنَفَةً مِنْ ذَلِكَ وَإِمَّا لِئَلَّا يَتَعَذَّرَ بَيْعُ الْأَمَةِ إِذَا صَارَتْ أُمَّ وَلَدٍ وَإِمَّا لغير ذَلِك كَمَا سأذكره بعد وَالثَّانِي كَرَاهَةَ أَنْ تَحْمِلَ الْمَوْطُوءَةُ وَهِيَ تُرْضِعُ فيضر ذَلِك بِالْوَلَدِ الْمُرْضع». وذكر ابن حجر بعد ذلك سببا آخر محتملا ، وهو الفرار «مِنْ كَثْرَةِ الْعِيَالِ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مُقِلًّا فَيَرْغَبُ عَنْ قِلَّةِ الْوَلَدِ لِئَلَّا يَتَضَرَّرَ بِتَحْصِيلِ الْكَسْبِ». انظر: **"فتح الباري شرح صحيح البخاري"** لابن حجر (9/ 307)

- وعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، أَخْبَرَ وَالِدَهُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّ **رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْزِلُ عَنِ امْرَأَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟» فَقَالَ الرَّجُلُ: أُشْفِقُ عَلَى وَلَدِهَا، أَوْ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ ذَلِكَ ضَارًّا ضَرَّ فَارِسَ وَالرُّومَ»**، وقَالَ زُهَيْرٌ فِي رِوَايَتِهِ: «إِنْ كَانَ لِذَلِكَ فَلَا، مَا ضَارَ ذَلِكَ فَارِسَ، وَلَا الرُّومَ» رواه مسلم.

وهذا الحديث أورده مسلم فى باب "جواز الغيلة وهي وطء المرضع". فالرجل هنا كان يعزل عن امرأته خوفا من أن تحمل ، فيضر الحمل ولدها لأن إدرار اللبن من ثدي الأم يقل أثناء الحمل[72]. وهذه الرواية لا تقول أن العزل حرام ولا حلال ، بل تفيد أن العزل لا فائدة منه لأن جماع المرضعة لا يضر ولدها[73].

- وروى أحمد عن أبي رِفَاعَةَ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ: **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّ لِي وَلِيدَةً، وَأَنَا أَعْزِلُ عَنْهَا، وَأَنَا أُرِيدُ مَا يُرِيدُ الرَّجُلُ، وَأَكْرَهُ أَنْ تَحْمِلَ، وَإِنَّ الْيَهُودَ تَزْعُمُ أَنَّ الْمَوْءُودَةَ الصُّغْرَى الْعَزْلُ، فَقَالَ: «كَذَبَتْ يَهُودُ إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَهُ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَصْرِفَهُ»**[74].

(وليدة): جارية. **(أريد ما يريد الرجل):** أريد أن أجامعها. **(الموءودة):** الطفلة التى كان العرب يقتلونها في الجاهلية خشية الفقر.

العزل مختلف عن الوسائل الحديثة

من الخطأ أن يقول البعض اليوم أن وسائل منع الحمل الحديثة حلال قياسا على العزل. الفرق بين الاثنين كبير ، فطبقا لموقع "ميدسكيب"[75] الطبي الشهير سنجد **أن العزل وسيلة قليلة الفاعلية والكفاءة** ، فنسبة إخفاقه في منع الحمل تبلغ 22% في أول عام ، أى أن أكثر من خُمس من

72) هذا هو الرأي الطبي. وقال النووي: «وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِالْغِيلَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَهِيَ الْغَيْلُ فَقَالَ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ وَالْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنْ يُجَامِعَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ مُرْضِعٌ يُقَالُ مِنْهُ أَغَالَ الرَّجُلُ وأغيل اذا فعل ذلك وقال بن السِّكِّيتِ هُوَ أَنْ تُرْضِعَ الْمَرْأَةُ وَهِيَ حَامِلٌ يُقَالُ مِنْهُ غَالَتْ وَأَغْيَلَتْ قَالَ الْعُلَمَاءُ سَبَبُ هَمِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّهْيِ عَنْهَا أَنَّهُ يَخَافُ مِنْهُ ضَرَرَ الْوَلَدِ الرَّضِيعِ قَالُوا وَالْأَطِبَّاءُ يَقُولُونَ إِنَّ ذَلِكَ اللَّبَنَ دَاءٌ وَالْعَرَبُ تَكْرَهُهُ وَتَتَّقِيهِ». انظر: **" المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"** (10/ 16)

73) وهناك رواية أوضح عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ جُدَامَةَ بِنْتِ وَهْبٍ الْأَسَدِيَّةِ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ، حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ، فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ». رواه مسلم.

74) إسناده ضعيف ، عِلَّته أبو رِفاعة ، فهو مجهول الحال ، واسمه في مواضع أخرى أبو مطيع بن رِفَاعة، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. انظر تعليق محققي **"مسند أحمد"** (18/ 56) ، (17/ 389)

75) **Contraception**. By Frances E Casey; Chief Editor: Richard Scott Lucidi. Last updated October 6, 2020. https://emedicine.medscape.com/article/258507-overview

يستعملونه يحدث لهم حمل في العام الأول (بينما تبلغ نسبة حدوث الحمل مع من لا يستعملون أي وسائل لمنع الحمل 85%). بعبارة أخرى: إن لجأت خمس أسر للعزل فإن أسرة منهم سيحدث لها حمل في العام الأول. **أما وسائل منع الحمل الحديثة فتمتلك قدرة كبيرة على منع الحمل.** على سبيل المثال حقن منع الحمل (التى تعطى كل 3 شهور) معدل إخفاقها يبلغ فقط 0.3% في أول عام. ومعدل الإخفاق مع اللولب يبلغ 0.6% مع بعض أنواع اللولب ، و 0.1% فقط مع أنواع أخرى. وحبوب منع الحملة المركبة معدل الإخفاق لها يبلغ 5%، ويقل معدل الإخفاق إلى 0.1% مع الاستخدام الأمثل للحبوب.

وعلى ذلك فالقياس التالي خاطيء :

1. بما أن العزل مباح (المقدمة الكبرى)
2. وبما أن وسائل منع الحمل الحديثة تشبه العزل (المقدمة الصغرى)
3. إذن وسائل منع الحمل الحديثة حلال (النتيجة)

هذا القياس خاطيء لأن المقدمة الثانية (الصغرى) خاطئة. حقا كل من العزل ووسائل منع الحمل الحديثة متشابهان في النوع (لأن كلا منهما طريقة لمنع الحمل) ، إلا أنهما يختلفان في الشدة والدرجة، وذلك لأن العزل أقل كفاءة بكثير من وسائل منع الحمل الحديثة (أقل بأكثر من أربعين مرة تقريبا). **وفي كثير من الأحيان يختلف الحكم على الشيء تبعا لدرجته وشدته.** على سبيل المثال ضرب الزوجة بالعصا حلال ، لكن ضربها بالسيف حرام ، مع أن كليهما "ضرب". وبالمثل الزواج بامرأتين حلال ، لكن الزواج بخمسة نساء حرام. وهجر الزوجة في المضجع لمدة أربعة أشهر حلال ، بينما هجرها خمسة أشهر حرام. والطلاق إن وقع مرتين يكون رجعيا ، وإن وقع ثلاثا يصبح بائنا. والصيام يومين كل أسبوع حلال، لكن الصيام طوال العام حرام. حقا في بعض الأحيان يسري نفس الحكم على القليل والكثير كما في شرب الخمر ، لكن من أدرانا أن هذا ينطبق على العلاقة بين العزل ووسائل منع الحمل الحديثة؟ لا يوجد نص ديني يقول ذلك.

وعلى ذلك يمكننا أن نقول بكثير من الثقة أن العزل حلال. لكن ليس من حقنا أبدا أن نقول أن وسائل منع الحمل الحديثة حلال.

إننا نرى أن **إباحة العزل تمثل الوسطية** ، فالعزل فعلا يقلل من احتمال حدوث الحمل ، لكنه ليس شديد الفاعلية ، ولهذا فالشعب الذي يعتمد على العزل وحده كوسيلة لمنع الحمل لن يعاني أبدا من نقص السكان ، ولن يخيم عليه يوما شبح الانقراض كما في أوربا الآن.

إن الدولة الإسلامية تشجع مواطنيها على الإنجاب ، لكن **إباحة العزل تمثل منفذا للرحمة بالفقراء ، وميزة هذا المنفذ أنه لا يؤثر بشكل كبير على عدد سكان الدولة ، فبما أن العزل مؤلم للنفس (لأنه يحرم الزوجين من اللذة الكاملة في الجماع) ، فلهذا لن يلجأ إليه أحد ، ولن يداوم عليه أحد بصرامة إلا إذا كان فعلا شديد الفقر ، وليس أمامه حل آخر.** وحتى إن لجأ الزوجان إلى العزل فلن يضمنا منع نزول شيء من المني ، يترتب عليه حدوث الحمل.

إن تحريم وسائل منع الحمل الحديثة يحمي الأغنياء من أنفسهم ، فالأغنياء يكرهون الحمل والولادة لأن ذلك يحرمهم من الاستمتاع بمباهج الحياة ، ولهذا تجدهم يكتفون في الغالب بطفلين أو ثلاثة. أما الفقراء فليس لديهم مباهج ليستمتعوا بها ، وتستوي لديهم الحياة بالحمل أو بدونه. وفي هذا العصر كثرت مباهج الحياة ، وأصبحت في متناول الأغنياء ومتوسطي الحال. **وإن علم الأغنياء ، وعلم عامة الناس في هذا العصر أن الوسيلة الوحيدة المتاحة أمامهم لمنع الحمل هي العزل فسيتركونها غالبا لأنهم كانوا في الأصل يبحثون عن اللذة ، ومن غير المعقول أن يتخلوا عن أهم لذة في الحياة ، ألا وهي لذة الجماع.**

لقد شجع الإسلام المسلمين على التناسل لأن السكان مصدر قوة للدولة الإسلامية ، لكنه في نفس الوقت رأف بحال أشد الناس فقرا ، وترك متنفسا لأولئك الذين يشعرون أن ألم الجوع أشد قسوة من ألم الجماع غير الكامل.

متى يجب رفض العزل

الأحاديث التي تبيح العزل ليست وحدها. هناك أحاديث أخرى ، تشجع المسلمين على إنجاب الأولاد، وهذه الأحاديث يؤديها العقل المستند إلى الواقع السياسي والعسكري والاقتصادي والدعوي كما أوضحنا بالتفصيل. ومن الخطأ النظر لبعض الأحاديث ، وإهمال الأحاديث الأخرى. وعلى ذلك **فلو توافرت الإرادة لدى زوجين شابين للتضحية باللذة الكاملة للجماع ، والالتزام بقية**

حياتهما بالعزل بعد إنجاب طفلين فقط ، فلا يصح العزل لأنه يتعارض مع حديث (فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة).

إن العزل بطبعه وسيلة تتناغم مع دعوة الإسلام لكثرة الإنجاب لأنه يخفق كثيرا في منع الحمل، ولا يستطيع أن يقلل أعداد المسلمين بشكل خطير ، وذلك لأن أغلب الأزواج لا يقدرون على حرمان أنفسهم من المتعة الكاملة للجماع. لكن في تلك الحالات القليلة أو النادرة التي يطيق فيها زوجان شابان ممارسة العزل لسنوات طويلة سيصبح العزل متعارضا مع الأحاديث التي تدعو لكثرة الإنجاب ، وهنا يصبح العزل مرفوضا.

ملاحظات مهمة

1. **الأحاديث التي أباحت العزل تتفق مع رأي الطب الحديث في أن احتمال الحمل وارد جدا مع العزل.** ففي إحدى الروايات قال النبى عليه السلام لمن سأله عن العزل: «اعْزِلْ عَنْهَا إِنْ شِئْتَ، فَإِنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»، فَلَبِثَ الرَّجُلُ، ثُمَّ أَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ الْجَارِيَةَ قَدْ حَبِلَتْ، فَقَالَ: «قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا» رواه مسلم. وفي لفظ آخر لمسلم قَالَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن العزل: «إِنَّ ذَلِكَ لَنْ يَمْنَعَ شَيْئًا أَرَادَهُ اللهُ» قَالَ: فَجَاءَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْجَارِيَةَ الَّتِي كُنْتُ ذَكَرْتُهَا لَكَ حَمَلَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ». وفي رواية أخرى سئل الرسول عن العزل ، فَقَالَ: «مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَفْعَلُوا، مَا مِنْ نَسَمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِلَّا وَهِيَ كَائِنَةٌ» متفق عليه ، وفي رواية لمسلم: «لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا، مَا كَتَبَ اللهُ خَلْقَ نَسَمَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا سَتَكُونُ»
2. **تتفق الأحاديث مع العلم في أن حدوث الحمل لا يتطلب نزول كل الماء من الرجل** (مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ). ومن الممكن جدا حدوث الحمل في ظل وجود السائل الرقيق الذي يسبق نزول المني Prosemen لأنه يكون محتويا على بعض الحيوانات المنوية.
3. **قد يقول قائل: كيف يقول الرسول أن العزل لا يمنع قدر الله؟ وماذا عن وسائل الحمل الحديثة التى تتميز بقدر هائلة على منع الحمل؟** ونحن نقول أن الله تعالى يحكم الكون وفق

مباديء صارمة. ومن أهم المباديء أن الله تعالى امتنع عن التدخل في الكون بشكل فج صارخ، خاصة في العصر الحديث[76].

لقد ترك الله تعالى الأسباب لتعمل عملها في الكون ، وقرر أن يتدخل في الأحداث بشكل لطيف خفي لا يشعر به أحد. ولهذا إن أطلق المجرم رصاصة على قلب رجل صالح ، فإن الله تعالى لن يجعل الرصاصة ترتد إلى المجرم وتقتله بدلا من أن تقتل الرجل الصالح. الله تعالى يترك الصالح يموت ، ثم يحاسب المجرم ، ويعاقبه في الدنيا والآخرة. هذه هي القاعدة. لكن في بعض الأحيان يتدخل الله تعالى بشكل خفي ، فيجعل يد المجرم ترتعش بدرجة لا يلاحظها أحد ، فتحيد الرصاصة بعيدا عن القلب، فيستخرجها الأطباء ، ويعيش الرجل. هنا لن يشعر أحد أن معجزة حدثت ، مع أن الله تعالى تدخل لينقذ الرجل الصالح. وبالمثل لم يشأ الله تعالى أن يتدخل في العصر الحديث ليفقد وسائل منع الحمل فاعليتها الكبيرة ، فقد قرر الله أن يترك البشر يستخدمون الأسباب المادية كما يشاءون ، ليفسدوا في الكون، ويعبثوا بفطرة الله ، ففي النهاية سيأتي حساب لا يبقي ولا يذر. إن من متطلبات الاختبار أن يمنح المعلم الطالب فرصة كاملة وحرية تامة كي يكتب كل ما يحلو له في ورقة الامتحان. المدرس لا ينهر الطالب إن رآه يجيب بشكل خاطيء على أسئلة الامتحان ، بل يتركه يجيب كما يشاء ، وبعد انتهاء الامتحان يبدأ تصحيح الورقة، ليجد الطالب نفسه راسبا، فيذوق عاقبة إهماله.

وعلى ذلك **فالقول بأن العزل لا يمنع قدر الله صحيح لأن العزل وسيلة تفتقر للفاعلية الكبيرة في منع الحمل ، أي أنه "سبب ضعيف" ، ولهذا فأمر الحمل موكول كله إلى الله في حالة العزل. أما وسائل منع الحمل الحديثة الفعالة ، فهي "أسباب قوية" ، وأمرها أيضا موكول إلى الله ، وخاضع لقدره ، ولكن بشكل خفي ، لا يلاحظه أحد.** على سبيل المثال قد تستخدم المرأة اللولب لمنع الحمل ، فيسبب لها نزيفا شديدا ، فتضطر للتخلي عنه ، وتخطط لاستعمال وسيلة أخرى. وفي اليوم الذي اعتزمت فيه الذهاب للطبيب كي يصف لها وسيلة أخرى لمنع الحمل أتاها خبر نجاح ابنها بتفوق ، فانشغلت به ، وأجلت الذهاب إلى الطبيب ليوم آخر، فحدث الحمل في هذه الفترة. وهنا كتب الله لهذه السيدة أن تحمل ، ليس بأن جعل الحمل

---

76) راجع كتابنا **(هل معجزات الأنبياء مستحيلة)** ، فصل بعنوان (لماذا انتهى عصر المعجزات والكرامات). الناشر منصة أمازون للكتب الرقمية. أبريل 2020م رقم أمازون: ASIN: B087G1BFB9

يحدث رغم استخدام وسيلة فعالة لمنع الحمل ، ولكن بأن ألقى في ذهنها حالة من التكاسل والتسويف، فلم تذهب إلى الطبيب ، فحدث الحمل.

وهكذا فالعزل لا يمنع قدر الله ، ووسائل الحمل الحديثة أيضا لا تمنع قدر الله. كل ما في الأمر أن الله تعالى يتدخل بشكل خفي في حالة الوسائل الحديثة حتى لا يشعر الناس أن القوانين المادية والأسباب قد خُرقت وتعطلت. أما العزل ، فهو من الأساس أقل فاعلية ، ولا يختلف أحد على أنه يقع في نطاق قدر الله.

4. **هناك وسيلة طبية لمنع الحمل ، تعتمد على الامتناع عن الجماع في فترة التبويض ، التى تختلف حسب طول الدورة الشهرية لدى كل امرأة.** وهذه تسمي طريقة التقويم Calendar method. وغالبا يكون الامتناع عن الجماع من يوم 10–17 من الدورة الشهرية. وهذه الوسيلة تتميز بأن الجماع إذا حدث فسيكون كاملا والمتعة تامة ، لكن الزوجين سيمتنعان تماما عن الجماع لمدة أسبوع تقريبا كل شهر. وهذه الوسيلة لها نفس معدل الإخفاق الذي يصاحب العزل ، فهو يبلغ 25% تقريبا (أي أن 25 من بين كل 100 امرأة يستعملن هذه الوسيلة سيحملن في العام الأول). ولهذا فنحن نرى – والله تعالى أعلم– أن هذه الوسيلة مباحة شرعا ، قياسا على العزل ، إذ أنهما يتفقان في انخفاض الفاعلية. لكن ماذا لو احتاج الرجل أو المرأة إلى الجماع في هذه الفترة؟ قد يكون الحل بأن يمارس الزوجان الجماع في هذه الأيام المحظورة مع العزل، ولكن عليهما أن يعلما أن هذا يجعل احتمال حدوث الحمل أكبر.

5. **الواقي الذكري يصاحبه معدل إخفاق يبلغ 14% تقريبا ، أي أنه أكثر كفاءة من العزل،** مع أنه أقل كفاءة من اللولب وغيره من الوسائل الحديثة. ولهذا فنحن نرى أن الواقي الذكري حرام إلا إذا كان الداعي لاستخدامه وقاية أحد الزوجين من عدوى في الجهاز التناسلي لدى الطرف الآخر.

6. طبقا لما سبق سنجد أن **إقامة الفقهاء لفتواهم بخصوص منع الحمل على التفرقة بين تحديد النسل وتنظيم النسل لم تعد ذات أهمية كبيرة.** وتحديد النسل هو امتناع الزوجين عن الإنجاب بعد مجيء عدد معين من الأبناء (اثنين أو ثلاثة مثلا) ، أما تنظيم النسل فهو ترك فترة بين كل حمل والآخر (عامين أو ثلاثة مثلا). ونحن نرى أن الزوجين لن يقدرا في الغالب على مواصلة العزل بقية عمرهما بعد إنجاب طفلين أو ثلاثة ، أي أن تحديد النسل باستخدام العزل

أمر في غاية الصعوبة. وإن قبله أحد الزوجين فسيرفضه الآخر غالبا[77]. ولذا فتحديد النسل سيصبح ظاهرة نادرة أو قليلة الحدوث.

كما أنه في كثير من الأحيان يكون تنظيم النسل وتحديد النسل شيئا واحدا ، فتنظيم النسل يُعرف على أنه ترك مدة بين كل حمل والآخر ، لكن لا أحد من الفقهاء يستطيع أن يقول لنا كم تبلغ هذه المدة؟ ربما يرى البعض أن الفاصل بين الحملين يجب أن يكون عامين ، وقد يرى آخر أن الفاصل يجب أن يكون ست سنوات حتى يكبر الطفل ويشبع من أمه ، وتسترد الأم صحتها، وتتمكن من تعليم ولدها القراءة والكتابة. وهذا سيؤدي في النهاية إلى أن يتحول تنظيم النسل إلى تحديد للنسل لأن الأسرة التى تريد أن تنجب ثلاثة أطفال مثلا ستترك فترة قدرها ست أو سبع سنوات بين كل حمل والذي يليه ، والأسرة التى تريد أن تنجب أربعة أولاد ستترك فاصلا قدره أربع أو خمس سنوات حسب السن الذي تزوجت فيه الأم وحسب مجيء سن اليأس.

وهكذا فنحن نرى أن الفتوى التقليدية التي كانت تقوم على التفرقة بين تنظيم النسل وتحديد النسل يجب أن تتغير لأنها لا تصيب قلب المسألة. والفتوى في رأينا يجب أن تقوم على حرمة وسائل منع الحمل الحديثة الأكثر فاعلية من العزل. هذا يحل المشكلة تماما.

حديث يحرم العزل

رأينا أن الأحاديث التي تبيح العزل كثيرة ، لكن في المقابل هناك حديث يحرم العزل: عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ جُدَامَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، أُخْتِ عُكَّاشَةَ، قَالَتْ: حَضَرْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أُنَاسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ، فَنَظَرْتُ فِي الرُّومِ وَفَارِسَ، فَإِذَا هُمْ يُغِيلُونَ أَوْلَادَهُمْ، فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا»، **ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الْعَزْلِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَلِكَ الْوَأْدُ الْخَفِيُّ»**، زَادَ عُبَيْدُ اللهِ فِي حَدِيثِهِ: عَنِ الْمُقْرِئِ، وَهِيَ: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ}. رواه مسلم.

وهناك عدة احتمالات للخروج من هذا التضارب بين الأحاديث.

77) قلنا في الصفحات السابقة أن من المحتمل أن نقابل زوجين شابين ، اتفقا على العزل كي يكتفوا بطفلين أو ثلاثة فقط ، فإن قدرا على العزل بقية حياتهما فسيكون العزل مرفوضا لأنه يتعارض مع حديث (فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)، وهذان الزوجان لم ينجبا إلا طفلين فقط.

1. أن يكون حديث جدامة قد نسخ الأحاديث التي تبيح العزل.
2. إن صح حديثان ، وتعارضا ، فيجب أن نرفض الحديث الأقل صحة.
3. أن يكون هناك وجه للتوفيق بين هذه الأحاديث المتعارضة.

وسنرى أن من الصعب قبول الاحتمال الأول ، بينما الاحتمال الثالني والثالث أقرب للصحة، ويؤديان إلى نفس النتيجة. فلنناقش كلا من الاحتمالات الثلاث:

الاحتمال الأول:

رأى بعض العلماء أن الحديث الذي يحرم العزل نسخ الأحاديث الأخرى التى تبيحه. وقد تبنى ابن حزم هذا الرأى ، فقال: «مَسْأَلَةٌ: وَلَا يَحِلُّ الْعَزْلُ عَنْ حُرَّةٍ وَلَا عَنْ أَمَةٍ.....وَقَدْ عَلِمْنَا بِيَقِينٍ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فَأَصْلُهُ الْإِبَاحَةُ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا} [البقرة: 29] وَعَلَى هَذَا كَانَ كُلُّ شَيْءٍ حَلَالًا حَتَّى نَزَلَ التَّحْرِيمُ قَالَ تَعَالَى: {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ} [الأنعام: 119]. فَصَحَّ أَنَّ خَبَرَ جُدَامَةَ بِالتَّحْرِيمِ هُوَ النَّاسِخُ لِجَمِيعِ الْإِبَاحَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي لَا شَكَّ فِي أَنَّهَا قَبْلَ الْبَعْثِ وَبَعْدَ الْبَعْثِ، وَهَذَا أَمْرٌ مُتَيَقَّنٌ، لِأَنَّهُ أَخْبَرَ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – أَنَّهُ الْوَأْدُ الْخَفِيُّ، وَالْوَأْدُ مُحَرَّمٌ، فَقَدْ نَسَخَ الْإِبَاحَةَ الْمُتَقَدِّمَةَ بِيَقِينٍ. فَمَنْ ادَّعَى أَنَّ تِلْكَ الْإِبَاحَةَ الْمَنْسُوخَةَ قَدْ عَادَتْ، وَأَنَّ النَّسْخَ الْمُتَيَقَّنَ قَدْ بَطَلَ فَقَدْ ادَّعَى الْبَاطِلَ، وَقَفَا مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ»[78].

ونحن نرفض رأي ابن حزم لعدة أسباب:-

أولا: حديث جابر بن عبد الله يفهم منه أن إباحة العزل كانت أمرا دائما ، لم يتغير طوال حياة الرسول عليه الصلاة والسلام. وراجعوا معى نص الحديث: «كُنَّا نَعْزِلُ وَالقُرْآنُ يَنْزِلُ». متفق عليه. وفي رواية: «كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواه البخاري. وفي رواية أخرى: «كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالقُرْآنُ يَنْزِلُ» رواه البخاري. وروى مسلم: «كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَنْهَنَا»

ثانيا: لا توجد رواية تقول أن الرسول عليه الصلاة والسلام أباح العزل ثم حرمه.

78) **المحلى بالآثار** (9/ 222). تأليف أبو محمد علي بن حزم الظاهري. دار الفكر – بيروت. بدون طبعة ، وبدون تاريخ.

ثالثا: نحن لا نعرف السَّنة التي قيل فيها حديث جدامة كي نقول أنه نسخ حديث العزل الذي نزل في غزوة بني المصطلق. يقول ابن القيم ردا على من قالوا بالنسخ: «وَدَعْوَى هَؤُلَاءِ تَحْتَاجُ إِلَى تَارِيخٍ مُحَقَّقٍ يُبَيِّنُ تَأَخُّرَ أَحَدِ الْحَدِيثَيْنِ عَنِ الْآخَرِ وَأَنَّى لَهُمْ بِهِ»[79]

رابعا: لو حرم الرسول العزل بعد أن كان مباحا لكان حريصا على إخبار أكبر عدد من الناس به حتى لا تحدث بلبلة. فلو أخبر الرسول الحكم الجديد لعدد قليل من الناس لانقسم الناس إلى قلة تعتقد أن العزل حرام ، وكثرة تعتقد أنه حلال.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الاحتمال الثاني:

الأحاديث التي تبيح العزل أكثر قوة من الحديث الذي يحرمه ، وذلك لعدة أسباب:

1- **الأحاديث التي تبيح العزل متفق عليها ، أي رواها كل من البخاري ومسلم.** أما الحديث الذي يحرم العزل فقد تفرد به مسلم ، لكن كل رواته[80] من رجال الشيخين باستثناء جدامة بنت وهب ، التى لم يخرج لها البخاري شيئا.
2- **الأحاديث التي تبيح العزل رويت عن اثنين من الصحابة** ، هما أبو سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله ، أما الحديث الذي يحرم العزل ، فقد روي عن صحابية واحدة (جدامة بنت وهب). ولا شك أن احتمال كذب شخصين على الرسول عليه الصلاة والسلام أبعد من احتمال كذب شخص واحد ، بفرض تساوي الثلاثة في التقوى.
3- **أبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله من كبار الصحابة ، وارتباطهم بالرسول عليه الصلاة والسلام أقوى من ارتباط جدامة بنت وهب به** ، ولذا فهما أكثر علما بمجمل آرائه في مختلف القضايا. ومن المعروف أن الصحابة ليسوا سواء ، فبعضهم أقوى من بعض. ولما تكلم المزي عن السيدة جدامة قال: "لها صحبة" ، وهذا الوصف أقل درجة من وصف

79) **زاد المعاد في هدي خير العباد** (5/ 133). تأليف ابن قيم الجوزية. مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. الطبعة السابعة والعشرون- 1415هـ /1994م

80) روى مسلم الحديث قال: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ، قَالَا: حَدَّثَنَا الْمُقْرِئُ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي أَبُو الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ جُدَامَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، أُخْتِ عُكَّاشَةَ.

وعروة :هو عروة بن الزبير ، ابن أخت السيدة عائشة. **وأبو الأسود:** هو أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن خويلد بن أسد القرشى الأسدى ، أبو الأسود المدنى. **والمقريء:** هو عبد الله بن يزيد القرشى العدوى ، أبو عبد الرحمن المقرىء القصير. **وعبيد الله بن سعيد:** هو شيخ مسلم عبيد الله بن سعيد بن يحيى بن برد اليشكرى، أبو قدامة السرخسى.

"صحابي". والمعلومات عن السيدة جدامة قليلة ، فقد ذكر الواقدي أنها من السابقين إلى الإسلام ، فقد هاجرت ، وتزوجت من صحابي شهد بدرا ، وقتل بأحد. وليس لدينا أي معلومات أخرى عنها ، فهي لم ترو غير حديث واحد فقط[81].

4- **أبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله رويا أحاديث عديدة عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، بينما روت جدامة حديثا واحدا فقط** ، وهذا دليل على أن أبا سعيد وجابر أكثر علما بالدين ، وأكثر حفظا ووعيا ، ولهذا يجب علينا أن نأخذ كلامهما بثقة أكبر. وكون السيدة عائشة قد روت عن جدامة بنت وهب يعنى أنها كانت من النساء الفضليات اللائي لم يعرفن بالكذب ، **لكن ربما كانت سيئة الحفظ ، وهذا محتمل لأنها لم ترو غير حديث واحد.** فمن المحتمل أن السيدة جدامة لم تتذكر كلمات الرسول عليه الصلاة والسلام جيدا، فاختلط علينا مراده.

5- **الرجل لا يخجل من الكلام مع الرجل ، خلافا للمرأة.** ولهذا فمن السهل على الرجل أن يناقش الرسول فى الأمور الجنسية ، ويتثبت من حقيقة مقصده جيدا. وهذا يعطي قوة أكبر للأحاديث التي تبيح العزل لأن رواتها من الصحابة رجال.

6- **الأحاديث التي تبيح العزل وردت بطرق مختلفة ، وفي أكثر من موقف** ، فقد ذكرت في سياق غزوة بني المصطلق ، كما ذكرت في موقف آخر حين سأل رجل الرسول عن حكم العزل عن جاريته. معنى هذا أن الأحاديث التى تبيح العزل أقوى لأن من المستبعد أن ينسى الصحابة عبارات الرسول أو يسيئوا فهم كلامه في المرتين.

وبنظرة مجملة للنقاط السابقة نجد أن **حديث جدامة يتعارض مع الأحاديث الأصح التي تبيح العزل، ولذا وجب رفضه رغم صحة سنده.** وقد نقل الحافظ بن حجر رد بعض العلماء لحديث جدامة لهذا السبب: «**وَمِنْهُمْ مَنْ ضَعَّفَ حَدِيثَ جُذَامَةَ بِأَنَّهُ مُعَارَضٌ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ طُرُقًا مِنْهُ**»[82] (البعض يسميها "جُذامة" بالذال بدلا من "جُدامة"، وهذا خطأ)

81) قال المزي: جدامة بنت وهب الأسدية، ويُقال: بنت جندب، ويُقال: بنت جندل، لها صحبة وهي أخت عكاشة بن محصن لأمه، أسلمت بمكة وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم وهاجرت مع قومها إلى المدينة. روت عَن: النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: " لقد هممت أن أنهى عن الغيلة. روت عنها: عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. قال الواقدي: كانت تحت أنيس بن قتادة بن ربيعة الأَنْصارِيّ ممن شهد بدرا وقتل يوم أحد. وَقَال الدَّارَقُطْنِيّ: هي بالجيم والدال المهملة، ومن ذكرها بالذال المعجمة فقد صحف. روى لها الجماعة سوى البخاري، وقد وقع لنا حديثها بعلوٍ (**تهذيب الكمال في أسماء الرجال** (35/ 142). وقال الدَّارَقُطْنِيّ: ولم يرو عن جدامة غير عائشة (**موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله** (2/ 772)

82) **فتح الباري** لابن حجر (9/ 309)

ومن المعروف أن علماء الحديث وضعوا شرطا لقبول الحديث هو خلوه من "الشذوذ". والشذوذ عرفه الإمام الشافعي قائلا: «ليس الشاذ من الحديث أن يروي الثقة ما لا يروي غيره ، إنما الشاذ أن يروي الثقة حديثا يخالف ما روى الناس» ، أي الحفاظ الثقات[84،83]. وقال ابن الصلاح: «إذا انفرَدَ الراوي بشيءٍ نُظِرَ فِيْهِ، فإنْ كانَ ما انفَرَدَ بهِ مخالفاً لِمَا رواهُ مَنْ هو أولى منهُ بالحفظِ لذلكَ وأضبطُ كانَ ما انفردَ بهِ شاذّاً مردوداً»[85]. وقال المناوي: «فَإِن خُولِفَ أَي الرَّاوِي بأرجح مِنْهُ لمزيد ضبط وإتقان أَو كَثْرَة عدد أَو غير ذَلِك من وُجُوه الترجيحات سَوَاء خَالفه فِي السَّنَد أَو فِي الْمَتْن فالراجح يُقَال لَهُ الْمَحْفُوظ وَمُقَابِله وَهُوَ الْمَرْجُوح يُقَال لَهُ الشاذ»[86].

<u>الاحتمال الثالث:</u>

قد يرى البعض أن من الممكن التوفيق بين الأحاديث المتعارضة من خلال القول بأن وصف الرسول عليه الصلاة والسلام للعزل بأنه (الوأد الخفي) لا يدل على التحريم ، بل على الكراهة ، والمعنى أن العزل درجة خفيفة من الوأد ، ولهذا فهو مباح رغم كراهيته. وقال ابن القيم: «وَقَدْ أُجِيبَ عَنْ حَدِيثِ جدامة بِأَنَّهُ عَلَى طَرِيقِ التَّنْزِيهِ»[87]. وأصحاب هذه الطريقة في التوفيق يلتقون مع الاحتمال الأول القائل برفض حديث جدامة ، ففي الحالتين العزل مباح.

ومع ذلك سيبقى تناقض آخر: إن حديث جدامة يقول أن العزل هو الوأد الخفي ، وهذا يعني أنه قادر على منع الحمل ، لكن في الأحاديث الأخرى يتكلم الرسول عليه الصلاة والسلام بثقة عن العزل باعتباره وسيلة قليلة الكفاءة ، وأنه لا يمنع حدوث الحمل إن أراده الله. ولما أخفق العزل مع أحد الصحابة قال له الرسول: «قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا». وفي رواية قال له: «أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ». وهذا التناقض الظاهر بين الأحاديث يمكن فهمه إذا علمنا أن **العزل لا يمنع الحمل تماما ، ولا يخفق في منعه تماما. العزل وسيلة متوسطة ، تنجح أحيانا ، وتخفق أحيانا ، ولذا فالقول بأنه يشبه الوأد الخفي صحيح** لأنه بالفعل يمنع الحمل لدى أربع نساء من كل خمس

83) **معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)** (ص: 76). تأليف عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح. تحقيقعبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين الفحل. دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى. 1423 هـ / 2002 م

84) **الوسيط في علوم ومصطلح الحديث** (ص: 300). تأليف محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة. دار الفكر العربي. 1982م ، 1403 هجرية.

85) **معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)** (ص: 167)

86) **اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر** (1/ 420). تأليف زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي. تحقيق المرتضي الزين أحمد. مكتبة الرشد – الرياض. الطبعة الأولى، 1999م.

87) **زاد المعاد في هدي خير العباد** (5/ 132)

يستخدمنه. **ومن الصحيح أيضا القول بأن العزل لا يمنع قدر الله لأنه سبب مادي ضعيف قليل الكفاءة مقارنة بوسائل منع الحمل الحديثة الفعالة** كما سبق أن أوضحنا.

وهكذا نجد أن من الممكن التوفيق بين الأحاديث التي تبدو لأول وهلة متعارضة. فمَن قبِلَ ذلك فالحمد لله ، ومن لا يزال يرى بأن هناك تناقضا ، فعليه أن يعتبر حديث جدامة الذى يحرم العزل شاذا لأنه متعارض مع أحاديث أقوى منه ، وفي الحالتين النتيجة واحدة ، وهي أن العزل مباح.
والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

متى يجوز استخدام وسائل منع الحمل الحديثة

وسائل منع الحمل متاحة في كل مكان. والحصول عليها أسهل من الحصول على رغيف الخبز. والمفروض أن تقنن الدول صرف هذه العقاقير إلا بقيود صارمة ، وفي حالات خاصة ، من قبيل ما يلي:

1. إن كانت الأم مصابة بمرض مزمن يجعل الحمل ذا خطورة على صحتها أو صحة الجنين كالسرطان والقلب وفشل الكبد وفشل الكلى والذئبة الحمراء.
2. إن كانت المرأة تعاني من سيولة في الدم ، ويمكن أن يحدث لها نزيف شديد أثناء الحمل ، وفصيلة دمها نادرة.
3. إن تعرضت المرأة للاغتصاب ، وخشيت من حدوث حمل نتيجة هذا الاغتصاب.
4. بعض الأمهات يتناولن عقاقير شديدة الخطورة مثل أدوية التشنجات ، التي يمكن أن تسبب تشوهات للجنين أو تخلف عقلي. ففي هذه الحالة يمكن أن تستعمل المرأة وسائل منع الحمل إلى أن تتوقف عن تناول هذه الأدوية أو تشفى من المرض.

وهذه مجرد قائمة استرشادية ، قابلة للتعديل من لجان طبية قومية متخصصة. ومن الممكن في المستقبل أن ينجح الطب في التعامل مع بعض هذه الحالات دون حاجة لوسائل منع الحمل.

نلخص رأينا حول تحديد النسل في النقاط التالية:

1. العزل وسيلة مشروعة لمنع الحمل.
2. وسائل منع الحمل الحديثة حرام على عامة الناس لأنها ذات فاعلية كبيرة في منع الحمل خلافا للعزل.

3. "طريقة التقويم" وسيلة مباحة لمنع الحمل قياسا على العزل لأن لهما نفس معدل الإخفاق.
4. وسائل منع الحمل الحديثة ذات الكفاءة العالية تباح فقط في حالة الضرورة الطبية أو الاغتصاب الجنسي.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الباب الثاني: الأضرار المزعومة للزواج المبكر

1- الزواج المبكر وصحة المرأة

كثيرا ما يقال أن الزواج المبكر يمثل وبالا على المرأة لأنها الحمل والولادة في سن صغير يضران بصحة الأم والجنين ، فيسببان ارتفاع الضغط أثناء الحمل والولادة المبكرة ونقص وزن الجنين[88].

ونحن نرد على هذه الشبهة في نقاط حاسمة إن شاء الله تعالى:

الزواج المبكر لا يؤدي بالضرورة لحمل مبكر

الزواج المبكر لا يؤدي بالضرورة للحمل المبكر. وذلك لعدة أسباب:

1- طبقا لتعاليم الإسلام لا يتم الدخول بالفتاة إلا بعد ظهور علامات البلوغ -حتى لو لم ينزل الحيض أو الدورة الشهرية - بحيث تصبح الفتاة قادرة على الجماع. وإن تزوجت الفتاة قبل مجيء الحيض فلن يحدث الحمل لأن **الحمل يحدث بعد بدء نزول الحيض. وأول دورة شهرية تأتي بعد عامين تقريبا من بدء ظهور علامات البلوغ**. وعلى ذلك فزواج الفتاة في سن صغير لا يعنى أنها ستحمل على الفور ، أو تتعرض صحتها للخطر.

2- **الدورة الشهرية في أعوامها الأولى تكون في الغالب غير مصحوبة بالتبويض، وهذا يقلل احتمال حدوث الحمل.**

وتقول الأرقام أنه في أثناء أول عامين بعد مجيء الدورة الشهرية لأول مرة للفتاة يكون **50% من الدورات الشهرية غير مصحوب بالتبويض Anovulatory cycles ، والتبويض شرط أساسي لحدوث الحمل**. ثم يزيد معدل التبويض بالتدريج حتى تصبح 75% من الدورات الشهرية مصحوبة بالتبويض بعد مرور خمس سنوات على مجيء الدورة الشهرية لأول مرة. وفي النهاية يصل المعدل إلى 80% لدى النساء بعد اكتمال النضج[89].

---

[88]) **Azevedo WF, Diniz MB, Fonseca ES, Azevedo LM, Evangelista CB**. Complications in adolescent pregnancy: systematic review of the literature. Einstein (Sao Paulo). 2015 Oct-Dec;13(4):618-26. doi: 10.1590/S1679-45082015RW3127.

[89]) **Rosenfield RL**. Clinical review: Adolescent anovulation: maturational mechanisms and implications. J Clin Endocrinol Metab. 2013 Sep;98(9):3572-83. doi: 10.1210/jc.2013-1770.

3- **تكون الدورات الشهرية فى السنوات الثلاثة الأولى غير منتظمة وأكثر طولا من المعتاد ، وهذا يعنى تباعد فرص الحمل.** فمثلا 38% من الدورات الشهرية التى تحدث للمرة الثانية فى العمر تكون أطول من 40 يوما[90].

لا تلوموا الجسد الصغير

نعترف أن حمل المراهقات قد يكون مصحوبا بالولادة المبكرة للطفل قبل انتهاء أشهر الحمل التسعة ، وهذا يضر المولود ، وقد يؤدى إلى وفاته. لكن يجب أن نعلم أن **الولادة المبكرة في هذه الحالة ليس التفسير الوحيد لها هو عدم اكتمال نمو جسد الفتاة الصغيرة وأعضائها المختلفة ، فالعلماء يلقون بكثير من اللوم على أسباب أخرى عادة ما تصاحب الزواج المبكر مثل الظروف الاجتماعية السيئة، وانخفاض مستوى التعليم ، والقسوة على الفتاة جسديا ، وانتشار تناول المخدرات بين المراهقات، ونقص مستوى الرعاية الصحية أثناء الحمل.** كما أن العرق له دور مستقل ، ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال يكثر حدوث الولادة المبكرة في السود مقارنة بالأجناس الأخرى[91،92]. معنى هذا أنه **لو تم أخذ هذه العوامل في الاعتبار، وتمت معالجتها لقل كثيرا انتشار الولادة المبكرة بسبب الحمل في سن صغيرة.**

لقد كان الافتراض التقليدي أن المشاكل الصحية التي تنشأ عن حمل المراهقات سببها بيولوجي محض، بمعنى أن الحمل يضر صحة المراهقة ومولودها نتيجة لعدم اكتمال نضج جسدها ، لكن نشرت مؤخرا دراسة مهمة لباحثين كنديين[93]، تقول أن هذه المشاكل الصحية ليست قدرا محتوما لجميع الصغيرات ، ولكنها تحدث بمعدل أكبر لدى المراهقات اللائي يعانين من سوء الظروف الاجتماعية والفقر والجهل مقارنة بالمراهقات الأكثر ثراء . وهذا يعنى أنه بتقديم شيء من الرعاية

90) **American Academy of Pediatrics, Committee on Adolescence, American College of Obstetricians and Gynecologists, Committee on Adolescent Health Care**; Menstruation in Girls and Adolescents: Using the Menstrual Cycle as a Vital Sign. *Pediatrics* November 2006; 118 (5): 2245–2250. 10.1542/peds.2006-2481.

91) **Cooper LG, Leland NL, Alexander G.** Effect of maternal age on birth outcomes among young adolescents. Soc Biol 1995;42:22_35.

92) **Leland NL, Petersen DJ, Braddock M, Alexander GR**. Variations in pregnancy outcomes by race among 10_14-year-old mothers in the United States. Pub Health Rep 1995;110:53_58.

93) **Amjad S, MacDonald I, Chambers T, Osornio-Vargas A, Chandra S, Voaklander D, Ospina MB**. Social determinants of health and adverse maternal and birth outcomes in adolescent pregnancies: A systematic review and meta-analysis. Paediatr Perinat Epidemiol. 2019 Jan;33(1):88-99.

الصحية والاجتماعية والمالية للمراهقات الفقيرات يمكن أن تتلاشى أو تقل كثيرا المشاكل الصحية لحملهن المبكر.

وهذه الدراسة الأخيرة ليست دراسة عادية ، فهي دراسة تحليلية بَعدية ، وهذا النوع من الدراسات له قيمة علمية كبيرة جدا. وقد قامت الدراسة بتحليل نتائج 31 دراسة سابقة، أجريت على المراهقات في دولة مختلفة من العالم. بدأت الدراسة بمقدمة ورد فيها ما يلي:

«لقد تم الربط بين حمل المراهقات وزيادة خطر الوفاة والمضاعفات المهددة للحياة لدى كل من الأم والمولود مثل تسمم الحمل Eclampsia والنزيف أثناء الولادة، وانفصال المشيمة المبكر، والولادة المبكرة، ونقص وزن المولود. وسوء العواقب في حمل المراهقين تم عزوه تقليديا إلى عدم النضج البيولوجي للأمهات الصغار. لكن **دور صغر سن الأم في عواقب الحمل السيئة هو أمر محل جدل. هناك دليل كبير يقترح أن الاقتران الملاحظ بين حمل المراهقين وسوء عواقب الحمل تربكه الظروف الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بالفقر التي تواجهها الأمهات الصغار**»

وبعد تحليل نتائج 31 دراسة **وجد هؤلاء الباحثون أن هناك عدة عوامل تجعل المراهقات أكثر عرضة لمشاكل الحمل** (خاصة الولادة المبكرة ونقص وزن المولود ووفاة الأم الصغيرة). وهذه العوامل هي:

1. تدني المستوى الاجتماعي والاقتصادي
2. انخفاض مستوى التعليم
3. الإقامة في الريف
4. البطالة.
5. غياب الدعم الاجتماعي.
6. المراهقات الأفارقة الأمريكيون (مقارنة بالمراهقات البيض)

وبعد أن قدم مؤلفو البحث هذه النتائج قاموا بالتعليق عليها قائلين:

"**تقترح نتائجنا أن البيولوجيا وحدها لا تفسر الحدوث المرتفع لعواقب الحمل السيئة لدى الأمهات المراهقات.** وتقترح الأدلة أن **عواقب الحمل السيئة التي تجربها الأمهات المراهقات هي نتاج الحرمان المادي والاجتماعي الذى تواجهه الأمهات الصغار**. وأحد الموضوعات المشتركة التي ظهرت من الدراسات المتضمنة كان الانتشار المرتفع لعواقب الحمل السيئة بين المراهقات المحرومات اجتماعيا واقتصاديا مقارنة بنظيراتهن الأغنياء".

ويميل الباحثون إلى الاعتقاد بأن الجنس الأسود نفسه ليس له دور بيولوجي في مشاكل حمل المراهقات ، ولكن المشكلة أن السود يعانون من التفرقة العنصرية والفقر والجهل والبطالة وغياب الرعاية الصحية ، وهذه العوامل هي التي تسبب مشاكل الحمل.

ويرى الباحثون أن من الممكن تفسير زيادة مشاكل حمل المراهقات في المناطق الريفية بزيادة انتشار التدخين في الريف.

وهكذا نجد أن المشاكل الصحية التي تصاحب الحمل المبكر ليس سببها الوحيد صغر سن الفتاة، فهناك عوامل أخرى اجتماعية واقتصادية وثقافية وصحية تشترك معه ، بل الأرجح أن هذه العوامل الأخرى أكثر أهمية من صغر سن الأم وقت الحمل.

تقدم الطب يقلل أخطار الزواج المبكر

الأضرار الصحية التي يسببها الزواج المبكر يمكن بكل سهولة التعامل معها طبيا فى العصر الحديث ، فمن خلال المتابعة الطبية الجيدة (قبل الحمل وأثنائه وأثناء الولادة وبعد الولادة) يمكن للطبيب أن يقف على الحالة الصحية للأم ومدى قدرتها على تحمل الولادة ، وأن يتوقع ما إذا كانت الولادة الطبيعية ستكون خطرا عليها أم ستكون في حاجة للولادة القيصرية. ومن خلال المتابعة الطبية سيعالج الطبيب الأمراض التي تعاني منها المرأة والتي تؤثر على الحمل والولادة مثل فقر الدم وسوء التغذية وأمراض القلب وغيرها. وتوفير الرعاية الطبية للأمهات الحوامل ، وتحسين الحالة الاجتماعية والاقتصادية للناس بصفة عامة يؤديان إلى تقليل نسبة وفيات الأمهات من الحمل والولادة حتى إن كان سن الأم صغيرا.

وبالنسبة للمولود الذي يأتي إلى الحياة مبكرا قبل موعده الطبيعي ، فطب الأطفال حديثي الولادة والخدج قد قطع أشواطا طويلة في التعامل معهم ، وأصبح من المعتاد أن يعيش الطفل بصحة جيدة رغم ولادته بوزن منخفض. حقا لا تزال هناك صعوبات كثيرة ومشاكل لم يتم التغلب عليها، لكن الطب يتقدم كل يوم ، ومعدلات الوفاة والإعاقة للأطفال حديثي الولادة قلت كثيرا في السنوات الأخيرة.

وهكذا نجد أنه في عصر التقدم الطبي المذهل لم يعد هناك مشكلة في زواج الفتيات في سن مبكر. وعلى أولئك المتنطعين المطالبين بتحرير العقول من قيود النصوص ، والداعين إلى تغيير تعاليم الشريعة لتساير العصر ، على هؤلاء أن يسكتوا ، **فبفرض أن الزواج المبكر كان في الماضي وبالا على صحة الفتاة ومولودها فإننا سنستخدم نفس منطقهم ، ونقول أن العصر قد تغير،** ونجح الطب في أن يقلل بشدة من مخاطر الزواج المبكر على صحة الأم والمولود ، وفي السنوات القادم سيكون الطب أكثر نجاحا في هذا المضمار. **وفي جملة واحدة نقول: "الزواج المبكر عمل تقدمي ، يتماشى مع روح العصر".**

ساعدوا الأمهات الصغيرات بدلا من أن تحاربوهن

تعَرُّض الأمهات الصغيرات لبعض المتاعب الصحية أثناء الحمل لا يمكن أبدا أن يكون مانعا للزواج المبكر، وإلا لجاز لنا أن نحرم الطالب المصاب بأنيميا البحر المتوسط من الذهاب إلى المدرسة لأن إجهاد الطريق والدراسة والاستذكار لا يتواءم مع فقر الدم الذى يعانى منه. وسيكون علينا أيضا أن نطالب الموظف المصاب بالالتهاب الكبدي المزمن أن يستقيل من عمله حتى ينعم بالراحة في بيته.

وفى مثل هذه الحالات يكون من الحماقة أن نتبنى المنطق الذى يقول أن المرء الذى يتعرض لبعض المتاعب الصحية الخفيفة أو المتوسطة وهو يؤدى مهمة عليه ترك هذه المهمة من الأساس. إن المنطق السليم يقول بأن الواجب هو بذل مزيد من الجهد لإنجاح هذه المهمة ومن الواجب على المجتمع أن يعين هذا الشخص على نجاح مهمته، فالطفل المصاب بأنيميا البحر المتوسط عليه أن ينال رعاية خاصة من الأسرة وعلى الأطباء فى المستشفى أن يعطوه الرعاية اللازمة وأن ييسروا له إجراءات نقل الدم ويعفوه من توفير متبرعين بالدم.

وبالمثل الأم الصغيرة الحامل تحتاج من الأسرة والمجتمع والأطباء لمزيد من الرعاية حتى ينتهي الحمل بسلام. هذا هو المنطق البسيط السليم، أما أن نمنع الزواج المبكر تماما لأخطار محتملة غير مؤكدة، كما أنها خفيفة أو متوسطة فهذا هو اللامعقول.

صحة المرأة لا تهم المنظمات الدولية

إننا نؤكد أن **ما يحرك العالم لمنع الزواج المبكر ليس الحرص على صحة المرأة**. ففي تقرير لليونيسيف ورد أن مشاكل الحمل هي ثاني سبب لوفاة المراهقات من سن 15-19 عاما على مستوى العالم. وطبعا من يسمع هذا الكلام سيصاب بالهلع من هذه الكارثة الصحية. لكن قليل من التفكير يجعلك تكتشف التلاعب. إن التقرير يقول أن **أهم 5 أسباب للوفاة المراهقات** في هذا السن بالترتيب كما يلي:

1. مرض الدرن: معدل الوفاة 9 لكل مائة ألف
2. الحالات المصاحبة للحمل (Maternal conditions): معدل الوفاة 7 لكل مائة ألف
3. إيذاء النفس: معدل الوفاة 5 لكل مائة ألف
4. حوادث الطرق: معدل الوفاة 5 لكل مائة ألف
5. أمراض الإسهال: معدل الوفاة 4 لكل مائة ألف

وهنا يتجلى نفاق اليونيسيف، والمنظمات الدولية، ومنظمات المجتمع المدني، وجمعيات حقوق المرأة. **لقد تم تجنيد العالم، وتسخير كافة الإمكانات من أجل محاربة زواج الفتيات الصغار. وتم الضغط على كل حكومات العالم لرفع سن الزواج إلى 18 عاما في أغلب البلاد، لكننا لا نجد اهتماما عالميا مماثلا بمرض الدرن ، مع أن الدرن أشد فتكا بالمراهقات.** كذلك **لم نسمع مطلقا عن ضغوط تمارس على حكومات الدول لإجبارها على محاربة الإسهال أو تنظيم المرور مع أن الإسهال وحوادث الطرق أخطر في مجموعهما على المراهقات من الحمل.** كما يتم تجاهل ظاهرة انتحار الفتيات مع أنها لا تقل كثيرا في خطورتها عن الحمل.

ومن المظاهر الأخرى لنفاق المنظمات الدولية والحكومات التي تسير في ذيلها أنهم لا يصدرون قوانين تعاقب الأم التي تدخن أثناء الحمل رغم ما للتدخين من أضرار بالغة على صحة الجنين

، فهو يؤثر على نمو الجنين، خاصة نمو المخ.[94] لماذا لا يحاربون التدخين بنفس الشراسة التي يحاربون بها الزواج المبكر؟ لماذا يكتبون على علب الدخان "التدخين ضار جدا بالصحة"، ثم يتركون كل مواطن لضميره كي يقرر هل يشرب الدخان أم لا، وفى نفس الوقت تسن القوانين الشديدة الصرامة من أجل منع زواج المراهقات دون أن يتركوا الآباء والبنات لضمائرهم وقناعاتهم؟

وبالمثل **لماذا لا تصدر المنظمات الدولية المنافقة قوانين تعاقب الأم التي تشرب الكحول أثناء الحمل ، مع العلم أن الكحول يضر الجنين** لأنه يتسبب في حدوث التخلف العقلي والصرع والشلل وضعف النمو وضعف السمع وضعف البصر وتشوهات القلب وتشوهات الشفاه وسقف الحنك؟ إن الكحول هو أكثر المواد الضارة بالجنين شيوعا ، كما أنه أهم سبب غير وراثي لإصابة المواليد بالتخلف العقلي[95]. ومنظمة الصحة العالمية واليونيسيف والمنظمات النسائية يعرفون ذلك جيدا ، ويسكتون. لماذا؟ لأن إبليس يحب الخمر ، ويحب الزنا. والمنظمات الدولية هم حرفيا جنود إبليس لأنهم خاضعون للجلف اليهودي الماسوني الذي يمولهم. وهذا الحلف حرفيا يعبد الشيطان. ولهذا سمحوا للمرأة بأن تدمن الخمر ، لكنهم حرموا عليها الزواج المبكر كي يغرق المجتمع بسهوة في وحل الزنا.

المنظمات الدولية لا تعرف شيئا اسمه المباديء. هؤلاء أهل هوى ، وطلاب متعة ، وما دام الخمر والتدخين يحققان اللذة فأهلا بهما ، ولتذهب الأم وطفلها إلى الجحيم ، وطالما أن الزواج المبكر يحرم المرأة من حرية الفجور والفسوق فهنا ترفع لافتات صحة الأم وحياة الجنين!! طبعا ستسمعون من يقول: "إننا نرفض التدخين والخمور". ولهؤلاء نقول: "ليس باللسان وحده نصدقكم، فإن خلصت نياتكم حقا فحاربوا الخمر والمخدرات بنفس القوة التي تحاربون بها الزواج المبكر ، وإن كنتم صادقين فطالبوا الأمم المتحدة بالتدخل للضغط على حكومات الدول من أجل حظر التدخين والخمور على الأقل على النساء أثناء الحمل. إننا نتحداكم".

---

94) **Abraham M, Alramadhan S, Iniguez C, et al**. A systematic review of maternal smoking during pregnancy and fetal measurements with meta-analysis. PLoS One. 2017;12(2):e0170946. doi: 10.1371/journal.pone.0170946.
95) **Denny L, Coles S, Blitz R.** Fetal Alconnhol Syndrome and Fetal Alcohol Spectrum Disorders. Am Fam Physician. 2017 Oct 15;96(8):515-522.

امنعوا الحمل بعد سن 35

من أكثر مظاهر النفاق فجاجة أن **النظام العالمي وعملائه في بلادنا لا يقولون كلمة عن المخاطر التي تحدث للمرأة إن حملت وولدت في سن كبير** ، فهناك الآن ظاهرة ملحوظة في البلدان المتقدمة وكذلك النامية ، تتمثل في تأخير النساء للحمل إلى ما بعد سن 30 و35 عاما، وذلك بسبب انشغالهن بالعمل ، فالمرأة أصبح لها مستقبل خارج البيت ، وأصبح عليها أن تحقق نجاحا في عملها ، والعمل والبيت نقيضان لا يجتمعان ، ولهذا حسمت المراة أمرها وتفرغت للعمل، ولكنها بعد أن تكبر تفاجأ أن العمر قد مضى ، وأنها لم تنجب بعد ، فحينئذ فقط تبدأ في التفكير في الحمل.

وهنا نتوقف ونقول: **من الثابت علميا أن الحمل بعد سن الخامسة والثلاثين يعرض الأم والطفل لأخطار صحية أكثر من تلك التي تحدث بسبب الحمل في سن المراهقة**، وهذا الكلام لا شك فيه ، ويتفق عليه العلماء[96،97، 98،99].

وفي دراسة تحليلية بعدية نشرت مؤخرا[100] وجد أن **نسبة كبيرة من الأمهات اللائي يحملن في سن 35 سنة أو أكثر يعانين من البدانة ، والسكر (قبل الحمل أو أثناء الحمل) ، وارتفاع ضغط الدم (قبل الحمل أو أثناء الحمل) ، وكذلك زيادة احتمال وفاتهن بسبب الحمل والولادة. ونسبة كبيرة من هؤلاء الأمهات يحتجن للولادة القيصرية بسبب ضعف عضلات الرحم في السن المتقدم. ويؤدى الحمل في هذه السن الكبيرة إلى الولادة المبكرة ، ونقص وزن المولود ، وسوء حالة الجهاز الدوري والتنفسي عند الولادة (انخفاض نقاط "أبجار" APGAR score)، وزيادة احتمال**

---

96) **T'sang-T'ang Hsieh, Jui-Der Liou, Jenn-Jeih Hsu, Liang-Ming Lo, Szu-Fu Chen, Tai-Ho Hung**. Advanced maternal age and adverse perinatal outcomes in an Asian population. *European Journal of Obstetrics & Gynecology and Reproductive Biology* 148 (2010) 21–26.

97) **Ben Chong-Pun Chan, Terence Tsz-Hsi Lao.** Effect of parity and advanced maternal age on obstetric outcome. *International Journal of Gynecology and Obstetrics* (2008) 102, 237–241

98) **Corina Schoen, Todd Rosen.** Maternal and perinatal risks for women over 44—A review. *Maturitas* 64 (2009) 109–113.

99) **Temmerman M, Verstraelen H, Martens G, Bekaert A.** Delayed childbearing and maternal mortality. *Eur J Obstet Gynecol Reprod Biol*. **2004 May 10;114(1):19-22.**

100) **Pinheiro RL, Areia AL, Mota Pinto A, Donato H.** Advanced Maternal Age: Adverse Outcomes of Pregnancy, A Meta-Analysis. Acta Med Port. 2019 Mar 29;32(3):219-226.

دخول المولود للرعاية المركزة ، إضافة إلى زيادة احتمال ولادة الطفل ميتا أو وفاته عقب الولادة. والسبب في وفاة الجنين تكون في الغالب إصابته بعيوب خلقية ، سببها في أحيان كثيرة خلل في الكروموزومات، إضافة إلى نقص تدفق الدم للرحم والمشيمة بسبب كبر سن الأم أو معاناتها من ارتفاع ضغط الدم والسكر. وتقدم سن المرأة له تأثير سلبي قوي مستقل حتى في ظل غياب عوامل الخطورة الأخرى كالبدانة والسكر وارتفاع الضغط. وقد أكد تحليل بَعدى آخر سابق[101] على تعرض جنين الأم الكبيرة في السن لنفس المخاطر ، وأكد بالمثل على أن السن في ذاته له دور سلبى بصرف النظر عن المشاكل الصحية الأخرى التي تعانى منها الأم في الكبر. ويرى هؤلاء الباحثون أن كون الأم التي تحمل في سن كبير عرضة للإصابة بتسمم الحمل والانفصال المبكر للمشيمة ونقص نمو الجنين يقترح أن سبب وفاة الجنين في حالة الأم كبيرة السن هو خلل وظيفة المشيمة.

ونكرر دائما أن الدراسات التحليلية البعدية ليست دراسات عادية، أجراها هذا الباحث أو ذاك ، ولكنها دراسة تكشف مجموع نتائج الدراسات السابقة في مجال ما ، وهذا يكسبها مصداقية وقيمة علمية كبيرة.

وكل طلبة الطب يعرفون أن الحمل بعد سن 35 عاما يصاحبه احتمال كبير لولادة طفل معاق نتيجة لوجود العيوب الكروموزومية[102]، ومن أشهرها متلازمة داون (الطفل المنغولى) ومتلازمة إدوارد ومتلازمة باتو. وكل هذا قليل الحدوث عند المراهقات.

ورغم ذلك **لا تطالب الجمعيات النسائية بسن قوانين لمعاقبة المرأة التي تؤجل الحمل حتى سن الخامسة والثلاثين أسوة بالقوانين التى تجرم زواج الفتيات الصغيرات.** لماذا؟ لأن هذا يروق لهم. يروق لهم أن تعيش المرأة حياتها بالطول والعرض ، فتعمل وتلهو وتلعب وتحب كما يحلو لها ، حتى إذا تقدم بها العمر سارعت للحمل قبل فوات الأوان.

101) **Lean SC, Derricott H, Jones RL, Heazell AEP**. Advanced maternal age and adverse pregnancy outcomes: A systematic review and meta-analysis. PLoS One. 2017 Oct 17;12(10):e0186287.

102) **Dong Y, Zhang M, Wang Y, Li S, Guan X, Lyu W**. [Exploration of the process of prenatal screening and diagnosis for women with advanced maternal age based on results of 351 cases of fetal chromosomal abnormalities]. Zhonghua Yi Xue Yi Chuan Xue Za Zhi. 2019;36(6):538-542.

احموا الجنين واقتلوه !

يبلغ النفاق ذروته حين تجد أنصار المرأة في العالم يشجعون الدول على تقديم خيار الإجهاض الآمن للفتيات إن حدث لهن حمل. لقد أوهمونا في البداية أنهم يعارضون الزوج المبكر لأنه يؤدى إلى حمل مبكر، يؤثر بدوره على صحة الجنين وحياته. وكان الحل في نظر هؤلاء الرحماء هو قتل الجنين نفسه من البداية بالإجهاض!

هل الزواج المبكر يضر بصحة الذكور

بفرض أن الزواج المبكر يؤثر على صحة المرأة فلماذا يحاربون الزواج المبكر للذكور؟ هل يؤثر الجماع على صحة الشاب فى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة؟ قطعا لا. وهذا دليل آخر على النفاق، وبرهان أكيد على أن هدفهم الحقيقي من محاربة الزواج المبكر هو محاربة الفضيلة ونشر الزنا.

الموازنة بين منافع الزواج المبكر ومضاره

بفرض أن الزواج المبكر يؤثر على صحة المرأة فهل هذا مبرر لمنعه حتى إن كانت مزاياه أكبر من أضراره؟ إجابتنا هي: لا.

إن من أساسيات الطب أن المريض يجب أن يتناول الدواء بالرغم من أن لهذا الدواء آثارا جانبية، فمثلا مرضى السرطان يتناولون العلاج الكيماوي رغم أنه يسبب الأنيميا والنزيف والعدوى القاتلة. وهذا الأمر ينطبق على كل الأدوية تقريبا، فالطبيب ينصح بالدواء وهو يعلم أنه ضار، والمريض يتناول الدواء وهو يعلم أنه ضار، وكلاهما ليس مجنونا، ولكنهما يعلمان أن منافع الدواء أكثر من أضراره. وقد يحاول الأطباء تشخيص المرض من خلال إدخال إبرة فى بطن المريض للحصول على عينة من الكبد أو الكلية رغم خطورة هذا الإجراء الذى قد يسبب النزيف والوفاة. وارجع إلى بيتك تجد أنك تستخدم أنابيب البوتاجاز لطهي الطعام رغم أنك تسمع بين الحين والآخر أن حريقا ضخما شب في أحد البيوت بسبب انفجار أنبوبة بوتاجاز. **ما معنى هذا؟ معناه أن وجود بعض**

الأضرار الصغيرة لعمل ما ليس مبررا لأن نترك هذا العمل طالما أن الفوائد أكبر من الأضرار، وهو ما يعرف بالنسبة بين التكلفة والمنفعة Cost–benefit ratio.

من الحكمة إذن ألا نصدر حكما بالإعدام على الزواج المبكر لأن هذه الفتاة أو تلك تأثرت صحتها بسبب الحمل في سن صغير ، ولا بد أولا أن نقرر هل فوائد الزواج المبكر أكثر من أضراره الصحية أم لا. وقد سبق أن ذكرنا فوائد الزواج المبكر، وقلنا أن أهمها محاربة انتشار الزنا الذى يدمر المجتمع ، كما أثبتنا أن أضراره أقل كثيرا مما يروج له الإعلام ، وأن من الممكن للطب التعامل معها بكفاءة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

2- ليست دعوة لزواج الأطفال!

يتحدث الإعلام عن الزواج المبكر ، وكأنه جريمة نكراء ، لأنه يؤدي إلى ارتباط أطفال بعلاقة جنسية ، هم غير مؤهلين لها. **وهذا كلام سخيف لأنه يغض الطرف عن الفرق الهائل بين "الطفل" و"المراهق".**

الطفل الذي لا هَمَّ له إلا اللهو واللعب يختلف عن المراهق الذي انفتحت عيناه على الجنس الآخر، وأخذت غريزة الجنس تراوده ، وتضغط على أعصابه. و**حين ننادى بالزواج المبكر فليس مقصدنا أن يتزوج الأطفال ، وإنما المراد أن يتزوج المراهقون بعد البلوغ** دون تأخر كبير ، أما من لم يبلغ الحُلُم فلا يمكن أن يتزوج. **إننا لا ننادى بحتمية الزواج المبكر لجميع الفتيات الصغار دون تفرقة، وإنما نطالب بأن تتزوج الفتاة التى ظهرت عليها علامات الأنوثة.** والبنات يختلفن فى سن البلوغ، فمنهن من تبلغ فى التاسعة ، ومنهن تبلغ فى الثالثة عشرة ، ومنهن من تبلغ بين هذا وذاك، فالتعميم خطأ ، وإباحة الزواج المبكر لا يعنى أبدا أننا سنستيقظ لنجد جيوشا من الأطفال يُلقى بها في بحر لُجِيّ ، اسمه الحياة الزوجة.

ثم إن **من البعيد أن تتزوج كل فتاة على الفور بمجرد البلوغ** ، فالبلوغ يحدث تدريجيا ، وجمال الفتاة يزداد كلما نضجت ، ولذا فمن المحتمل أن يتأخر الخُطاب فى التقدم للفتيات إلى ما بعد البلوغ بفترة ، خاصة في ظل الضوائق الاقتصادية الحالية. وقليل من الفتيات هن اللائى يُخطفن بمجرد البلوغ لشدة جمالهن.

نحن لا نقصد أن نزوج كل البنات في سن تسع وعشر سنوات. نحن فقط نؤكد أن سن البلوغ هو الفيصل، فمن ظهرت عليها علامات البلوغ ، وصارت مؤهلة للجماع ، وجب على أسرتها أن تزوجها طالما وجد الرجل المناسب. وحتما ستتأخر بنات كثيرات في البلوغ حتى سن 14 و16 عاما ، وربما بعد ذلك. وهؤلاء يجب تأخير زواجهن.

والواقع يؤكد أن الفتاة الصغيرة يمكن أن تحب ، وتنجذب للجنس الآخر. **والمعلمون في المدارس الابتدائية والإعدادية يعرفون جيدا قصص الحب والخطابات الغرامية بين الطلبة والطالبات في عمر 12 و13 سنة.** فهل ندفن رءوسنا في الرمال ، ونقنع أنفسنا بأن أولادنا لا يزالون أطفالا؟

ومن المؤسف أن الصورة التى يتم الترويج لها بخصوص الزواج المبكر هى صورة رجل مسن ، يُزف إلى طفلة ساذجة ، لا تعرف شيئا عن الجنس الآخر. ويتم تصوير الأمر ، وكأن أباها قد باعها لمن دفع أكثر. وهذا أولا خلط متعمد بين "الطفلة" و"المراهقة" رغم ضخامة ما بينهما من فرق. ثانيا **لماذا يكون الزوج بالضرورة رجلا عجوزا؟ لماذا لا تتزوج الفتاة الصغيرة من شاب صغير مثلها؟** إن تلخيص الزواج المبكر في مشهد رجل عجوز يُزف إلى طفلة يعد تشويها متعمدا. إنهم يقللون سن المرأة ، ويزيدون سن الرجل كي يشعر العامة بالنفور من هذا الزواج غير المتكافيء، **وكأن الإسلام قد حرم على المراهقة أن تتزوج من مراهق مثلها ، أو أنه شرع الزواج المبكر من أجل عيون الرجال الذين بلغوا سن المعاش!**

والحقيقة أن انجذاب الصغيرة يكون فى الغالب لمن هو قريب من سنها. **وإذا كانت موافقة المرأة شرطا لإتمام الزواج في الإسلام فلن ترضى المراهقة فى الغالب برجل عجوز ، لكن لا يمكن لأحد أن يلومها إن اختارت رجلا في الخمسين أو الستين** رغبة فى التمتع بثروته ، طالما وافق عليه أهلها ، فالزواج لا يفشل بسبب غياب الرومانسية فقط ، بل بسبب نقص المال أيضا. وكم من زواج بدأ بالحب، وسرعان ما تحطم على صخرة الفقر ، وانتهى بالطلاق. وكثير من النساء– إن لم يكن أكثرهن– يفضلن الرفاهية والثراء على الرومانسية.

ثم ألا ترون أن المراهقات في الغرب والشرق يتابعن بشغف نجوم السينما والغناء والرقص من الرجال مثل أعضاء فرقة "بي تي إس" (BTS) الكورية التي اكتسحت صفوف الفتيات؟ بل إن غاية أمل ملايين المراهقات حول العالم في سن 12 عاما أن يتزوجن من مطرب مشهور أو ممثل وسيم حتى لو كان في سن الخمسين؟ والمغني عمرو دياب ظل محافظا على شعبيته الكبيرة بين المراهقات رغم أنه جاوز سن الستين. والمطرب عبد الحليم حافظ مات وهو في سن 47 عاما، فانتحرت حزنا عليه شابة في سن 21 عاما[103]. ومسلسلات الأطفال الكرتونية التي تذاع على بعض القنوات الفضائية العربية العلمانية تظهر في بعض الحلقات شغف الطالبات الصغيرات ببعض نجوم السينما دون أن تعتبر هذا عيبا.

103) **بعد 44 عاما على رحيل عبد الحليم حافظ.. الكشف عن الفتاة التي انتحرت حزنا عليه**. بقلم خير راغب. صحيفة المصري اليوم ، 1-4-2021. وخبر الانتحار نشر أصلا في صحيفة الأهرام المصرية بتاريخ 1 أبريل 1977م.

وهكذا **فالعالم الذي يقال أنه متحضر يتقبل وجود علاقة حب عاطفي بين فتاة صغيرة ورجل كهل أو مسن ، فلماذا يغضبون إن طالبنا بأن تتحول هذا العلاقة إلى زواج؟** من حقهم أن يعترضوا فقط إن أُرغمت الفتاة على هذا الزواج ، لكن طالما أنها رضيت فعليهم أن يلتزموا الصمت.

ثم تعالوا بنا نفضح هؤلاء المنافقين الذين يصدعون رءوسنا ليلا ونهارا بالحديث عن ضرورة تشجيع المراهقين على التفكير المستقل ، وأهمية أن ننصت لهم ، ونعاملهم كالكبار ، ونمنحهم الحرية الكاملة ، ونَحْذَر من خطورة تسفيه آرائهم. إنهم بهذا يعتبرون المراهقين كالكبار تماما ، لكن حين نأتى لمسألة الزواج نسمعهم يقولون على الفور أن هؤلاء لا يزالون أطفالا!

وهذا العالم المتحضر الذي يذرف الدموع على زواج الأطفال هو نفسه الذي يعمل بدأب من أجل تعليم الأطفال الجنس والشذوذ.

لقد وصلت الكارثة إلى حد إدخال مشاهد جنسية في أفلام الكارتون التي تقدم للأطفال. وقد صدمتُ منذ عدة أسابيع لما رأيت في فيلم كرتون طفلة تقبل طفلا كما يفعل الكبار. ويجري الآن الترويج للشوذ الجنسي بين الأطفال بشكل فج.

وفي تقرير لموقع سبوتنيك الروسي باللغة العربية ورد تقرير عن هذه الظاهرة ، نقرأ فيه:

«**بعدما كانت موسيقى ديزني تحلق بنا إلى عالم الأحلام والخيال، أين نلتقي بميكي ماوس والقصور الملكية والأميرات الثلاث، أصبحت الآن تهدّد الأطفال والنشء الجديد عبر رسائل شاذة كونها تعزز الميول الجنسية المخالفة للفطرة والتي تعرف بـ"المثلية**."....إنه من المهم جدا على الآباء مراقبة وانتقاء المحتوى الذي يتعرّض له أطفالهم حسب الفئة العمرية والقدرة الاستيعابية لديهم، ومن الأمور الخطيرة في أفلام الكرتون اليوم، هي الإعلانات غير المرغوبة والتي **تحتوي على لقطات جنسية وتدعو أيضا للمثلية الجنسية**، وبهذا يصبح هذا الفيلم الكرتوني وسيلة لتدمير الطفل ذاتيا وصحيا وسلوكيا وأخلاقيا واجتماعيا وفكريا»[104].

---

104) زرع **ثقافة المثلية الجنسية في أفلام الكرتون... والضحايا هم الأطفال.** تقرير كتبته فرح القادري. موقع سبوتنيك. 15 يونيو 2022. تم الدخول على الموقع يوم 25 يونيو 2022م.

https://arabic.sputniknews.com

وفي تقرير لصحيفة اليوم السابع المصرية (وهي صحيفة علمانية) نقرأ ما يلي[105]:

«انتشرت قبل أيام على شبكات التواصل الاجتماعى لقطات من **إحدى قنوات الأطفال العربية** ، ويشاهدها الأطفال المصريين دوما تعرض لقطات **لشخصيات كارتون رجالية تقوم بتقبيل بعضها، إضافة إلى بعض الألفاظ النابية على شريط التعليقات** المتاح فى أسفل الشاشة. ويبدو واضحا ظهور العديد من المحاولات لتقبل الشذوذ والمثلية فى المجتمعات العربية والعالمية، يعتبر امتداد هذه المحاولات نحو الأطفال، ودمج الشواذ والمثليين فى الشخصيات الكارتونية وإظهار مشاهد لهم فى برامج الأطفال والكارتون الذى يدخل إلى منازلنا دون استئذان فنحن أمام جريمة متكاملة الأركان، تساهم فيها قنوات برامج الأطفال عن جهل أو عن عمد ..... المقاطع الجديدة والتى انتشرت بشكل كبير، وتظهر فيها **صورة القبلة بين رجل ورجل آخر من فمهما واضحة،** تفتح بابا كبيرا للبحث.... موقع "buzzfeed.com" العالمى، نشر **تقريرا مطولا بالصور عن أهم الشخصيات الكرتونية التى قدمها صناع الكارتون بهدف نشر الشذوذ والفكر المثلى فى المجتمعات،** وقدم تلك الشخصيات على أنها أبطال ساهمت فى دعم حقوق الشواذ، وشرح كل منهم تحت عنوان "لماذا هو بطل." جاء على رأس هذه القائمة شخصية "Ashley Spinelli"، وقال أنها من الشخصيات التى كانت رائدة فى مجال نشر المثلية الجنسية، وظهرت قبل ظهور الشخصيات المثلية الحديثة مثل "المرأة الوطواط"، وأيضا الشخصية اليابانية الشهيرة"Sailor Moon" ، والتى ظهرت كبطلة للحب، والعدالة، والمساواة، وظهر فى المسلسل وخصوصا فى نسخته المترجمة إلى الأمريكية عدد كبير من الشخصيات مثلية الجنس، وتنوعت أدوارهم بين الخير والشر، كما كانت تقوم"Sailor Moon" بتحويل الرجال إلى نساء لمحاربة الشر فى المدينة. ومعها جاءت شخصية "Judy Funny" من كارتون " نكلودين" الشهير "Doug" والتى وصفها التقرير أنها تركت تأثيرا وقدمت دعما هائلا لجيل القرن العشرين من الشواذ. النجم الأكبر والأشهر فى هذا العالم هو شخصية "سبونج بوب"، والتى حققت أرقام مشاهدة قياسية فى الوطن العربى وملأت ألعابها الشوارع، وأكد التقرير أنه على الرغم من تصريحات صاحب الشخصية ومؤلفها "Stephen

105) نعتذر للقاريء عن الأسلوب غير الفصيح للمقال الوارد في الصحيفة. كما نشير إلى أننا قمنا بتصحيح بعض الأخطاء اللغوية الواردة فيه.

"Hillenburg" بأن سبونج بوب وباتريك ليسوا شواذا، فإنه – وفقا للتقرير – يبدوا واضحا للعيان أنهم يمثلون ثنائى يجمعه الحب والتفاهم فى إطار من العلاقة الحميمة التى تظهر فيها بوادر الشذوذ، ومن أكثر الحلقات التى بدا فيها هذا الشذوذ جليا هى حلقة Rock–a–Bye Bivalve ، وهى متاحة على الإنترنت ويمكن متابعتها من الجميع، ويظهر فيها الاثنان وهما يبتنوا قوقع بحر، مثلما اعتاد الشواذ فى محاولات الحصول على طفل، ثم يقومون بتربيته ويقوم سبونج بوب بدور الأم، إضافة إلى مشاهد متعددة من حلقات أخرى ظهر فى أحداها باتريك وهو يضع فى مؤخرته لافته مكتوب عليها سبونج بوب. وأيضا شخصية Johnny Bravo والذى تنتجه شركة "كارتون نيتورك" الضخمة واشتهر بـ"تى شيرت" أسود ملتصق على جسده، ويقوم بإزالته أحيانا ليقف بنصف جسده العلوى عاريا، وتظهر تحركاته وإيحاءاته وحتى لهجته مقاربة لتصرفات الشواذ»[106].

وقد يظن البعض أن من يعلمون الأطفال الزنا والشذوذ هم أفراد منحرفون من هنا وهناك ، بينما المنظمات الدولية الكبرى هي التى تنادي بحماية الأطفال من الزواج المبكر. هذه سذاجة وغفلة، لأن من يدعم الشذوذ هم اليهود وعملاؤهم الماسون. والمنظمات الدولية الكبرى خاضعة لنفوذ اليهود ، وتسير على نفس الدرب. ولهذا قد تصدم حين تعلم أن مكتب حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة شن في عام 2013م حملها ساقطة اسمها "حر ومتساو" UN Free & Equal للدفاع عن الشواذ بمختلف أنواعهم ، وهذا يشمل السحاقيات Lesbian ، واللوطيون[107] Gay ، وأصحاب التوجه الجنسي المزدوج Bisexual ، والمتحولون جنسيا (الذين يغيرون نوعهم من ذكر لأنثى أو العكس) Transgender والخِنَاث Intersex. وقد استخدمت الحملة اسما مشتركا ، مشتقا من الحروف الأولى لكل نوع من هذه الفئات الشاذة ، فكان الاسم هو LGBTI. وتوجز هذه الحملة أهدافها فى الجملة التالية: (الحملة العالمية للأمم المتحددة ضد رهاب المثلية Homophobia ورهاب التحول الجنسي Transphobia).[108]

106) **احترس.. "أفلام الكارتون" فيها سم قاتل.. تقرير عالمى يكشف: "سبونج بوب" ينشر الشذوذ الجنسى.. وقائمة تضم برامج أطفال. وشخصيات كارتونية تدعم حقوق المثليين.. وخبراء للآباء: لا تتركوا أولادكم للتلفزيون.** تقرير كتبه حسن مجدي. صحيفة اليوم السابع. 21 يوليو 2014م. تم الدخول على الموقع يوم 25 يونيو 2022م.

107) لُوطيّ: اسم مفرد منسوب إلى لُوط: مَنْ يعمل عمل قوم لوط من مباشرة الذُّكور. والمصدر: اللُّوطيَّة واللِّواط. انظر: **"معجم اللغة العربية المعاصرة"** (3/ 2048)**.** تأليف دكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل. الناشر: عالم الكتب. الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م

108) **The United Nations global campaign against homophobia and transphobia**. https://www.unfe.org/about-2/

هذا هو العالم المتحضر الذي يلقن الشعوب الإسلامية دروسا في أهمية تأخير سن الزواج ، لكنه في نفس الوقت يعلم الأطفال الزنا والشذوذ!

إن الإسلام يمنع زواج الأطفال ، ويسمح فقط للمراهقين البالغين بالزواج ، لكن العالم المتحضر اليوم يمنع زواج المراهقين البالغين ، وفي نفس الوقت يعلم الأطفال الجنس والشذوذ. لن نلوم هؤلاء المنافقين ، فاللوم كل اللوم يقع على أي مسلم يصدقهم ، ويتنصل من حقائق دينه.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

3- الزواج المبكر لا يحرم المرأة من التعليم

كثيرا ما تردد وسائل الإعلام أن الزواج المبكر يحرم المرأة من التعليم ، ويتركها فريسة للجهل والتخلف ، حتى وقر في أذهان الناس أن من يزوج ابنته مبكرا ، فهو يقضي على مستقبلها.

ونحن نؤكد أن الزواج لا يمكن أن يكون حائلا بين الفتاة والتعليم إن توافرت النية والرغبة الصادقة لدى كل من الفتاة وزوجها وأهلها. **والحقيقة أن ترك التعليم بعد الزواج سببه في الغالب أن الفتاة وأهلها ليس لديهم وعي بأهمية التعليم من الناحية الدينية ، فهم ينظرون إلى التعليم نظرة نفعية علمانية بحتة ، ويعتبرونه مجرد وسيلة للوصول لمكانة اجتماعية مرموقة فحسب. فإن تزوجت الفتاة من زوج مناسب ، وتحقق حلمها ، لم يعد هناك داع للتعليم ولا للمدارس** ، وهذا شيء لا يتفق مع روح الإسلام ، **فالعلم في الإسلام مهم في ذاته ، وذلك لأسباب كثيرة من أهمها أنه وسيلة للتمييز بين الحق والباطل ، وسبيل لاكتساب الإيمان بالله ، وإدراك قدرته ، ومعرفة أحوال المسلمين**. كما أن المرأة المتعلمة ستكون قادرة على مساعدة أولادها في الدراسة.

إن النظر للتعليم باعتباره مجرد وسيلة للزواج أو الحصول على وظيفة أمر شائع لدى أكثر الناس، وعلى رأسهم أنصار المرأة. وكثيرا ما تسمع الواحدة منهن تتحسر على نفسها قائلة: "ما فائدة سنوات التعليم الطويلة ما دمنا لا نجد عملا؟" **إن الخلل لا يكمن فى الزواج المبكر الذى يحرم المرأة من التعليم، بل فى النظرة غير الإسلامية للعلم التى يتبناها أغلب الناس. ولو اتبع المسلمون تعاليم دينهم لأصرت الفتاة على التعلم بعد الزواج على قدر طاقتها.**

ويمكن للجامعات – بضغط من الحكومة والبرلمان– أن تيسر على المرأة ، بحيث تدرس المناهج على فترات أطول ، وتقسم امتحانات السنة الواحدة على سنتين أو ثلاثة حتى يسهل عليها التوفيق بين البيت والتعليم. ولا ضرورة لأن تنهي المرأة دراستها الجامعية أو الثانوية فى نفس الوقت المعتاد لأن **المرأة المتزوجة ليست في عجلة من أمرها** ، فهي لا تريد أن تنتهي من دراستها بأقصى سرعة كي تلتحق بالجيش ، ثم تبحث عن وظيفة مثل الرجل.

وافتراض أن التعليم نشاط مؤقت أو مرتبط بزمن محدد هو لعمري افتراض في غاية التخلف. **التعليم يجب أن يكون نشاطا مستمرا** ، فمن يتوقف عن التعليم بعد الحصول على الشهادة سيفقد حتما

جزءا كبيرا مما تعلمه ، كما أنه لن يكون على دراية بالجديد في العلم. **وعلى ذلك فإتمام التعليم فى سنوات قصيرة ، ثم نسيان العلم بعد ذلك أسوأ من إتمام التعليم في سنوات أطول مع مداومة الاطلاع. ويمكن للمرأة بعد الزواج أن تواصل التعليم بخطى بطيئة لكن مستمرة ، فهذا أفضل كثيرا من التهام العلم مرة واحدة ، ثم تقيؤه مرة واحدة بعد الامتحانات.** يجب أن نعي جيدا أن "العلم" غير "الشهادة". يمكن للإنسان أن يكون عالما بدون شهادة ، كما أن أغلب الحاصلين على شهادات يكرهون ما تعلموه ، وينسونه تماما بعد الامتحانات. والعالم الحقيقي هو الذي يظل يتعلم حتى مماته. وهذا يثبت أن المرأة إن تعلمت بتمهل بعد الزواج لن تخسر شيئا يذكر.

كما يمكن للمرأة أن تُحَصل – وهي فى البيت– كثيرا من العلوم دون حاجة للذهاب للجامعات، وما أسهل التعلم عن بُعد هذه الأيام ، خاصة بعد جائحة كورونا التي جلس فيها الطلبة في بيوتهم ، وأخذوا يستمعون للمحاضرات من خلال الإنترنت.

وهكذا يتضح أن الزواج المبكر يتماشى تماما مع روح العصر.

ثم إن من ينادون بتأخير الزواج من أجل إعطاء الفرصة للفتاة كي تتعلم **يتجاهلون حقيقة أن نسبة كبيرة من الفتيات لا يكملن تعليمهن بسبب قلة حظهن من الذكاء ، أو كراهيتهن للتعليم، واهتمامهن بأشياء أخرى.** ومن المؤكد أنه مهما فعلنا من أجل مساعدة الطلبة على التعلم ، فسيبقى هناك كثيرات ممن يتسربن من المدارس ، **فما الداعي لتأخيرهن عن الزواج؟** إنه حتى فى أكثر الدول تقدما مثل الولايات المتحدة وبريطانيا والنرويج وفرنسا وألمانيا نجد أن نسبة الأمية ليست هينة ، فطبقا لتقرير وزارة التعليم الأمريكية ، الذي أوردته مجلة فوربس الشهيرة ، فإن 54% من الأمريكيين بين 16 و 74 عاما (حوالي 130 مليون شخص) يفتقرون للكفاءة فى معرفة القراءة والكتابة ، حيث يقرأون أقل من المستوى المفترض لطالب الصف السادس الابتدائي[109]. وإن افترضنا أن نصف هؤلاء تقريبا من النساء ، فهذا عدد ضخم ، فما بالك بنسبة الفتيات اللائي لم يفلحن في التعليم في الدول الفقيرة؟ لماذا نحرمهن من الزواج؟

---

109) Low Literacy Levels Among U.S. Adults Could Be Costing The Economy $2.2 Trillion A Year. By Michael T. Nietzel. Forbes. September 9, 2020. https://www.forbes.com/sites/michaeltnietzel/2020/09/09/low-literacy-levels-among-us-adults-could-be-costing-the-economy-22-trillion-a-year/?sh=512b8cfd4c90 ; accessed June 23, 2022.

هب أن فتاة فى الرابعة عشرة من عمرها لم تكمل دراستها بسبب ضعف مستواها التعليمي، وتركت المدرسة ، فماذا عليها أن تفعل إن لم تتزوج؟ إننا إن أوصدنا أمامها باب الزواج فتحنا لها أبواب الفاحشة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

4- الزواج المبكر لا يدمر مستقبل المرأة

يقال أن الزواج المبكر يوجه ضربات موجعة للمرأة في صميم مستقبلها وحياتها العملية ، فالمرأة التي تتزوج مبكرا لن تكمل تعليمها ، وإن أكملته فلن تفكر في العمل ، وإن فكرت في العمل فستقف الوظيفة فى طريق متطلبات بيتها وأولادها. وهكذا ستظل المرأة تابعة للرجل ، ولن يكون لها أبدا شخصية مستقلة. وفى رأينا أن هذا هو الدافع الحقيقي الذي يجعل أنصار المرأة يعارضون بشدة الزواج المبكر ، وأي اعتراض آخر هو اعتراض ثانوي أو مفتعل.

ونحن نؤكد أن دور المرأة الأول في البيت ، وواجبها الأساسي رعاية أسرتها ، وليس عليها الخروج من البيت للعمل ، وذلك لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام:

«كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، **وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ** وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». رواه البخارى. وفى لفظ مسلم: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، **وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ**، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

ولاحظ أن جملة **(المَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ)** اتفق عليها البخاري ومسلم ، وهذا يجعلها فى غاية الصحة. ولاحظ أن الحديث يقول: (راعية على بيت بعلها وولده) وليس (راعية على بعلها وولده). وهذا يعني أن بيت الزوجية نفسه يدخل في نطاق مسئولية المرأة. والمقصود طبعا قيام المرأة بأعباء البيت المعتادة من طبخ وتنظيف وكنس وترتيب وخلافه.

كما أن **المرأة ليست ملزمة شرعا بالإنفاق على الأسرة** ، فهذه مهمة الرجل طبقا لقوله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} [النساء: 34]. وقد أثبتنا في كتابنا (من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة)[110] أن عمل المرأة حرام

110) **"من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة"**. تأليف دكتور محمد سعيد المكاوي. الناشر: منصة أمازون للكتب الرقمية. رقم أمازون (B0B4DVM942). والكتاب متاح للتحميل مجانا من على موقع أرشيف وفوله بوك ومكتبة نور.

إلا للضرورة. كما أن أعمال البيت من مهام المرأة وليس الرجل ، باستثناء حالة الضرورة كمرض الزوجة.

وعلى ذلك فالزواج المبكر لن يضر مستقبل المرأة ، لأن مستقبل المرأة الحقيقي طبقا لتعاليم الإسلام داخل بيتها ، وليس خارجه. وليس مطلوبا من المرأة المسلمة أن تعمل وتكسب ، وليس عيبا أن تكون معتمدة على زوجها في النفقة ، فهذه سنة الله وفطرته.

إنهم يريدون للمرأة أن تتأخر فى الزواج كي تحصل على وظيفة ، وتكتفي بذاتها ، استعدادا لحرب طاحنة مع الزوج ، فهم أشبه بمن يحث المواطنين على حمل السلاح ، ليس لمحاربة أعداء الوطن، وإنما لخوض حرب أهلية!

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

5-الفتاة الصغيرة وحسن اختيار الزوج

يقال أن الزواج المبكر يحرم الفتاة من حقها فى اختيار زوجها لأنها لن تستطيع أن تعارض أهلها إن كرهت الرجل الذى يريدون أن يزوجوها إياه.

وهذا الكلام غير صحيح ، **فالإسلام يفرض على الأب أن يستشير ابنته فى أمر زواجها** ، وذلك لما رواه البخارى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «البِكْرُ تُسْتَأْذَنُ» قُلْتُ: إِنَّ البِكْرَ تَسْتَحْيِي؟ قَالَ: «إِذْنُهَا صُمَاتُهَا». وعن أَبُي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَسْكُتَ» رواه مسلم. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا»؟ قَالَ: نَعَمْ. رواه مسلم. وعَنْ خَنْسَاءَ بِنْتِ خِذَامٍ الأَنْصَارِيَّةِ، أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهْيَ ثَيِّبٌ فَكَرِهَتْ ذَلِكَ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَرَدَّ نِكَاحَهُ»، رواه البخارى. ولاحظ قوة هذه الأحاديث، فقد رواها البخارى ومسلم، ونُقلت عن أكثر من صحابى.

وقد استنتج الفقهاء من حادثة زواج الرسول عليه الصلاة والسلام من السيدة عائشة فى سن صغير أن من الجائز للأب أن يزوج ابنته الصغيرة دون موافقتها ، وفى هذا يقول الإمام النووى: "هَذَا صَرِيحٌ فِي جَوَازِ تَزْوِيجِ الْأَبِ الصغيرة بغير اذنها لِأَنَّهُ لَا إِذْنَ لَهَا... وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى جَوَازِ تزويجه بنته الْبِكْرَ الصَّغِيرَةَ لِهَذَا الْحَدِيثِ وَإِذَا بَلَغَتْ فَلَا خِيَارَ لَهَا فِي فَسْخِهِ عِنْدَ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَسَائِرِ فُقَهَاءِ الْحِجَازِ وَقَالَ أَهْلُ الْعِرَاقِ لَهَا الْخِيَارُ إِذَا بَلَغَتْ"[111]

ونحن نرفض هذا الرأي الأخير ، **فكون الروايات لم يرد فيها أن أبا بكر الصديق استأذن ابنته عائشة لا يعد دليلا على أنه لم يأخذ رأيها ، فربما أخذ رأيها ، ولم ينقله لنا الرواة ، فليس كل ما لم يُرو لم يحدث.** وربما فهم أبو بكر أن ابنته موافقة لما رأى أمارات الفرح على وجهها حين سمعته وهو يخبرها أن الرسول عليه السلام خطبها ، فلم يحتج لأن يسألها: "هل أنت موافقة أم

111) **"المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"** (9/ 206). تأليف محيى الدين يحيى بن شرف النووى. دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة الثانية، 1392 هجرية.

لا؟" إن الحديث يقول أن مجرد صمت الفتاة معناه موافقتها على الزواج ، فما بالك إن تبسمت وفرحت؟

ثم بفرض أن أبا بكر لم يأخذ رأى ابنته فى الزواج ، فليس هذا بحجة لأن **الزواج تم فى العهد المكى قبل أن يستقر الإسلام فى المدينة ، ويبدأ الرسول عليه الصلاة والسلام فى تأسيس المجتمع المسلم ، وبيان قوانين الشريعة.** لقد كان الهم الأكبر فى مكة هو حماية المسلمين من اضطهاد المشركين ، لكن بعد الهجرة إلى المدينة بدأت مهمة إنشاء الدولة ، وتأسيس مجتمع مسلم سوى ، ولهذا كان من الطبيعى أن يتأخر نزول أحكام الزواج إلى العهد المدنى. ولهذا **فبفرض أن أبا بكر لم يستأذن عائشة قبل زواجها فالسبب ببساطة أن الرسول لم يكن قد أمر الآباء حينئذ بذلك ، والتشريع النهائى نجده فى تلك الأحاديث التى توجب على الولى استئذان ابنته. وهذه الأحاديث لا تفرق بين بِكر وبِكر.** وليس هناك نص يذكر أن البكر البالغة هى فقط التى تُستأذن.

وقد يقال أن الفتاة الصغيرة لا تستطيع الحكم جيدا على الرجل الذي يبغي الزواج منها ، وذلك لقلة خبرتها بالحياة.

ونحن نؤكد أن سن الفتاة لا يؤثر على تقبلها للرجل ، فالقبول المبدئى للآخر هو أمر نفسى فى الأساس. وهذا القبول المبدئى – أو الراحة النفسية تجاه الآخر– شرط أساسى لنجاح الزواج. **و«التقييم النفسي» الذي تجريه المرأة للرجل لا يختلف كثيرا بين فتاة صغيرة وأخرى كبيرة ، فالنفس البشرية لها طبائع وخصائص شبه ثابتة ، تجعلها تميل نحو أشخاص بأعينهم مهما طال بها العمر ، وهو ما يُسمى:"الحب من أول نظرة"**. وبالعكس قد تنفر النفس من أشخاص آخرين بمجرد النظرة الأولى. وأحيانا يكون «**الحاجز النفسي**» شديدا بين الإنسان وبين شخص ما بحيث لا يتصور أن من الممكن معاشرته أو الإقامة معه فى منزل واحد. وقد لاحظتُ – وهذا انطباعي الشخصي– أن الرجل الذي يتزوج بأكثر من امرأة تكون زوجته الأولى مشابهة بشكل عام لزوجته الثانية ، وذلك لأن صفاته النفسية – التي تملي عليه الارتباط بامرأة معينة– لم تتغير كثيرا بمرور الزمن. وهذا التقييم النفسي يؤثر بشدة على قرار الزواج. وكم من إنسان حسم أمره ، وتزوج بعد نظرة واحدة. وهذه الراحة النفسية تختلف عن حسن المنظر ، فقد تنفر المرأة من رجل في غاية الوسامة. وغالبا ما لا يستطيع المرء معرفة سبب قبوله أو رفضه للآخر ، لكن فى بعض الأحيان

يكون الأمر واضحا ، فقد تكره المرأة المرحة الرجل المتجهم ، أو تنفر المرأة الرزينة من الرجل الخفيف ، أو تشمئز المرأة الطيبة من الرجل اللئيم ، أو تصطدم المرأة المتواضعة بالرجل المغرور.

وإضافة إلى هذا «**التقييم النفسى**» هناك «**التقييم الجسدي أو المادي**» المتمثل فى المعايير الموضوعية لسلامة الجسد وجماله ، والتى لا يختلف حولها الكثيرون ، فالناس يتفقون على النفور من صفات البدانة والنحافة والقصر والقراع والسواد والصمم والعمى والخرس والعرج والشلل وكذلك الأمراض الجلدية وعيوب النطق والعيوب الخلقية خاصة في الوجه. **وهذه المعايير الجسدية تشبه المعايير النفسية في أنها تبقى فى الغالب ثابتة ، بل هي أشد ثباتا ، لأن لها حظا أكبر من الموضوعية** ، فلا يختلف اثنان من الناس مثلا حول النفور من رجل قزم أو رجل لديه شفاه أرنبية (مع كامل احترامنا لهؤلاء الأشخاص). وكلما زاد عدد العيوب الجسدية لدى الشخص زاد اتفاق الناس على النفور منه. ولهذا فالفتاة التى تتزوج صغيرة لن يختلف تقييمها الجسدي لخطيبها كثيرا عن الفتاة التى تتزوج فى سن أكبر.

وفضلا عن "التقييم النفسي" و"التقييم الجسدي" هناك أيضا ما يمكن أن يسمى ب «**التقييم الاجتماعى**» الذى يتضمن مهنة الخطيب وتعليمه ودخله وأملاكه وحسبه ونسبه وملابسه وطريقة كلامه وعاداته وعلاقاته ونفوذه. وإذا نظرنا لهذه العوامل الاجتماعية لوجدنا أن ولى أمر الفتاة أقدر منها على تقييمها ، فالأهل – بما لهم من خبرة – يستطيعون الحكم على الناس وعلى أقدارهم. **وسواء كبرت الفتاة أو صغرت فسيبقى أهلها أقدر منها على تقييم الرجال اجتماعيا**، فالفرق غير كبير بين فتاة فى الثالثة عشرة من العمر وفتاة أخرى فى العشرين ، فكل منهما أقل خبرة من أب فى الستين وأم فى الخمسين. إن فرقا يبلغ سبع سنوات بين فتاة صغيرة وأخرى كبيرة يكاد يتلاشى إذا ما قورن بفرق يزيد عن الثلاثين أو الأربعين عاما بين الفتاة وأبوها ، فهناك إذن تفوق كاسح للأب فى الخبرة الاجتماعية على بناته مهما كبرن. **وعلى ذلك فالزواج المبكر لن يحرم الفتاة من التقييم الاجتماعى الجيد للخطيب لأن أفضل مَن يقوم بهذا التقييم هو ولى أمرها.**

وإضافة إلى ما سبق هناك ما يمكن أن نسميه ب «**التقييم الدينى**» أو القبول الديني. وفى هذا الصدد سنجد للوهلة الأولى أن الفتاة إذا كبرت صارت أقدر على تقييم تدين الرجل الذي يبغي الزواج منها. والفتاة الصغيرة قد تقع فى فخ زوج لا يعرف الله. ولكن نحن نرفض هذا الكلام بشدة،

وذلك لأن الفتاة الصغيرة ليست وحدها ، فأسرتها تقف معها. ويستطيع الأب (والأم) بما له من خبرة أن يعرف بقدر أكبر من الدقة ما إذا كان الرجل المتقدم لابنته متدينا أم لا ، وذلك من خلال سؤال جيرانه وزملائه عن أحواله: هل يصلي ويصوم؟ هل يتصدق على الفقراء؟ هل يلبس ملابس وقورة أم يلهث وراء التقليعات الغريبة؟ هل يدخن؟ هل يجلس على المقاهي ويشرب الشيشة؟ هل يصاحب البنات؟ هل يذهب للأماكن المشبوهة؟ هل هو أمين في تعاملاته أم له سوابق احتيال؟ هل يعمل بمهنة حلال أم حرام؟ هل أقواله تطابق أفعاله أم أنه يصطنع التدين؟ وبشكل عام لا يمكن لأحد أن يحكم بشكل كامل على تدين الإنسان إلا من خلال هذه المظاهر الخارجية. وهذه المظاهر الخارجية يمكن للأهل أن يعرفوها بشكل أفضل من ابنتهم حتى لو كانت البنت كبيرة وناضجة. والحكم الكامل على تدين الإنسان يتأتى فقط من خلال التعامل معه عنه قرب شديد لشهور وسنوات. ولهذا فكل من البنت وأهلها معرضون للخطأ في الحكم على تدين الخطيب ، لكن الأب أكثر خبرة في هذا المجال ، **وسواء كانت البنت صغيرة أم كبيرة فستظل بحاجة إلى معونة أهلها.**

يجب أن نفهم جيدا أن الزواج في الإسلام يشترط فيه موافقة ولي المرأة طبقا لحديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ "[112]. **ووجود الولي سيسد بشكل شبه كامل أي قصور لدي الفتاة الصغيرة فى حكمها على خطيبها. فلا تقلقوا من هذه الناحية.** وإضافة إلى ما سبق فمن الخطأ أن نؤخر زواج البنات الصغيرات بحجة أنهن لا يستطعن الحكم على تدين الرجال ، فهذا التأخير سيعرضهن للانحراف أو الوقوع فى الزنا ، وسيعرض المجتمع كله للانحلال. **نحن بهذا نكون قد أردنا منع خطأ ديني صغير ، ففتحنا الباب لخطأ ديني أكبر.**

112) حديث صحيح. أخرجه أحمد وغيره. انظر: **"مسند الإمام أحمد بن حنبل"** (32/ 280). تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وعادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
وأخرجه الحاكم ، وصححه قائلا:عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ»** فَقَدِ **اسْتَدْلَلْنَا بِالرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ، وَبِأَقَاوِيلِ أَئِمَّةِ الْعِلْمِ عَلَى صِحَّةِ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى،** بِمَا فِيهِ غَنِيَّةٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ " وَفِي الْبَابِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَأَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ، وَالْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَالْمِسْوَرِ بْنُ مَخْرَمَةَ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ **وَأَكْثَرُهَا صَحِيحَةٌ، وَقَدْ صَحَّتِ الرِّوَايَاتُ فِيهِ عَنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَائِشَةَ، وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. انظر: **"المستدرك على الصحيحين"** (2/ 188). تأليف: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. يشمل الكتاب تضمينات الإمام الذهبي فى التلخيص والميزان والعراقي فى أماليه والمناوي فى فيض القدير وغيرهم من العلماء الأجلاء. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى، 1411 – 1990

الخلاصة: الزواج المبكر لن يؤثر على التقييم النفسي ، ولا المادي (الجسدي)، ولا الاجتماعي، ولا الدينى للرجل الذي يبغي الزواج بالفتاة.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

6-الفتاة الصغيرة ليست ضعيفة جسديا

يقال أن الزواج المبكر يتنافى مع الإنسانية والرحمة لأن الفتاة الصغيرة لا تقوى على القيام بأعباء البيت ومسئوليات الأسرة.

ونحن نرفض هذا الهراء لأن أنصار المرأة –والمجتمع الحديث بشكل عام– يشجعون الفتيات بقوة على ممارسة الرياضة. وأغلب الآباء والأمهات من الأسر الثرية والمتوسطة يلحقون بناتهم بالأندية الرياضية فى سن صغيرة جدا ، ليس فقط لممارسة الرياضة كهواية ، ولكن لإعدادهن ليكن بطلات رياضيات في مختلف المجالات ، بما فى ذلك الرياضات العنيفة كالكاراتيه والمصارعة وحمل الأثقال.

ولا شك أن **الجهد البدنى الذى تبذله الفتاة فى التدريب على الرياضة يزيد مئات المرات على الجهد الصغير الذى يمكن أن تبذله فى أداء أعمال البيت المعتادة.** ورغم ذلك لم نسمع أحدا يصف ممارسة فتاة عمرها أربع أو خمس سنوات للرياضة بالقسوة والوحشية. لم نسمع من يقول: "ارحموا تلك الفتاة الصغيرة. رفقا بجسدها الضعيف. اتركوها تستمع بحياتها. أليس فى قلوبكم شفقة؟"

لقد سقطت الآن تلك الحجة السخيفة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

٧-صغيرة وخبيرة في رعاية البيت

من أهم الحجج التى يرددها معارضو الزواج المبكر أن الفتاة الصغيرة تفتقر للخبرة اللازمة لرعاية البيت وتربية الأولاد.

وهذا الكلام ساقط. **إن فتيات اليوم بلا خبرة ليس لأن نقص الخبرة قدر محتوم على الفتاة الصغيرة، ولكن لأن الآباء والأمهات قصروا فى تدريب بناتهم على أعمال المنزل.** قديما كانت الفتاة فى القرية إذا بلغت الثانية عشرة صارت تجيد القيام بكل أشغال البيت تماما مثل المرأة الكبيرة. وكان هذا شأن كل الفتيات بلا استثناء. وهذه شهادة لشىء رأيته بعينى. أما اليوم فنادرا ما تحرص الأم على تعليم بناتها أعمال البيت. وتجد أحيانا الأم منهمكة فى العمل داخل البيت ، بينما ابنتها مشغولة بالكلام فى الهاتف ، أو تصفح مواقع التواصل الاجتماعى ، أو الوقوف أمام المرآة. وفى أحيان كثيرا تتزوج الفتاة فى الخامسة والعشرين أو الثلاثين ، وهو لا تعرف كيف تصنع طبقا من الأرز أو كوبا من الشاى.

فتيات اليوم لا يتحملن أى مسئولية ، ليس لأن المسئولية كبيرة عليهن، ولكن لقلة الهمة ، وانعدام الرغبة فى إعداد البنت للعب دور الأم. الأسرة الآن تجهز بناتها لشىء واحد هو التعليم والعمل ، أما رعاية البيت والأسرة فأمور بالية لا تستحق من وجهة نظرهم أى اهتمام.

المشكلة إذن لا تكمن فى نقص خبرة الفتيات الصغيرات بأعمال البيت ، بل تكمن فى أننا لسنا متحمسين لإكساب الفتيات تلك الخبرة سواء كن صغيرات أو كبيرات. العيب فينا نحن. ومع الأسف بدلا من أن نحاول إصلاح الخطأ إذا بنا نعالج الخطأ بخطأ أكبر، فنطالب بتأخير سن الزواج بحجة إتاحة الفرصة للفتيات لاكتساب الخبرة ، ففتحنا الباب على مصراعيه للانحلال والرذيلة.

إن علاج الخطأ يكون بإزالته، واقتلاعه من جذوره ، وليس بتركه للزمن ، فالزمن لن يغير أحدا لا يريد أن يتغير.

المسألة بسيطة جدا: الفتاة اليوم – كبيرة كانت أم صغيرة– بلا خبرة في أشغال البيت ، فالحل المنطقى هو أن نكسبها هذه الخبرة ، وليس أن نؤجل الزواج.

ثم تعالوا بنا نتساءل: ما الوقت الذى تحتاجه الفتاة كي تكتسب هذه الخبرة بأعمال البيت؟ لا أظن أنها تحتاج لأكثر من عام واحد على الأرجح ، وبعدها تصبح الفتاة محترفة فى رعاية البيت. فإن كنتم تريدون رفع سن زواج الفتيات بمقدار عام واحد (من سن 12 حتى 13 عاما مثلا) فنحن نوافقكم. **إننا نعيش فى عصر السرعة ، ومن أراد أن يتعلم شيئا فمن السهل عليه أن يتعمله فى ظل ثورة المعلومات.** وكل شيء عن فنون رعاية البيت متاح بسهولة على القنوات الفضائية والإنترنت. ومن السخف تأخير سن الزواج عشر سنوات انتظار لاكتساب الفتاة خبرة يمكن أن تحصلها بكل سهولة فى شهور قليلة. هذا كسل وتراخ، وليس حرصا على نجاح الزواج.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

8-الفتاة الصغيرة تستطيع تربية الأطفال

كثيرا ما تردد ناشطات الحركة النسائية أن الفتاة إن تزوجت مبكرا أخفقت حتما فى تربية أولادها بشكل صحيح.

وهذا الكلام يبعث على الضحك لأنه لا واحدة من أتباع الحركة النسائية تهتم بتربية أولادها، فهن من الأصل يحتقرن تربية الأولاد ، وكل ما يرتبط بها من أعمال البيت المختلفة كالطبخ والتنظيف والترتيب وتغيير البامبرز. والواحدة منهن بمجرد ما ترتاح من آلام الوضع تسارع إلى العودة إلى عملها ، تاركة طفلها الرضيع إلى خادمة تربيه ، أو تلقيه فى حضانة للرضع كى تتفرغ لبناء مستقبلها وتحقيق طموحها. فأى حرص يمكن أن تجده لدى هؤلاء على تربية الأولاد؟ إن دعوتهن لتأخير سن الزواج حتى تصبح الفتاة مؤهلة لرعاية أبنائها محض كذب.

ثانيا **القدرة على تربية الأولاد تُكتسب أساسا بالممارسة، وليس بالتعلم النظرى. ولو عاشت المرأة عاقرا ، ولم تنجب إلا فى سن الأربعين فستكون مثلها مثل فتاة تنجب لأول مرة فى سن الثانية عشرة.** المرأة تكتسب الخبرة بالحمل حين تحمل فعلا ، فتعرف حينئذ أعراض الحمل ومتاعبه وآلام المخاض ومشاكل النفاس ، فتصبح فى الحمل الثانى أكثر خبرة وثباتا وتماسكا. وبعد الولادة تتعلم المرأة كيف ترضع الطفل ، وما الذى يبكيه ويؤلمه ، وما الذى يريحه ويسكته ، ومتى يجوع ، وكيف يلعب ، وكيف يتعلم المشى، ومتى يبدأ الكلام. كما تتعلم الأم بالتجربة الأمراض الشائعة التى تصيب الأطفال ، ومتى يكون بكاء الطفل مدعاة للقلق ، ومتى تذهب للطبيب. إن كل الأمهات يشعرن بالارتباك مع أول طفل ، لكن الوضع يتحسن كثيرا مع ثانى طفل وثالث طفل. ولهذا **فمهما تأخر سن الزواج فستبقى المرأة بلا خبرة إلا بعد أن تنجب ، وهذا يشبه الطفل الذى لا يمكن أن يتعلم السباحة إلا إذا ألقي في الماء ، أو الجراح الذي لا يمكن أن يجري عملية لمريض إلا إذا جرب بنفسه الإمساك بالمشرط.** إن تأخير سن الزواج انتظارا لاكتساب الخبرة بتربية الأطفال أشبه بوضع العربة أمام الحصان.

وإضافة إلى ذلك **فنقص خبرة الفتاة بتربية الأولاد يتم تعويضه تلقائيا بواسطة خبرة الأم والحماة** والأقارب من النساء والصاحبات. وكل هؤلاء يتطوعن لتقديم خبراتهن للفتاة الصغيرة ، فتسير المركب بسلام.

وبفرض أن المعرفة النظرية بتربية الأطفال ذات أهمية قصوى، فما الذى يمنع من تلقينها للفتيات الصغار بسرعة؟ إن من السهل جدا للفتاة أن تلم بمتطلبات تربية الأطفال فى خمس أو ست محاضرات نظرية ، أو حتى قراءة كتاب مبسط في بضع ساعات ، ولا داع مطلقا لتأخير الزواج لعشر سنوات من أجل معلومات يسهل تحصيلها فى وقت قصير.

ثم إن الفتاة التي تتزوج وهي صغيرة لن تبدأ دائما من الصفر ، فكثيرا ما يكون لها إخوة أصغر منها ، أو أولاد صغار لإخوتها أو عماتها أو خالاتها أو صاحبات أمها ، وسيكون لديها قدر من الخبرة في التعامل معهم ، وستكون قدرتها على تربية أولادها أسهل مما يبدو لأول وهلة.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

٩-اتركوا المراهقين ليستمتعوا بحياتهم!

قد يقال أن الفرصة يجب أن تتاح لكل من الفتى والفتاة للاستمتاع بفترة المراهقة ، والزواج المبكر يحرم الفتاة بالأخص من التمتع بهذه المرحلة التي لن تتكرر.

ونحن نقول: **من الخطأ معاملة المراهقين على أنهم أطفال** إلى أن يبلغ الواحد منهم سن الثامنة عشرة كما تقول القوانين الحالية. هذا هراء. **إن سن المراهقة مرحلة انتقالية بين الطفولة والكِبَر، فلماذا نضمه إلى مرحلة الطفولة بالذات؟ لماذا لا نضمه إلى مرحلة الكِبر؟** لقد كان الشاب فى الماضي وحتى سنوات غير بعيدة يعامَل معاملة الرجال بمجرد أن يصل إلى سن الثانية عشرة. ولعلكم تعرفون قول الخنساء فى رثاء أخيها صخر: "سَادَ عشيرته أمردا" ، أى أنه كان زعيما لقومه، وهو شاب ، لم تنبت لحيته بعد[113]. وفى قريتنا كان الفتى بمجرد ما يصل إلى سن 13 عاما يصبح فى نظر المجتمع رجلا ، فيعمل مثل أبيه في الحقل ، أو يعمل لدى المزراعين الآخرين بأجر يومي كبير ، وقد يتعلم حرفة تدر عليه دخلا معقولا ، وأحيانا ينوب عن الأب في حضور الأفراح والمآتم، أو يسير بجوار أخته فى زفافها ممسكا بيدها مع وزوجها. وكان الفتى بمجرد ما يدخل المرحلة الثانوية (فى عمر 15 عاما) يناديه الناس بلقب: "أستاذ" ، وهو لقب أبعد ما يكون عن الطفولة. وبنفس الطريقة كانت الفتاة تعامَل كامرأة إذا وصلت إلى سن عشر سنوات ، فتعتمد عليها أمها بشكل تام في جميع أعمال البيت.

فأى فرق بين هؤلاء المراهقين وبين الكبار؟ ما الشىء الذى يعمله الكبار ولا يعملونه هم؟ لماذا تريدون أن تكون مرحلة المراهقة عبثا ولهوا وعربدة بدلا من أن تكون سنوات عمل وجد واجتهاد؟

ندرك أن هناك اختلافات بين الأطفال في السن التي يبدأ عندها البلوغ ، فبعضهم يبلغ في سن تسع سنوات ، وبعضهم يتأخر حتى سن الثالثة عشرة. وكل ما ننادي به أن الطفل إذا بلغ وجب علينا أن نغير نظرتنا إليه ، ونبدأ في معاملته كرجل يُعتمد عليه ، وليس كطفل يَعتمد على أبويه.

113) الأَمْرَدُ هو الشَّابُّ طَرَّ شارِبُهُ ولم تَنْبُتْ لِحْيَتُهُ. انظر: **"القاموس المحيط"** . تأليف مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادى. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. الطبعة الثامنة، 1426 هـ - 2005 م

ثانيا هل صحيح أن الرجال والشيوخ لا يستمتعون بحياتهم، وأن الاستمتاع يكون فقط فى سن الطفولة والمراهقة؟ هل يقدر أى إنسان– كبيرا كان أم صغيرا – أن يعيش دون ترفيه وترويح عن النفس؟ قطعا لا. لما إذن يفترض البعض افتراضا – يصل إلى حد العقيدة– أن الطفولة والمراهقة هما فقط مرحلتا الإستمتاع بمباهج الحياة؟ هل الزواج يمنع المرء من الاستمتاع بمشاهدة التلفاز، أو زيارة الأصدقاء ، أو الجلوس في الحدائق ، أو الخروج إلى الرحلات ، أو ممارسة الهوايات؟

وطبعا **نحن لا ننكر أن الزواج يقلل من الوقت المتاح أمام الإنسان لممارسة الهوايات ، لكن الزواج فى المقابل يجعل الإنسان أكثر استمتاعا بهذه الهوايات** ، وذلك لأن **الإفراط فى اللهو واللعب يورث الملل والسآمة ، لكن ممارسة الهوايات فى أوقات الفراغ القليلة يجعلها أكثر متعة وتشويقا.** أذكر أننى فى فترة المراهقة كنت أحب لعب كرة القدم والقراءة. وكنت إذا جلست فى البيت لأيام طويلة بلا عمل فى بداية العطلة الصيفية أشعر بالملل من ممارسة هذه الهوايات ، لكن في نهاية الصيف تكثر أعمال الحقل ، فأعود إلى البيت متعبا كل يوم في المساء ، فأشعر بلذة عارمة أثناء الجلوس للقراءة لمدة ساعتين فقط بعد العشاء. وفي هذه الأوقات القصيرة تمكنت من قراءة كتب العقاد الصعبة ، وكتب أخرى معقدة عن فلسفة كانط وبرجسون وديكارت وهيجل دون أن أحس بالملل. كما كنت أحس بمتعة كبيرة إن أتيح لي أن ألعب الكرة لدقائق معدودة أمام البيت. **لقد كانت أسعد أيام حياتي هي تلك التي كنت أمارس فيها هواياتي بعد يوم عمل شاق.**

الزواج ليس نهاية للسعادة ، ولا بداية للتعاسة. وفى كثير من الأحيان يكون الزواج بداية لمرحلة جديدة مشرقة فى حياة الإنسان. أعرف عددا من الرجال الذي ضيعوا شبابهم في الزنا ، ورفضوا الزواج اكتفاء بعلاقاتهم الآثمة. ولما رضخوا أخيرا لضغوط أهليهم تغيرت حياتهم ، وتمتعوا بالاستقرار ، وأصبحوا يعيشون من أجل هدف ، وانشغلوا بأولادهم ، وندموا على سنوات الضياع. وعبر لي بعضهم عن حسرته لأنه لم يتزوج مبكرا ، مع العلم أنه لم يقل ذلك بدافع ديني.

وفضلا عن ذلك لا يختلف اثنان على أن **الزواج يأتى لكل الناس بأهم شكل من أشكال الترفيه ، ألا وهو الجنس.** إن الجماع هو أهم متعة فى الوجود فى نظر أغلب الناس. وتأخير الزواج لا يسعد الشباب ، بل يعذبهم بسبب الشوق للجنس الآخر. إن الشاب قد يذهب إلى رحلة فى مدينة الغردقة ، فيعود منبهرا لأنه شاهد السائحات العاريات ، وهن يرقصن ويغنين. هذا الشاب فى

الحقيقة مسكين لأنه ظل يحوم فى رحلته حول هدف دون أن يبلغه ، ألا وهو الجماع. ولو تزوج هذا الشاب لوصل إلى غايته مباشرة وقتما يشاء. وهذا يثبت لغو ما يقال عن ضرورة تأخير الزواج كى يستمتع المراهقون بحياتهم ، **فالمتعة الأكبر تصاحب الزواج ، إلا إذا كان أنصار المرأة يقصدون من تأخير الزواج إتاحة الفرصة للشباب كى يمارسوا الزنا دون أولاد أو مسئوليات.** والحقيقة أن هذا بالفعل غرضهم، ومن لا يفهم هذا فهو ساذج ، فالحركة النسائية حركة انحلال.

وإضافة إلى ذلك ففى الزواج متعة أخرى عظيمة ، مصدرها الأطفال. إن الأبوين يبدآن فى الشعور بطعم جديد للحياة بعد إنجاب الأطفال. ودقيقة يقضيها الأبوان مع ابنهما الصغير أفضل من ساعة يقضيانها مع أصدقائهما. وابتسامة الطفل فى وجه من يلاعبه لا تقدر بثمن. الأطفال عالم آخر جميل لذيذ. الطفل يجعل الإنسان يضحك من أعماقه بسبب تصرفاته الساذجة. ومتابعة المهارات البسيطة التى يكتسبها الطفل كل يوم كالجلوس والوقوف واستخدام الملعقة وتناول الطعام والإمساك بالقلم تملأ على الأبوين حياتهما. وتعلم الطفل للكلام شىء فى غاية الظرف ، ونطقه للكلمات بطريقة خاطئة يجعلك تضحك من أعماقك. ولئن أجريت استطلاعا للرأى بين المتزوجين حديثا ، وسألتهم: "هل تودون أن تجروا عمليات تعقيم حتى لا تنجبوا أبدا؟" لأجابوا جميعا بالنفى.

إن الغرب يرى فى المراهقة فترة يجب أن يشبعها الإنسان باللهو واللعب والعبث ، ويحق له فيها أن يتعرف على الجنس الآخر ، ويقترب منه إلى أقصى حد دونما أدنى قيود، فالزنا فى نظرهم ليس جريمة ، أما الزواج فهو فى رأيهم قيود والتزامات ومنغصات يجب التهرب منها أو تأجيلها لأبعد فترة ممكنة بعد أن يكون الإنسان قد شبع من حياته ، وارتوى من ملذاته ، وحقق أحلامه. إنهم يريدون لنا أن نشبع من المعاصي ، ونصوم عن الطاعات. ما أحقرهم!

ثم ألا تعلمون أن **ملايين الفتيات ينشأن فى أسر فقيرة ، فتكون مراهقتهن كلها بؤس وشقاء وحرمان.** فإن تقدم لإحداهن رجل غني صالح ، يبغي الزواج منها ، فالمنطق يقضي بأن تقبل به كي ينتشلها من الفقر، وتحيا معه في نعيم ، وتنهل من المتع التي حرمت منها[114]. **وهنا تكون المراهقة مصحوبة بالتعاسة ، بينما يكون الزواج المبكر مصدر ترف وهناء ، خلافا لما يقول**

114) التمتع بنعيم الدنيا ليس جريمة طالما أن الإنسان يشكر الله ، ويدفع زكاة ماله ، ولا يسرف. قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [الأعراف: 32].

به الداعون لتأخير سن الزواج. ولو أنصتت هذه الفتاة لكلام المنظمات النسائية لرفضت الخطيب الثري[115] ، وجلست في بيتها تعض أناملها من الجوع. أرجوكم كونوا واقعيين.

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

115) الخَطيبُ هو الخاطِب ، مشتق من خَطَب المرأَةَ يَخْطُبها خِطْبة، بِالْكَسْرِ. وجَمعُ الْخَاطِبِ: خُطَّاب. انظر معجم: **"لسان العرب"** (1/ 360). تأليف جمال الدين ابن منظور. الطبعة الثالثة. دار صادر – بيروت، 1414 هجرية.

10- الزواج المبكر للذكور

كيف يتزوج الذكور مبكرا رغم أن الزواج يتطلب الحصول على وظيفة وادخار مبلغ كبير من المال؟

في البداية يجب أن نؤكد أن السعي الحثيث لتزويج الذكور مبكرا أمر في غاية النبل لأسباب كثيرة، من أهمها أن الغريزة تكون لديهم في قمة العنف في سن المراهقة. **وإشباع الغريزة لا يدخل في باب الترف ، ولكنه أشبه بمنح الدواء لمريض يتعذب.** ثانيا إن لم يتزوج الشاب فقد ينحرف ، ويملأ الأرض فسادا. ولو تزوج الذكور المراهقون لما رأينا أثرا لتجمعات الشباب الذين يتسكعون في الشوارع ، ويضايقون النساء. لو تزوج هؤلاء لارتاح الناس من شرهم ، ولعاد الأمن إلى الشوارع. إن تزويج الذكور مبكرا لا يقل أهمية عن تزويج الإناث.

ولكن العقبة الكبرى في طريق زواج الذكور اليوم هي التعليم ، فالشاب يجب أن يكمل تعليمه كي يجد وظيفة ، ويصير معتمدا على نفسه ، وهذا يوجب تأخير الزواج إلى ما بعد سن 25 عاما في أغلب الأحوال. إنها فعلا مشكلة صعبة ، لكن يمكننا أن نقدم عدة اقتراحات لحلها:

1- **كثير من الذكور لا يكملون تعليمهم بسبب ضعف مستواهم الدراسي أو لظروف اجتماعية مختلفة. والطالب الذي يترك التعليم بعد المرحلة الابتدائية أو الإعدادية سيبحث عن عمل ، ويصبح قادرا على الزواج في سن أصغر ممن أكملوا تعليمهم الجامعي.** ومن الخطأ حرمان هؤلاء من الزواج المبكر. وقد كان لنا زملاء تركوا التعليم بعد المرحلة الإعدادية ، وعملوا ببعض المصانع أو تعلموا حرفا يدوية ، فتزوجوا قبلنا بسنوات طويلة ، ونجحوا فى حياتهم الاجتماعية. وبدا لنا أنهم أكثر سعادة واستمتاعا بالحياة.

2- **إذا كان الفقراء كثيرين ، فالأغنياء أيضا كثيرون. والأسرة الغنية يجب أن تسعي لتزويج ابنها في سن صغير ، ثم تنفق عليه هو وزوجته وأولاده حتى يكمل تعليمه ، ويحصل على وظيفة.** ومن الغريب جدا أن الأسرة اليوم توفر لأبنائها كل سبل الرفاهية ، فتجد الابن يحمل أحدث جوال ، ويرتدى أغلى الثياب ، ويركب أفخم السيارات ، ويأكل أفضل الطعام ، ويتعلم في أحسن المدارس ، **وكل طلباته تجاب على الفور باستثناء شيء واحد هو الزواج.** ما هذه

السخافة؟ إن **بعض الشباب ينفق الواحد منهم على المطاعم والتدخين والمياه الغازية فقط ما يوازى نفقات أسرة كاملة.**

والابن لا يشعر بالخجل وهو يعتمد على أسرته فى كل احتياجاته ، والأسرة الثرية لا تخجل من إنفاقها على ابنها حتى التخرج من الجامعة ، بل بالعكس يتباهى الآباء بما ينفقونه على أولادهم ، ويتباهى الأبناء بثراء آبائهم ، فلماذا يشعر الجميع بالحساسية حين يتعلق الأمر بالزواج وحده؟ **لماذا نصر على ألا يتزوج الشاب إلا بعد أن تكون لديه وظيفة ، ويعتمد على نفسه؟ هل الزواج أقل أهمية من الجوال أو الملابس أو الرحلات السياحية؟** طبعا لا ، فكل هذه كماليات ، يمكن بسهولة الاستغناء عنها. **والغريب أن ترى الابن يطلب من أبيه الثري أن يشترى له أحدث جوال في السوق. لماذا؟ كي يشاهد عليه أفلاما إباحية ، ويتباهى به أمام البنات ، فبالله عليكم أيهما أحسن: أن نشبع غريزة الابن إشباعا كاملا بالزواج أم نقدم له مسكنات مؤقتة للغريزة بواسطة الهاتف المحمول؟**

3- يجب أن نسعى لتغيير العلاقة الزمنية بين التعليم والعمل ، **فبدلا من مبدأ (التعليم أولا ثم العمل ثانيا) يجب أن يسود مبدأ (التعليم والعمل في نفس الوقت).** لماذا يجب أن يبقى الشاب بلا وظيفة انتظارا لأن يكمل تعليمه؟ **لماذا لا نطيل أمد التعليم ، فنسمح للطالب بأن يُحصل نفس الكم من العلوم على فترة أطول ، بحيث يتخرج من الجامعة عند سن ثلاثين أو خمسة وثلاثين عاما ، وذلك كي يتمكن من العمل بجوار التعليم ، فيستطيع الزواج مبكرا؟**

ما فائدة تحصيل الطلبة للعلوم في سنوات قصيرة ، ثم يتخرجون من الجامعة لينسوا كل ما تعلموه بعد شهور قليلة؟ **لا فائدة من سرعة التعلم ، بل ربما أدى التعلم البطيء إلى استيعاب الطالب للمواد الدراسية بدرجة أفضل** ، ورسوخ العلوم في الأذهان لسنوات أطول.

ومع ذلك يجب تشجيع التعلم السريع فقط بالنسبة للطلبة النابغين الذين يفترض أن يكونوا علماء المستقبل الذين يقودون مسيرة النهضة. ومثل هؤلاء الطلبة العباقرة يجب أن تقدم الدولة لهم إغراءات مالية كبيرة كي يتفرغوا للتعليم ، ويتقدموا فيه بسرعة لا تقل عن نظرائهم في الدول الأجنبية دون أن يعوقهم طلب الرزق. وبهذه الطريقة سيتمكن هؤلاء النابغون من الزواج المبكر

مثل بقية الطلاب. ولا شك أن تشجيع هؤلاء النابغين أولى من تشجيع الفنانين ولاعبي الكرة والمثقفين الشيوعيين.

إن كثيرا من الوظائف – إن لم يكن أكثرها– لا يحتاج للتعليم الجامعي. كل أصحاب الحرف كالنجار ، والسباك ، والحداد ، والميكانيكي ، والكهربائي لا يحتاجون لشهادات جامعية. وبالمثل القائمون بالأعمال اليديوية في الحقول والمصانع ، والبائعون فى المحال التجارية ، وعمال النظافة لا يحتاجون لشهادة. وأغلب الأعمال المكتبية لا تحتاج لأكثر من القراءة والكتابة ومباديء التعامل مع عدد قليل من برامج الحاسوب (الكمبيوتر) كموظفي الاستقبال في الفنادق والمستشفيات والشركات ، وموظفي خدمة العملاء ، والموظفين على شبابيك التذاكر ، والموظفين في شركات المياه والكهرباء والاتصالات ، والموظفين في شركات الدعاية والتسويق والعقارات. وكل هذه الوظائف يمكن أن يلتحق بها الطلبة قبل إتمام تعليمهم. **وإتمام التعليم الجامعي شرط للمهن المتخصصة فقط مثل الأطباء والمهندسين والمحاسبين والمدرسين والمديرين.**

يجب أن يتقبل أصحاب الشركات الخاصة وكذلك عامة الناس فكرة توظيف الطلبة دون الحصول على شهادة ، طالما أنهم يجيدون القراءة والكتابة والتعامل مع الحاسوب. ويجب أن تعمل الدولة على ضمان حصولهم على رواتب مناسبة. وطبعا سيؤدي عمل المراهقين إلى زيادة الطلب على الوظائف ، لكن هذا يسهل التعامل معه بتوفير مناخ يشجع على الاستثمار ، ويحارب الفساد. وما أسهل خلق وظائف جديدة إن خلصت نوايا أصحاب القرار.

نحن في حاجة لثورة تحرر المراهقين من قيود التعليم ، وتسمح لهم بالعمل والتعلم جنبا إلى جنب ، كي يتمكنوا من الزواج مبكرا. وفي نفس الوقت نقدم راتبا شهريا للنابهين حتى يتفرغوا للتعليم ، فتصبح بلاد المسلمين في مصاف الدول المتقدمة. **لماذا يجب علينا أن نقبل منظومة المجتمع الغربي الذي ارتضي بأن يتأخر العمل إلى ما بعد إتمام التعليم كاملا؟** إن لدينا بديلا يرضي ربنا ، وفي نفس الوقت لا يحرم شعوبنا من التقدم العلمي.

4- **من الممكن للدولة أن تشجع المشروعات الإنتاجية الصغيرة التي يمكن أن يعمل بها الشباب في العطلة الصيفية وفى أوقات فراغهم في أيام الدراسة ، فيجنون منها أموالا تساعدهم**

على الزواج. ومثل هذه المشاريع كثيرة ، وبعضها يمكن أن يكون داخل البيوت ، والأفكار المبتكرة لا تنتهي. كل المطلوب أن تخلص الدولة النية ، وتتبنى الحلول الذكية.

5- يجب تطوير التعليم الفني بهدف تخريج عمال مهرة ، يستفيد منهم سوق العمل ، بدلا من تكالب الجميع على التعليم الجامعي لمجرد حمل لقب "خريج جامعة" ، وحين تأتي إلى الواقع تجد خريج الجامعة لم يكتسب خبرة أكاديمية ، ولم يحصل علما ، يساعده في العثور على وظيفة. **وإن شجعنا التعليم الفني ، وطورناه كما ينبغي ، فسيتمكن كثير من الشباب من الحصول على وظائف في سن أصغر ، وسيصبحون قادرين على الزواج مبكرا.**

6- لو صدقت النيات لحاربت الحكومات الفساد ، واتخذت الإجراءات الكفيلة بدفع عجلة الاقتصاد. وهذه الإجراءات معروفة جيدا ، لكن بعض الحكام يفهمون اللعبة جيدا ، ويدركون أن بقاءهم في السلطة مرهون برضا النظام العالمي عنهم. والنظام العالمي لن يرضى عنهم إن شعر أنهم مخلصون ، ويسعون لتحقيق نهضة بلادهم. فلو كان حكام المسلمين يحبون بلادهم لتقدم الاقتصاد ، ولأمكن للآباء أن يزوجوا أولادهم في سن صغير. وسيكون من السهل **على الحكومات أن تقدم مساعدات مالية أو قروض بلا فوائد للشباب الصغير ، تعينهم على الزواج أسوة بالدول الأوربية التي تقدم إعانات بطالة أو مكافآت لتحفيز النساء على الإنجاب.**

7- إن لم نستطع أن نزوج أولادنا الذكور في سن الرابعة عشر كما كان يحدث في الماضي، فلنزوجهم مبكرا بقدر الإمكان. **وأي تبكير للزواج ، ولو بعام واحد أفضل.** الزواج في الثانية والعشرين أفضل من الزواج في الخامسة والعشرين. والزواج في العشرين أفضل من الزواج في الثانية والعشرين.

8- قد يقال أن الابن إن تزوج مبكرا فسيكون مستهترا ، ولا يقدر قيمة الزواج ، ويمكن بسهولة أن يطلق زوجته لأنه لم يتعب في تكاليف الزواج. ونحن نقول: **إن الأبناء اليوم لا يقدرون قيمة الجوال والملابس والسيارة وغيرها من سبل الرفاهية التي يوفرها لهم آباؤهم ، ولا يبدون حرصا على المحافظة عليها ، وأسهل شيء عندهم أن يتلفوا ويرموا كل قديم رغبة في شراء الجديد ، فهل دفع هذا الآباء الأغنياء يوما إلى حرمان أبنائهم من مظاهر الترف؟**

إننا لا ننكر أن الشاب الأصغر سنا يكون أكثر استهتارا ، **لكن لو أوصل الأهل رسالة صارمة إلى ابنهم الصغير مفادها أنهم لن يزوجوه مرة أخرى إن أخفق في زواجه ، فسيكون حريصا على أن يحافظ على زوجته.** وبالعكس إن تزوج شاب في سن الثلاثين ، وهو واثق من أن أهله لن يتركوه مهما كانت الظروف ، فسيظهر استهتارا كبيرا ، ويمكن بسهولة أن يهدم بيته لأنه يعلم أن أهله سيزوجونه مرة ثانية وثالثة وعاشرة. ثم ألا تعلمون أن الذكور في الماضي كانوا يتزوجون في سن صغير ، ومع ذلك كان الطلاق نادر الحدوث؟

كما أن **زواج الابن في سن صغير، واعتماده على مال أسرته سيجعله واقعا تحت ضغط أبويه، اللذين يمكن أن يكبحا جماحه ، ويمنعاه من تطليق زوجته لأسباب تافهة.** إن حكمة الكبار ستوقف جموح المراهقة.

ثم تعالوا بنا نتساءل: **أليس تأخير الزواج هو الذي ألقى بالشباب في دوامة الإنترنت وما به من أفلام إباحية ، فلما تزوج هؤلاء الشباب وجدوا واقعا يختلف كثيرا عما كانوا يشاهدونه ،** فتملكهم السخط لأن زوجاتهم العفيفات لا يقدمن لهم من فنون الإغراء ما يجدونه لدى عاهرات الإنترنت ، فأصبح الزواج لا يصمد لأكثر من أيام ، وارتفعت نسبة الطلاق بشكل خرافي؟

9- **من الوقاحة الكلام عن محاربة عمل الأطفال. بالله عليكم ماذا يفعل طالب عمره 12 سنة ، لم يفلح في التعليم بسبب انخفاض ذكائه ، فترك المدرسة؟ من الطبيعي أن يعمل بورشة أو بأي مهنة يدوية. فإن منعته الدولة من العمل ، فماذا يفعل؟ طبعا سينحرف ، ويتجه للإنترنت والمخدرات والنساء.** ثم إن التعب من العمل يعتمد على اللياقة البدنية ، وهذه تكتسب بالعمل، فالمراهق الذي يعمل كل يوم سيجد بعد شهر واحد أن شعوره بالتعب قد خف. وإن أردتم دليلا فانظروا إلى الناشيء الصغير فى فريق كرة قدم ، تجدوه يتحمل تدريبا يوميا شاقا ، فيصبح بعد فترة أقوى جسدا من بعض الكبار.

10- هب أن الدولة لم تنصت إلينا ، ولم تشجع عمل المراهقين ، فهنا يجب على كل أسرة ثرية أن تزوج ابنها ، وتنفق عليه حتى يحصل على وظيفة. **وسيكون من الواجب على أسرة الفتاة أن تتحلى بالجرأة ، وتقبل بزواج ابنتها من شاب صغير ، ليس له عمل بعد.** أعرف أن هذا قرار صعب ، وتغيير طريقة تفكير المجتمع أمر غير هين ، لكن **يمكن للأسرة أن تتغاضى**

عن هذا العيب إن كان للشاب مزايا أخرى مثل حسن الخلق ، والتدين ، والتفوق الدراسي ، وتمتع أسرته بالثراء والسمعة الطيبة. و"الزمن" هو كلمة السر. ومن الممكن تغيير تفكير المجتمع بالتدريج. وشيئا فشيئا سيتقبل الناس زواج الذكور في سن صغير. وما يخجلون منه اليوم سيصبح شيئا مألوفا في المستقبل إن تكرر حدوثه أمامهم ، طالما أنه لا يصطدم بالدين والخلق القويم.

كانت هذه بعض الاقتراحات ، ولا شك أن هناك الكثير غيرها ، وكل المطلوب توافر الرغبة الصادقة لدى المجتمع ولدى صناع القرار.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الباب الثالث: السيدة عائشة كنموذج للزواج المبكر

لماذا يزيفون عمر السيدة عائشة

الصخرة الكبرى التي يصطدم بها كل من ينادى بمنع الزواج المبكر هي زواج الرسول عليه الصلاة والسلام من السيدة عائشة في سن صغير ، فمن المعروف أنه تزوجها في سن ست سنوات ، ثم دخل بها في سن تسع سنوات. يا لها من مشكلة! كيف يستقبحون شيئا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ كان الحل هو أن يشككوا في صحة الرواية ، ويتحايلوا بشتى السبل كي يتثبتوا أن الزواج تم في سن أكبر. وسنقوم الآن بتفنيد هذه الدعاوى التى راجت ، وخدعت حتى بعض المخلصين.

الدليل من القرآن

لا أدرى لمَ هذا الجدل حول العمر الذي تزوجت فيه السيدة عائشة؟ إن هذا ليس الدليل الوحيد الذى نستند إليه ، فالله تعالى يقول في سورة الطلاق: {وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ} [الطلاق: 4]. إن الآية تخبرنا أن عدة المرأة التي طلقت ولم تحض تبلغ ثلاثة أشهر، وهذا يعنى أن من الجائز شرعا زواج الفتاة الصغيرة قبل أن تصل إلى سن الحيض ، فالبلوغ عند المرأة لا يبدأ بنزول دم الحيض وإنما بظهور السمات الأنثوية الثانوية مثل كبر حجم الثديين ، وظهور الشعر تحت الإبط وفى العانة ، وغيرها. ويصاحب ذلك زيادة طول الجسم بشكل سريع. وفى النهاية يحدث الحيض أو الدورة الشهرية.

وقد يعترض البعض على كلامنا على أساس أن الآية قالت: (واللائي لم يحضن)، وليس: (واللائي لمَّا يحضن)، وكلمة (لمَّا) تختلف عن (لم). قَالَ الْمُبَرِّدُ: «إِذَا قَالَ الْقَائِلُ: (لَمْ يَأْتِنِي زَيْدٌ)، فَهُوَ نَفْيٌ لِقَوْلِكَ أَتَاكَ زَيْدٌ وَإِذَا قَالَ: (لَمَّا يَأْتِنِي) فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِنِي بَعْدُ وَأَنَا أَتَوَقَّعُهُ»[116]. وطبقا لهذا الاعتراض سيكون غياب كلمة (لمَّا) من الآية دليل على أن المقصود هنا ليس الفتيات الصغيرات اللائي تزوجن قبل بلوغ السن التي ينزل فيها دم الحيض.

116) **"تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير"** (6/ 378). تأليف فخر الدين الرازي. دار إحياء التراث العربى- بيروت- الطبعة الثالثة- 1420 هجرية.

ونحن نرفض هذا الاعتراض ، ونرى أن **الله تعالى تجنب كلمة (لمَّا) لأنها أقل دقة وبلاغة ، وذلك لأن هناك فئة من النساء تبقى مدى الحياة بدون حيض ، مثل أولئك المصابات بمتلازمة** "تيرنر" **حيث يكون المبيض لديهن ضامر ومتليف. وبالتالي كلمة (لمَّا) لا يجوز استخدامها معهن.** ولا أحد من الناس الذين تخاطبهم الآية يعرف هل سيحدث الحيض للمرأة في المستقبل أم ستظل بلا حيض مدى الحياة. إن نفس الحكم الشرعي (تقدير العدة بثلاثة أشهر) ينطبق على ذلك النوع من النساء اللائي سيحدث لهن الحيض في المستقبل، والنوع الآخر اللائي سيبقين بلا حيض مدى الحياة ، ولهذا فضل القرآن كلمة (لم) التى تشير إلى الماضي ، وتشمل بالتالي كلا النوعين. **ولو قال القرآن (واللائي لمَّا يحضن) لخرج من هذا الحكم النساء اللائي يعانين من أمراض تجعلهن بلا حيض مدى الحياة. إن كلمة (لم) أكثر شمولا من كلمة (لمَّا)، وبالتالي أدق، وأكثر بلاغة.**

والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الدليل من السنة

هناك عدد من الروايات الصحيحة التى تخبرنا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم دخل بالسيدة عائشة وهى فى التاسعة من العمر. وإليكم أهم هذه الروايات:

1- عَنْ هِشَامٍ بن عروة، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ: «**أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، وَأُدْخِلَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ، وَمَكَثَتْ عِنْدَهُ تِسْعًا**» متفق عليه ، واللفظ للبخاري[117].

2- روى البخاري عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «**تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى المَدِينَةِ بِثَلاَثِ سِنِينَ، فَلَبِثَ سَنَتَيْنِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، وَنَكَحَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ بَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ**».

وكلمة (نكح) تعني: تزوجها دون أن يدخل بها. وقوله: (بنى بها) يعنى: دخل بها وجامعها.

3- عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ: «**تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي، فَوَفَى جُمَيْمَةً فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ، وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ، وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا، لاَ أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهِجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي البَيْتِ، فَقُلْنَ عَلَى الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضُحًى، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ**» متفق عليه ، واللفظ للبخاري[118].

(فوعكت): أصابتني الحمى. **(فَتَمَزَّقَ شَعْرِي)**: بِالزَّايِ أَيْ تَقَطَّعَ. **(فَوَفَى)**: أَيْ كَثُرَ وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ تَقْدِيرُهُ: "ثُمَّ انتهى المرض فَتَرَبَّى شَعْرِي فَكَثُرَ". **(جُمَيْمَةٌ)**: مُصَغَّرُ الْجُمَّةِ بِالضَّمِّ وَهِيَ مُجْتَمَعُ شَعْرِ النَّاصِيَةِ وَيُقَالُ لِلشَّعْرِ إِذَا سَقَطَ عَنِ

---

117) في صحيح مسلم عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ»

118) في صحيح مسلم: عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسِتِّ سِنِينَ، وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ»، قَالَتْ: " فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَوُعِكْتُ شَهْرًا، فَوَفَى شَعْرِي جُمَيْمَةً، فَأَتَتْنِي أُمُّ رُومَانَ، وَأَنَا عَلَى أُرْجُوحَةٍ، وَمَعِي صَوَاحِبِي، فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا، وَمَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي، فَأَوْقَفَتْنِي عَلَى الْبَابِ، فَقُلْتُ: هَهْ هَهْ، حَتَّى ذَهَبَ نَفَسِي، فَأَدْخَلَتْنِي بَيْتًا، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ، فَغَسَلْنَ رَأْسِي وَأَصْلَحْنَنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضُحًى، فَأَسْلَمْنَنِي إِلَيْهِ "

الْمَنْكِبَيْنِ جُمَّةٌ. **(أَنْهَجُ)**: أَتَنَفَّسُ تَنَفُّسًا عَالِيًا. **(عَلَى خَيْرِ طَائِرٍ)**: عَلَى خَيْرِ حَظٍّ وَنَصِيبٍ. **(فَلَمْ يَرُعْنِي)**: لَمْ يُفْزِعْنِي شَيْءٌ إِلَّا دُخُولُهُ عَلَيَّ ، وهي تقصد أنها فوجئت بدخول الرسول عليه الصلاة والسلام ، فشعرت بخجل شديد.[119]

4- فى إحدى الروايات أن الرسول عليه الصلاة والسلام تزوج السيدة عائشة ، وهي في سن سبع سنوات: روى حمادُ بنُ زيد عن هشام بنِ عروة ، عن أبيه ، عن عائشة: **تزوَّجَنِي رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وسلم وأنا بنت سبعٍ -قال سليمان: أو ست-، ودخل بي وأنا بنتُ تِسعٍ.**[120]

5- روى هِشَامٌ بن عروة ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ما يفيد أنها كانت فتاة صغيرة تلعب وتلهو حين تزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام: **كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي** ، «**فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي**» متفق عليه ، واللفظ للبخاري.

(يتقمعن منه): يدخلن البيت ويستترن منه ثم يذهبن. **(فيسربهن إليَّ)**: يرسلهن واحدة بعد الأخرى.

ولا شك أن لعب السيدة عائشة مع صاحباتها بهذا الشكل يدل على أنها كانت صغيرة السن ، وهذا يتفق مع الروايات التى تقول أن عمرها يومئذ كان تسع سنوات.

6- **من الأدلة غير المباشرة التى تثبت أن السيدة عائشة كانت صغيرة السن وقت زواج الرسول عليه السلام بها ما ورد فى سياق حادثة الإفك** ، فقد سأل الرسول عليه الصلاة والسلام جارية تسمى بريرة عن أحوال عائشة وتصرفاتها الخفية التى ربما تغيب عنه ، فلم تعب عليها بريرة شيئا إلا أنها كانت تهمل العجين بسبب صغر سنها ، فتأتى الحيوانات المنزلية لتأكله. وطبعا ليس هذا دليلا على الانحلال أو الميل للرجال ، ولكنها قلة خبرة أو إهمال خفيف ، يكثر

---

[119]) انظر: **"فتح الباري شرح صحيح البخاري"** لابن حجر (7/ 224)

120) قال محققا كتاب **"سنن أبى داود"**: إسناده صحيح. أبو كامل: هو فضيل بن حسين الجحدري. وأخرجه تاماً ومطولاً البخاري (3894) و (3896) و (5133) و (5134) و (5158)، ومسلم (1422)، وابن ماجه (1876)، والنسائى في "الكبرى" (5346) و (5347) و (5543) و (5544) من طرق عن هشام بن عروة، به. وفيه أنه تزوجها وهي بنت ست سنين، وفي رواية النسائي في "الكبرى" (5347) أنه تزوجها وهي بنت سبع سنين، وفي رواية النسائي أيضاً (5544) على الشك كرواية المصنف. وأخرجه مسلم (1422)، والنسائى في "الكبرى" (5544) من طريق الزهري، عن عروة بن الزبير، به. وفي رواية مسلم أنه تزوجها وهي بنت سبع سنين، أما النسائي على الشك كرواية المصنف. وأخرجه مسلم (1422)، والنسائي في "الكبرى" (5348) من طريق الأسود بن بزيد، والنسائى في "الكبرى" (5345) من طريق ابن أبي مليكة، و (5349) من طريق أبي عبيدة، ثلاثتهم عن عائشة، به. وفي رواية مسلم والنسائى (5345) أنه تزوجها وهي بنت ست سنين، ورواية النسائى (5348) و (5349) أنه تزوجها وهي بنت تسع سنين. وهو في "مسند أحمد" (24152) و (24867) و (26397)، و "صحيح ابن حبان" (7097).
انظر: **"سنن أبي داود"** (3/ 458). تأليف أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني. تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي. دار الرسالة العالمية. الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م

شيوعهما بين البنات: تقول بريرة: (إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ، فَتَأْكُلُهُ). متفق عليه.

(إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا): ما رأيت عليها. **(أغمصه)** أعيبه. **(تنام عن عجين أهلها):** تغفل عنه. **(الداجن):** هِيَ الحيوانات الأليفة التي تربى في البيت خاصة الشاة. والجمع "دَواجن"[121].

7- **روت السيدة عائشة أيضا فى سياق حادثة الإفك ما يدل على صغر سنها وقت الزواج ، فقد كانت بسبب صغر سنها خفيفة الوزن، فلما حمل الناس الهودج لم يندهشوا من خفته ، وحسبوها موجودة بداخله ، فمضوا ، وتركوها.** تقول السيدة عائشة: « فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، **فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ...** »

ومن المعروف أن حادثة الإفك كانت فى العام الخامس من الهجرة[122]. ولو صح ما يقوله البعض من أن السيدة عائشة تزوجت فى سن 18 عاما لكان عمرها وقت حادثة الإفك 22 أو 23 عاما، ولا يمكن أن توصف امرأة ناضجة كهذه مرتين بحداثة السن ، أو أنها تنام وتغفل عن عجين أهلها.

8- ذكرت السيدة عاشة أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يحرص على أن يتركها تلهو – لصغر سنها– بمشاهدة الحبشة ، وهم قوم من السودان يلعبون بالحراب:

عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «**كَانَ الحَبَشُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ، فَسَتَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَنْظُرُ، فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ حَتَّى كُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ**»، **فَاقْدُرُوا قَدْرَ**

121) **فتح الباري لابن حجر** (8/ 470)

122) فِي وَقت غزوة بني المصطلق (المريسيع) -التي شهدت حادثة الإفك - خلاف ذكره الزرقاني وعقب عَلَيْهِ بِمَا يأتى: «وَقَالَ الْحَاكِم فِي الإكليل: قَول عُرْوَة وَغَيره إِنَّهَا كَانَت سنة خمس أشبه من قَول ابْن إِسْحَاق، قلت: وَيُؤَيِّدهُ مَا ثَبت فِي حَدِيث الْإِفْك أَن سعد بن معَاذ تنَازع هُوَ وَسعد بن عبَادَة فِي أَصْحَاب الْإِفْك، فَلَو كَانَت الْمُريْسِيع فِي شعْبَان سنة سِتّ مَعَ كَون الْإِفْك مِنْهَا، لَكَانَ مَا وَقع فِي الصَّحِيح من ذكر سعد بن معَاذ غَلطا، لِأَنَّهُ مَاتَ أَيَّام قُرَيْظَة، وَكَانَت فِي سنة خمس على الصَّحِيح، وَإِن كَانَت كَمَا قيل سنة أَربع، فَهُوَ أَشد غَلطا، فَظهر أَن الْمُريْسِيع كَانَت فِي سنة خمس فِي شعْبَان قبل الخَنْدَق، لِأَنَّهَا كَانَت فِي شَوَّال سنة خمس أَيْضا، فَيكون سعد بن معَاذ مَوْجُودا فِي الْمُريْسِيع وَرمى بهَا بعد ذَلِك بِسَهْم فِي الخَنْدَق، وَمَات من جراحته فِي قُرَيْظَة [نقلا عن تعليق المحققين على كتاب "**السيرة النبوية لابن هشام** " (2/ 289).

الجَارِيَةِ الحَدِيثَةِ السِّنِّ، تَسْمَعُ اللَّهْوَ. رواه البخاري. وهنا أيضا تعتبر السيدة عائشة نفسها جارية حديثة السن.

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: «**وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ عَلَى بَابِ حُجْرَتِي، وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ، فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى لَعِبِهِمْ، ثُمَّ يَقُومُ مِنْ أَجْلِي، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفُ، فَاقْدِرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ، حَرِيصَةً عَلَى اللهْوِ**» رواه مسلم

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي وَالحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ فِي المَسْجِدِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ**» رواه البخاري.

وعَنْ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «**جَاءَ حَبَشٌ يَزْفِنُونَ فِي يَوْمِ عِيدٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَضَعْتُ رَأْسِي عَلَى مَنْكِبِهِ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ، حَتَّى كُنْتُ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ**». رواه مسلم.

وهكذا ترى أن الروايات التى تفيد صغر سن السيدة عائشة كثيرة. **وهذه الروايات أخرجها البخاري ومسلم ، وهذا يجعلها في غاية القوة.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الطعن في هشام بن عروة

وجد بعض الصعاليك أن الأسانيد فى الأحاديث السابقة تتضمن "هشام بن عروة"، فقاموا بالطعن فيه كي ينكروا صحة النصوص التي تفيد زواج السيدة عائشة في سن صغير. وقد قام طعنهم على أساس اتهام قديم لهشام بن عروة بالتدليس في أحاديثه التي رواها لأهل العراق. وهم يقصدون أن هشام بن عروة كان في بعض الأحيان يقول الحديث للناس ، وكأنه قد سمعه مباشرة من أبيه (عروة بن الزبير بن العوام) مع أن هشام في الحقيقة سمعه من بعض العلماء الآخرين ، الذين سمعوه بدورهم عن أبيه. وهؤلاء الوسطاء الذين نقلوا لهشام الأحاديث عن أبيه مجهولون لنا ، ولذا فربما كانوا أهل ثقة ، وربما كانوا كذابين[123].

وهذه التهمة الأخيرة إن صدقت على بعض الأحاديث ، **فمن المستحيل أن تصح في حالة رواية هشام بن عروة عن سن السيدة عائشة ، وذلك لسبب بسيط جدا هو أن السيدة عائشة من أسرة هشام بن عروة** ، فجدة هشام هي السيدة أسماء بنت أبى بكر الصديق، وأسماء أخت السيدة عائشة، أي أن عائشة خالة أبي هشام بن عروة. ولا شك أن هشام بن عروة إن وصلت إليه معلومة عن سن السيدة عائشة فستصله من أبيه مباشرة. **ومن المضحك أن يكون هشام قد سمعها من عالم آخر غريب عن الأسرة ، ثم نسبها لأبيه ، فالطبيعي أن يحكى كل أب لأبنائه عن الأمور الشخصية التي تتعلق بعائلتهم** كالولادة والزواج والطلاق وغيرها. إن هشام بن عروة لو ادعى في بعض الأحيان أنه سمع أحاديث من أبيه بينما هو في الحقيقة سمعها من علماء آخرين سمعوها عن أبيه ، **فعند سن السيدة عائشة بالذات يتحتم علينا أن نصدق أن هشام بن عروة سمع الخبر من أبيه مباشرة لأن كل أب يفعل نفس الشىء مع أبنائه حين يحدثهم بحنين عن آبائهم وأجدادهم. ولا يمكن لأحد من خارج العائلة أن يخبر هشام بن عروة بأعمار أقاربه ، فأهل مكة أدرى بشعابها كما يقال.**

123) قَال عَبْد الرَّحْمَنِ بْن يُوسُف بن خراش: كان هشام صدوقا تدخل أخباره فِي الصحيح. بلغني أن مالكا نقم عليه حديثه لأهل العراق، قدم الكوفة ثلاث مرات، قدمة كان يقول: حَدَّثني أبي، قال سمعت عائشة، وقدم الثانية فكان يقول: أَخْبَرَنِي أبي عَنْ عائشة، وقدم الثالثة فكان يقول: أبي عَنْ عائشة. نقلا عن **"تهذيب الكمال في أسماء الرجال"** (30/ 239) ـ تأليف: يوسف بن عبد الرحمن الْمِزّيّ. تحقيق: د. بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة – بيروت. الطبعة الأولى، 1400 - 1980

وهذه الملاحظة تنهى تماما أي تشكيك في رواية هشام بن عروة عن سن السيدة عائشة وقت زواجها.

أظن أن هذه اللغط يجب أن ينتهى فورا، لكننا سنواصل، ونقول: **بشكل عام أي مبتدىء في علم الحديث يعرف قدر هشام بن عروة**، فمقامه رفيع ، ولا ينكره إلا جاهل بأقدار الرجال. وهشام بن عروة هو –لمن لا يعرف– من التابعين الذين **روى لهم البخاري ومسلم، وهذا يعنى أنه كان محل ثقة الشيخين صاحبي أهم كتب الحديث.**

ورأى عامة أهل الحديث أن هشام بن عروة كان من كبار الأئمة الثقات، وما يؤخذ عليه ليس أمرا خطيرا ، فمثلا يحيى بن مَعِين **(**وهو من هو**)** يرى أن **هشام بن عروة في نظره في نفس مرتبة الزهري** ، فقد سئل ابن معين: "هشام بن عروة أحب إليك عَن أبيه أو الزُّهْرِيّ؟ فَقَالَ: كلاهما، ولم يفضل". وَقَال محمد بن سعد والعجلي عن هشام بن عروة: "**كان ثقة**". وزاد ابن سعد: "**ثبتا ، كثير الحديث ، حجة**". وَقَال أَبُو حاتم: "**ثقة ، إمام فِي الحديث**". وَقَال يعقوب بن شَيْبَة عن هشام بن عروة: "**ثبت ، ثقة، لم ينكر عليه شيء إلا** بعدما صار إِلَى العراق فإنه انبسط فِي الرواية عَن أبيه، فأنكر ذلك عليه أهل بلده، والذي يرى أن هشاما يسهل لأهل العراق أنه كان لا يحدث عَن أبيه إلا بما سمعه منه، فكان تسهله أنه أرسل عَن أبيه مما كان يسمعه من غير أبيه عَن أبيه"[124].

وقد دافع الذهبي عن هشام بن عروة دفاعا مجيدا، فقال:

"هشام بن عروة، **أحد الاعلام. حجة إمام،** لكن في الكبر تناقص حفظه، **ولم يختلط أبدا،** ولا عبرة بما قاله أبو الحسن بن القطان من أنه وسهيل بن أبي صالح اختلطا، وتغيرا. نعم الرجل تغير قليلا ولم يبق حفظه كهو في حال الشبيبة، فنسى بعض محفوظه أو وهم، **فكان ماذا! أهو معصوم من النسيان!** ولما قدم العراق في آخر عمره حدث بجملة كثيرة من العلم، في غضون ذلك يسير **أحاديث لم يجودها، ومثل هذا يقع لمالك ولشعبة ولوكيع ولكبار الثقات، فدع عنك الخبط، وذر خلط الأئمة الأثبات بالضعفاء والمخلطين، فهشام**

124) **"تهذيب الكمال في أسماء الرجال"** للمزي (30/ 237)

شيخ الإسلام، ولكن أحسن الله عزاءنا فيك يا بن القطان، وكذا قول عبد الرحمن بن خراش: كان مالك لا يرضاه، نقم عليه حديثه لأهل العراق[125].

وسنفترض جدلا أن هشام بن عروة كان كذابا ومزورا، فهل يكون هذا حكما بالموت على أحاديث زواج الرسول بالسيدة عائشة؟ الإجابة المؤكدة هي لا. والسبب هو أن هناك روايات أخرى صحيحة لا يوجد في سندها هشام بن عروة، ومن قبيل ذلك ما يلي:

1- روى **مسلم عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ،** «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سَبْعِ سِنِينَ، وَزُفَّتْ إِلَيْهِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ، وَلُعَبُهَا مَعَهَا، وَمَاتَ عَنْهَا وَهِيَ بِنْتُ ثَمَانَ عَشْرَةَ».

2- روى مسلم أيضا **عَنِ الْأَسْوَدِ ، عَنْ عَائِشَةَ،** قَالَتْ: «تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ بِنْتُ سِتٍّ، وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ، وَمَاتَ عَنْهَا وَهِيَ بِنْتُ ثَمَانَ عَشْرَةَ».

3- وروى الطبراني في المعجم الكبير: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَضْرَمِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلِ بْنِ عَسْكَرٍ، ثنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، **عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ،** قَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا ابْنَةُ سَبْعٍ، وَزُفِفْتُ إِلَيْهِ وَأَنَا بِنْتُ تِسْعٍ، وَمَاتَ وَأَنَا بِنْتُ ثَمَانِ عَشْرَةَ» وهذه رواية صحيحة[126].

4- وروى النسائي في السنن الكبرى: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُمَارَةُ بْنُ غَزِيَّةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، **عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ،** قَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ» وهذه رواية صحيحة. [127]

5- وروى الطبراني في المعجم الكبير: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَضْرَمِيُّ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ الْحَنَّاطُ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ، ثنا سُفْيَانُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، **عَنِ الْقَاسِمِ**

---

125) **"ميزان الاعتدال في نقد الرجال"** (4/ 301). تأليف شمس الدين الذهبي. تحقيق: علي محمد البجاوي. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، 1382 هـ - 1963 م

126) عبد الرزاق ومعمر والزهري وعروة كلهم من الأعلام المشاهير، وهم من رجال البخارى ومسلم. و" محمد بن سهل بن عسكر التميمى" وثقه النسائي وأحمد بن عدي، وروى له مسلم. انظر: **"تهذيب الكمال في أسماء الرجال"** (25/ 327). و"مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الحَضْرَمِيُّ" وثقه الدارقطني كما قال الذهبي في **"سير أعلام النبلاء"** (14/ 41). تحقيق محمد أيمن الشبراوي. دار الحديث- القاهرة. 1427هـ-2006م

127) حديث صحيح. كل من "أبى سلمة بن عبد الرحمن" و"محمد بن إبراهيم بن الحارث" و"يحيى بن أيوب الغافقي" من رجال البخاري ومسلم. و"عمارة بن غزية" من رجال مسلم. أما عم "أحمد بن سعد بن الحكم بن أبي مريم"، فهو "سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم"، وهو أيضا من رجال البخاري ومسلم. وبالنسبة ل" أحمد بن سعد بن الحكم بن أبي مريم "، فقد قال النسائي: "لا بأس به". وقال أبو عمر الكندي في "كتاب الموالي" كان من أهل العلم والرحلة والتصنيف. وروى عنه بقي بن مخلد وكان لا يحدث إلا عن ثقة". انظر: **"تهذيب التهذيب"** (1/ 30). تأليف ابن حجر العسقلاني. الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند. الطبعة الطبعة الأولى، 1326هـ

بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ» وهذه رواية صحيحة [128،129].

6- وروى النسائي فى السنن الكبرى: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن راهويه قال أنا يحيى بن آدم قال ثنا أبو بكر وهو بن عياش **عن الأجلح عن بن أبي مليكة عن عائشة:** "أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت ست سنين ودخل بها وهي بنت تسع سنين". ورجاله رجال البخاري ومسلم إلا الأجلح، فمختلف فيه[130].

7- **ورد فى سياق حادثة الإفك وصف السيدة عائشة مرتين بأنها "جارية حديثة السن". وهذه الرواية أخرجها كل من البخاري ومسلم ، وليس في سندها هشام بن عروة. فقد** رواها البخاري قائلا: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ النُّمَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا يُونُسُ، وَقَالَ: اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ المُسَيِّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا.

ورواها مسلم قائلا: حَدَّثَنَا حِبَّانُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ الْأَيْلِيُّ، ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ - قَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا، وقَالَ الْآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا - عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، - وَالسِّيَاقُ حَدِيثُ

---

128) هذا حديث صحيح: "مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَسَدِيّ" من رجال البخاري. و"سفيان" هو سفيان الثورى العالم المشهور. وكل من "سعد بن إبراهيم" و "القاسم بن محمد" من رجال البخاري ومسلم.

و"الحسن بن سهل الحنَّاط" – كما في كتاب " **نثل النبال بمعجم الرجال** (1/ 451) "- ترجمه ابن أبي حاتمٍ، وقال: "روى عنه أبو زُرْعة"، وهذا يدُلُّ على أنَّه متماسِك في الجُملَة لأنَّ أبا زُرعَة كان إذا وهَّن أمر راوٍ ضرب على حديثِه ولم يقرأه.

و"مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الحَضْرَمِيُّ" وثقه الدارقطني: قال الذهبي: [سُئِلَ عَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ فَقَالَ: ثِقَةٌ جَبَلٌ. قُلْتُ: صَنَّفَ (المُسْنَد) وَ (التَّارِيْخ) وَكَانَ مُتْقِناً. وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيْهِ مُحَمَّدُ بنُ عُثْمَانَ بنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَتكلَّمَ هُوَ فِي ابْنِ عُثْمَانَ، فَلاَ يُعْتَدُّ غَالباً بكَلاَمِ الأَقرَانِ، لاَ سيَّمَا إِذَا كَانَ بينهُمَا منَافسةٌ، فَقَدْ عَدَّدَ ابْنُ عُثْمَانَ لمُطَيَّن نَحْواً مِنْ ثَلاَثَةِ أَوْهَامٍ، فَكَانَ مَاذَا؟ وَمُطَيَّن أَوْثَقُ الرَّجُلَينِ، وَيَكْفِيهِ تَزْكِيَةُ مِثْلِ الدَّارَقُطْنِيِّ لَهُ]. انظر: **"سير أعلام النبلاء"** (14/ 41).

129) وفى رواية أخرى للطبراني في **"المعجم الكبير"**: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَضْرَمِيُّ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ الْحَنَّاطُ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ، ح وَحَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى السَّاجِيُّ، ثنا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، ثنا سُفْيَانُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: " تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ، وَبَنَى عَلَيَّ فِي شَوَّالٍ، فَأَيُّ نِسَائِكُمْ كَانَ أَحْظَى مِنِّي؟، وَكَانَتْ تَسْتَحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ نِسَاؤُهَا فِي شَوَّالٍ

130) قال ابن حجر في **"تهذيب التهذيب"** (1/ 189)**:** «الأجلح هو أجلح بن عبد الله بن حجية. قال القطان: "في نفسي منه شيء" وقال أيضا: "ما كان يفصل بين الحسين بن علي وعلي بن الحسين" يعني أنه ما كان بالحافظ. وقال أحمد أجلح ومجالد متقاربان في الحديث وقد روى الأجلح غير حديث منكر. وقال عبد الله ابن أحمد عن أبيه "ما أقرب الأجلح من فطر بن خليفة" وقال ابن معين: "صالح" وقال مرة: "ثقة" وقال مرة: "ليس به بأس" وقال العجلي: "كوفي ثقة" وقال أبو حاتم: "ليس بالقوي يكتب حديثه ولا يحتج به" وقال النسائي: "ضعيف ليس بذاك وكان له رأي سوء" وقال الجوزجاني: "مفتري" وقال ابن عدي: "له أحاديث صالحة ويروي عنه الكوفيون وغيرهم ولم أر له حديثا منكرا مجاوزا للحد لا إسنادا ولا متنا إلا أنه يعد في شيعة الكوفة وهو عندي مستقيم الحديث صدوق". وقال شريك عن الأجلح: "سمعنا أنه ما يسب أبا بكر وعمر أحد إلا مات قتلا أو فقيرا" وقال عمرو بن علي هو رجل من بجيلة "مستقيم الحديث صدوق". قلت: "ليس هو من بجيلة" وقال أبو داود: "ضعيف" وقال مرة: "زكريا أرفع منه بمائة درجة" وقال ابن سعد: "كان ضعيفا جدا" وقال العقيلي: "روى عن الشعبي أحاديث مضطربة لا يتابع عليها" وقال يعقوب بن سفيان: "ثقة حديثه لين" وقال ابن حبان: "كان لا يدري ما يقول جعل أبا سفيان أبا الزبير"»

مَعْمَرٍ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدٍ وَابْنِ رَافِعٍ – قَالَ يُونُسُ وَمَعْمَرٌ جَمِيعًا: عَنِ الزُّهْرِيِّ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ...

وبناء على ذلك فلتكن روايات هشام بن عروة ضعيفة كما يقولون ، فسيبقى الشيء المؤكد أن هناك روايات أخرى صحيحة، تقدم نفس المحتوى.

وتساءل أحدهم (وهو إسلام البحيري) في ثقة يحسد عليها عن سبب عدم ذكر سن السيدة عائشة في موطأ مالك: «النقطة الأهم أن الإمام مالك قال: إن حديث هشام بالعراق لا يقبل، فإذا طبقنا هذا على الحديث الذى أخرجه البخاري لوجدنا أنه محقق، فالحديث لم يروه راو واحد من المدينة بل كلهم عراقيون ما يقطع أن هشام بن عروة قد رواه بالعراق بعد أن ساء حفظه ولا يعقل أن يمكث هشام بالمدينة عمرا طويلا، ولا يذكر حديثا مثل هذا ولو مرة واحدة، لهذا فإننا لا نجد أي ذكر لعمر السيدة عائشة عند زواجها بالنبي في كتاب الموطأ للإمام مالك، وهو الذى رأى وسمع هشام بن عروة مباشرة بالمدينة»[131]

ونحن نلقم إسلام البحيري حجرا، فنقول له: ارجع إلى موطأ مالك الذي تستشهد به تجد أنه يتفق مع هشام بن عروة ، فيذكر أن السيدة عائشة تزوجت في سن ست سنوات ، ودخل بها الرسول في سن تسع سنوات. اقرأوا معي ما قاله الإمام مالك: (عائشة بنت أبي بكر الصديق: أم المؤمنين، تزوجها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة ، وهي بنت ست سنين، وبنى بها بالمدينة منصرفة من بدر في شوال سنة اثنين من الهجرة، وهي بنت تسع سنين)[132]

يا لها من فضيحة مدوية!

131) **زواج النبى من عائشة وهى بنت 9 سنين كذبة كبيرة فى كتب الحديث.** إسلام بحيرى. موقع جريدة اليوم السابع. 16 أكتوبر 2008. تم الدخول على الموقع يوم 8 أكتوبر 2021.

132) **الموطأ** (6/ 124). تأليف الإمام مالك بن أنس المدني. المحقق: محمد مصطفى الأعظمي. الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات. الطبعة الأولى، 1425 هـ – 2004 م

فضائح إسلام بحيري: عمر عائشة وأسماء

تفتق ذهن الشيطان عن حيل أكثر خبثا للتشكيك في سن السيدة عائشة. على سبيل المثال نشرت صحيفة اليوم السابع المصرية[133] مقالا لإسلام البحيري يكذب ما ورد في صحيح البخاري عن سن السيدة عائشة وقت زواجها. وسنرد على ما ورد في هذا المقال لأن أغلب القراء اليوم تنقصهم بشدة أبجديات فهم التراث الإسلامي، ويمكن أن ينخدعوا بسهولة بما ورد في هذا المقال وأمثاله ، مع أنه **يحتوى على فضائح علمية، يشيب لها الولدان**. وإليكم ملخص المقال الطويل في سطور:

ينكر إسلام البحيري ما روته كتب السنة– وعلى رأسها صحيح البخاري ومسلم– استنادا إلى كتب التاريخ الإسلامي التي تذكر عدة حقائق هي:

أولا: السيدة عائشة كانت أصغر من أختها أسماء بنت أبى بكر بعشر سنوات (وهذه أهم نقطة)
ثانيا: أسماء بنت أبى بكر ولدت قبل الهجرة ب 27 عاما.
ثالثا: أسماء بنت أبى بكر ماتت عن عمر 100 عام.
رابعا: أسماء بنت أبى بكر ماتت عام 73 من الهجرة.
خامسا: الرسول عليه الصلاة والسلام دخل بالسيدة عائشة في نهاية العام الأول من الهجرة[134].

وبناء على هذه الحقائق يقول إسلام البحيري أن عمر أسماء بنت أبى بكر وقت الهجرة كان 27 عاما، وعمرها بعد عام من الهجرة (أي وقت دخول الرسول بعائشة) كان 28 عاما. وبما أن عائشة كانت أصغر من أسماء بعشر سنوات ، فهذا يعنى أن السيدة عائشة كان عمرها وقت دخول الرسول بها هو 18 عاما.

هذه خلاصة أهم حجة فى المقال الطويل الذي كتبه إسلام البحيري.

وإسلام البحيري يكذب البخاري ومسلم من خلال كتب التاريخ التي يعددها بالاسم: "الكامل في التاريخ"، "البداية والنهاية"، "تاريخ الطبري"، "وفيات الأعيان"، "تاريخ دمشق"، "تاريخ بغداد"، "سير

---

133) **زواج النبى من عائشة وهى بنت 9 سنين كذبة كبيرة فى كتب الحديث.** إسلام بحيرى. جريدة اليوم السابع. 16 أكتوبر 2008. تم الدخول على الموقع يوم 8 أكتوبر 2021.

134) الحقيقة أن الرسول عليه الصلاة والسلام دخل بالسيدة عائشة بعد هجرته إلى المدينة بسبعة أو ثمانية أشهر ، فقد هاجر في شهر ربيع الأول ، ودخل بعائشة في شوال أو ذو القعدة. انظر: **"تاريخ الطبري"** (2/ 388) و (2/ 398).

أعلام النبلاء". وإسلام البحيري يستنتج عمر السيدة عائشة من كل هذه الكتب **بناء على حقيقة أن عائشة أصغر من أسماء بعشر سنوات. هذه هي النقطة المحورية في برهانه. لكن حين نفتش في كل كتب التاريخ نجد أن الذي ذكر هذا الفارق في السن هو راوٍ واحد اسمه "عبد الرحمن بن أبى الزناد"** الذي كان تلميذا لهشام بن عروة. **هذا هو الراوي الوحيد الذي اعتمد عليه إسلام البحيري في تكذيب البخاري ومسلم.** ولا يذكر إسلام بحيرى شيئا عن عبد الرحمن بن أبي الزناد لأنه يستنكف أصلا من كل ما يتعلق بالرواة والأسانيد ، ويحاول أن يوهم قراءه أن كتب التاريخ –التي يستقي منها معلوماته– تحتوي على حقائق يقينية ، وكأن من كتبوها كانوا شهود عيان ، بينما يحتوي صحيح البخاري وصحيح مسلم على معلومات مشكوك فيها.

من أقدم كتب التراجم التي نقلت هذه المعلومة عن ابن أبي الزناد كتاب معرفة الصحابة لابن منده (المتوفى سنة 395) الذي قال عن أسماء: «وبقيت مائة سنة حتى عميت، وماتت بمكة بعد قتل عبد الله بن الزبير، سنة ثلاث وسبعين، بعد ابنها بليال، وكانت أخت عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم لأبيها. قال ابن أبي الزناد: كانت أكبر من عائشة بعشر سنين»[135]. وكما ترون **لا يذكر ابن منده السند الذي من خلاله عرف ابن أبى الزناد هذه المعلومة، ولا السند الذي من خلاله وصلت هذه المعلومة من ابن أبى الزناد إلى ابن منده** (لأن ابن الزناد توفي عام 174 كما يقول الذهبي ، بينما توفي ابن منده عام 395 ، أى أن الفرق بينهما أكثر من مائتي عام). وعلى ذلك فكلام ابن منده لا يصح.

وأورد ابن عساكر (المتوفى سنة 571 هـ) في تاريخ دمشق بسنده ما قاله ابن الزناد: «أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد المالكي أنا أحمد بن عبد الواحد السلمي أنا جدي أبو بكر أنا أبو محمد بن زبر نا أحمد بن سعد بن إبراهيم الزهري نا محمد بن أبي صفوان نا الأصمعي **عن ابن أبي الزناد قال كانت أسماء بنت أبي بكر أكبر من عائشة بعشر سنين»**[136]. لكن لم يذكر ابن عساكر من أخبر ابن الزناد بهذا الفرق بين أسماء وعائشة. وهذا يعنى أن روايته غير صحيحة.

135) **"معرفة الصحابة لابن منده"** (ص: 982). تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن مَنْدَه العبدي. حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري. الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة. الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005 م

136) **"تاريخ دمشق"** (69/ 10). تأليف أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر. المحقق: عمرو بن غرامة العمروي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. 1415 هـ - 1995 م

وفى موضع آخر ذكر ابن عساكر كلام ابن الزناد دون سند: «قال ابن ابي الزناد وكانت أكبر من عائشة بعشر سنين»[137]

وإذا بحثنا عن ابن الزناد لوجدنا أنه لم ير السيدة أسماء بنت أبى بكر، فقد ولد الرجل سنة مئة من الهجرة كما ذكر ابن سعد في الطبقات[138]، والذهبي في سير أعلام النبلاء[139]. ومعروف أن السيدة أسماء بنت أبى بكر ماتت عام 73 من الهجرة. وعلى ذلك **فابن الزناد لم يقل لنا من أخبره بهذا الفرق في السن بين السيدة عائشة وأختها أسماء، ولا ندرى هل الراوي الذى نقل لابن أبى الزناد هذا الخبر ثقة أم لا.**

وإذا قارنا ابن الزناد بهشام بن عروة الذى نقل عنه البخاري سن السيدة عائشة لوجدنا أن **هشام بن عروة علم بسن السيدة عائشة من أبيه الذى سمعه مباشرة من السيدة عائشة ، ولهذا فرواية هشام بن عروة متصلة ، أما رواية ابن أبي الزناد فذات سند منقطع ، ولهذا فهي ضعيفة.**

وإضافة إلى ذلك فالسيدة أسماء بنت أبى بكر تعتبر جدة هشام بن عروة[140]، والسيدة عائشة أخت جدته ، **فهشام يتكلم ليس فقط عن شأن ديني ، بل عن سيرة عائلته التي لا يعرفها أحد مثله ، أما ابن أبى الزناد فلا توجد صلة قرابة بينه وبين السيدة عائشة.** المنطق إذن يحتم تصديق هشام بن عروة بدلا من ابن أبى الزناد.

وهناك فرق آخر بين هشام بن عروة وابن أبى الزناد: إن هشام أقوى من ابن أبى الزناد. هشام من رواة البخاري ومسلم ، ويكاد يكون هناك إجماع على توثيقه وفضله وجلالة قدره ، أما ابن أبى الزناد فالخلاف في الحكم عليه أكبر وأوضح ، ومن هاجموه أكثر ممن دافعوا عنه. وقد استخلص الذهبي[141،142] من آراء علماء الرجال فيه أنه "حسن الحديث" **(**وهذه مرتبة أقل من الثقات**)**، وذلك بسبب **سوء حفظه.** لقد ذكر الذهبي أن ابن أبى الزناد ضعفه ابن معين. وكذا قال أبو حاتم. وضعفه النسائي. وقال أحمد: مضطرب الحديث. وروى الميموني، عن أحمد بن حنبل:

137) **تاريخ دمشق** لابن عساكر (69/ 8)

138) **الطبقات الكبرى** (5/ 486). المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد البغدادي المعروف بابن سعد. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م

139) **سير أعلام النبلاء** للذهبي (8/ 167)

140) **الطبقات الكبرى** لابن سعد (5/ 136)

141) **"ميزان الاعتدال"** للذهبي (2/ 575)

142) **" تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام "** (4/ 676) . المؤلف: شمس الدين الذهبي. تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى، 2003 م

ضعيف. وَقَالَ الْفَلاسُ: فِيهِ ضَعْفٌ، كَانَ يَحْيَى وَابْنُ مَهْدِيٍّ لا يَرْوِيَانِ عَنْهُ. وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ: كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِمَّنْ يَنْفَرِدُ بِالْمَقْلُوبَاتِ عَنِ الأَثْبَاتِ، وَكَانَ ذَلِكَ من سوءِ حفظه وكثرة خطئه، فَلا يَجُوزُ الاحْتِجَاجُ بِهِ إِلا فِيمَا وَافَقَ الثِّقَاتِ؛ فَهُوَ صَادِقٌ. وقَالَ أَبُو أَحْمَدَ الْحَاكِمُ: لَيْسَ بِالْحَافِظِ عِنْدَهُمْ. وقال ابن عدي: هو ممن يكتب حديثه. لكن على الجانب الآخر وثقه مالك. قيل لمالك: دلني على رجل ثقة؟ قال: عليك بعبد الرحمن بن أبي الزناد. وقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: هُوَ أَثْبَتُ النَّاسِ فِي هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ. وَقَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ: مَا حَدَّثَ بِالْمَدِينَةِ فَصَحِيحٌ، وَمَا حَدَّثَ بِبَغْدَادَ أَفْسَدَهُ الْبَغْدَادِيُّونَ. قال الذهبي: «قلت: قد مشاه جماعة وعدلوه، وكان من الحفاظ المكثرين، ولا سيما عن أبيه، وهشام بن عروة، حتى قال يحيى بن معين: هو أثبت الناس في هشام. وقد روى أرباب السنن الأربعة له، وهو إن شاء الله حسن الحال في الرواية»

إذن هشام بن عروة أقوى من عبد الرحمن بن أبى الزناد. ورغم ذلك **كان لعبد الرحمن بن أبى الزناد وجه قوة يتمثل في رواياته التي سمعها من شيخه هشام بن عروة**. تلك الروايات كان ابن أبى الزناد يحفظها جيدا. **لكن الرواية التي تتعلق بالفرق بين عمر عائشة وأسماء لم يقل ابن أبى الزناد أنه سمعها من هشام بن عروة**. وهذا يبعدنا بدرجة أكبر عن قبول روايته.

أما القول بأن أسماء بنت أبى بكر توفيت في سن مائة عام ، أو أنها توفيت في عام 73 من الهجرة ، أو أنها ولدت قبل الهجرة ب 27 عاما ، فلا اعتراض لنا عليه لأنه لا يؤثر على تحديد سن زواج السيدة عائشة خلافا لما توهمه إسلام البحيري[143].

نلخص ما سبق ، فنقول أن تحديد الفارق بين السيدة عائشة والسيدة أسماء بعشر سنوات أمر مرفوض لأنه ضعيف سندا ، ولا يمكن أن يتخذ دليلا لتكذيب البخاري ومسلم. أما قول إسلام

143) أورد الطبراني في المعجم الكبير أن السيدة أسماء عاشت حتى سن مائة عام، وذلك نقلا عن هشام بن عروة. وذكر ذلك ابن عساكر أيضا في "تاريخ دمشق" (69/ 27) عن هشام بن عروة بعدة أسانيد. وأورد الحاكم في المستدرك نفس الرواية عن عبد الله بن عروة بن الزبير (أخو هشام بن عروة). وذكر أبو نعيم (المتوفى عام 430) في كتابه "معرفة الصحابة" (6/ 3253) أيضا أن أسماء ماتت وعمرها مائة عام ، لكنه لم يذكر سندا. كما ذكر أيضا أنها ولدت قبل الهجرة ب 27 عاما. وأورد ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (69/ 9) أن أسماء ولدت قبل الهجرة ب 27 سنة ، وتوفيت عام 73 هجرية عن عمر مائة عام. وذكر ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (8/ 201) أن أسماء بنت أبى بكر ماتت عام 73 من الهجرة ، لكنه لم يذكر عمرها وقتئذ.

البحيرى بأن السيدة أسماء ماتت وعمرها مائة عام أو أنها ماتت عام 73 أو ولدت قبل الهجرة ب 27 عاما فهو لا يعنينا لأنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يسقط رواية البخاري ومسلم[144].

نخلص من كل ما سبق إلى أن إسلام البحيري ومن على شاكلته بنوا برهانهم على وجود فارق في السن بين عائشة وأسماء قدره عشر سنوات. وقد استخدموا هذا الفارق في برهانهم، وكأنه من المسلمات اليقينية التي لا يختلف عليها اثنان. لكننا رأينا الآن أن هذا الفارق محل شك لأنه يعتمد على راو واحد سيء الحفظ ، هو عبد الرحمن بن أبى الزناد.

ويؤيد إسلام البحيري كلامه باقتباس أساء فهمه من كتاب تاريخ الطبري. يقول البحيري: «وما يعضد ذلك أيضا أن الطبري يجزم بيقين في كتابه "تاريخ الأمم" أن كل أولاد أبى بكر قد ولدوا في الجاهلية، وذلك ما يتفق مع الخط الزمنى الصحيح، ويكشف ضعف رواية البخاري ، لأن عائشة بالفعل قد ولدت في العام الرابع قبل بدء البعثة النبوي»

وهذا والله كلام بائس أولا لأن كتاب الطبري اسمه (تاريخ الرسل والملوك) وليس (تاريخ الأمم). ثانيا الطبري لم يقل أن كل أولاد أبى بكر ولدوا في الجاهلية، بل قال أن أبا بكر تزوج بامرأتين في الجاهلية هما (قتيلة وأم رومان). اقرأوا ما كتبه الطبري[145]:

[حدث علي بْن مُحَمَّد، عمن حدثه ومن ذكرت من شيوخه، قال: **تزوج أبو بكر في الجاهلية قتيلة**– ووافقه على ذلك الواقدي والكلبي– قالوا: وهي قتيلة ابنة عبد العزى بْن عبد بْن أسعد بْن جابر بْنِ مَالِكِ بْنِ حِسْلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لؤي، فولدت له عبد اللَّه وأسماء **وتزوج أيضا في الجاهلية أم رومان** بنت عامر بْن عميرة بْن ذهل بْن دهمان بْن الحارث

144) كان الذهبي هو العالم الوحيد – على حد علمنا- الذى فطن إلى أن فارق السن الذى نقل عن ابن أبى الزناد يتناقض مع ما قالته السيدة عائشة عن سنها وقت زواجها كما نقله البخاري ومسلم. وقد عبر الذهبي عن ذلك في عبارة موجزة ، فقال في كتابه **"تاريخ الإسلام"** (2/ 785) عن السيدة أسماء: [قال ابن أبي الزاد: كَانَتْ أَكْبَرَ مِنْ عَائِشَةَ بِعَشْرِ سِنِينَ، قُلْتُ: فَعُمْرُهَا عَلَى هَذَا إِحْدَى وَتِسْعُونَ سَنَةً. وَأَمَّا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ فَقَالَ: عَاشَتْ مِائَةَ سَنَةٍ...]
وكلام الذهبي دقيق جدا، لكنه يحتاج إلى إيضاح: إنه يقصد أن السيدة عائشة ذكرت (كما في البخاري ومسلم) أن عمرها وقت دخول الرسول بها (في نهاية العام الأول من الهجرة تقريبا) كان 9 سنوات، أي أن عمرها وقت الهجرة كان ثمان سنوات. ولو صح أن الفرق بينها وبين أسماء 10 سنوات، فسيكون عمر السيدة أسماء وقت الهجرة 8+10=18 عاما، وتكون أسماء قد ماتت عام 73 من الهجرة، أي عن عمر 91 عاما (73+18= 91).
إذن الذهبي يريد أن يقول: إن صح أن فارق السن عشر سنوات كما قال ابن أبى الزناد فستكون أسماء قد عاشت 91 عاما. وإن صح أن أسماء عاشت مائة عام -كما قال هشام بن عروة -فسيكون فارق السن أكبر من 10 سنوات. وقد حسم الذهبي أمره في كتاب **"سير أعلام النبلاء"** (3/ 520) ، ورفض قبول تقدير ابن الزناد لفارق السن بعشر سنوات ، وأكد بدلا من ذلك أن أسماء "كَانَتْ أَسَنَّ مِنْ عَائِشَةَ بِبِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً" ، أي بحوالي 13 إلى 19 سنة. والشيء المهم أن الذهبي بنى رأيه على أصلب مرجع يمكن للمرء أن يستند إليه لمعرفة سن السيدة عائشة ، ألا وهو البخاري ومسلم.
ملحوظة: إن شئنا الدقة لقلنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام دخل بالسيدة عائشة بعد هجرته إلى المدينة بسبعة أو ثمانية أشهر ، فقد هاجر في شهر ربيع الأول ، ودخل بعائشة في شوال أو ذو القعدة. انظر: **"تاريخ الطبري"** (2/ 388) و (2/ 398).
145) **تاريخ الطبري** (3/ 425).

بْن غنم بْن مالك ابن كنانة– وقال بعضهم: هي أم رومان بنت عامر بْن عويمر بْن عبد شمس بْن عتاب بْن أذينة بْن سبيع بْن دهمان بْن الحارث بْن غنم بْن مالك بْن كنانة– فولدت له عبد الرحمن وعائشة. **فكل هؤلاء الأربعة من أولاده، ولدوا من زوجتيه اللتين سميناهما في الجاهلية].**

انظر! إن الطبري يتكلم عن زوجتي أبى بكر اللتين تزوجهما في الجاهلية، وليس عن أبنائه الذين ولدوا في الجاهلية. انظر جيدا إلى آخر جملة في الفقرة السابقة: **(**فكل هؤلاء الأربعة من أولاده ، ولدوا من زوجتيه اللتين سميناهما في الجاهلية**)**. لو قال الطبري مثلا: **(**فكل هؤلاء الأربعة من أولاده ولدوا في الجاهلية من زوجتيه اللتين سميناهما**)** لصدقنا إسلام البحيري. ولكن إسلام البحيري قرأ كلام الطبري بشكل متسرع أو متحيز، فأخطأ الفهم.

وبمواصلة قراءة كلام الطبري تجده في الفقرة التالية يتكلم عن زوجات أبى بكر في الإسلام، وهذا يعنى أن الطبري كان يقصد في الفقرة السابقة زوجات أبى بكر في الجاهلية وليس أولاده. إننا أمام مقارنة أساسا بين زوجات وزوجات، وليس بين أولاد وأولاد. يقول الطبري:

[وتزوج في الإسلام أسماء بنت عميس، وكانت قبله عند جعفر بْن أبي طالب، وهي أسماء بنت عميس بْن معد بْن تيم بْن الحارث بْن كعب ابن مالك بْن قحافة بْن عامر بْن ربيعة بْن عامر بْن مالك بْن نسر بْن وهب اللَّه بْن شهران بْن عفرس بْن حلف بْن أفتل– وهو خثعم– فولدت له مُحَمَّد بْن أبي بكر. **وتزوج أيضا في الإسلام** حبيبة بنت خارجة بْن زيد بْن أبي زهير، من بني الحارث بن الخزرج، وكانت نسأ حين توفي أبو بكر، فولدت له بعد وفاته جارية سميت أم كلثوم]

وإضافة إلى ما سبق نقول أنه **بفرض أن حديثا في البخاري ومسلم تعارض مع رواية في الطبري، فالاحتكام يكون للسند (سلسلة الرواة)**. وأي مبتديء في العلوم الإسلامية يعرف أن أسانيد البخاري ومسلم أقوى من أسانيد الطبري، فكيف يتكلم إسلام البحيري بهذا الاستخفاف والاحتقار عن البخاري استنادا لتاريخ الطبري؟ هذا الرجل إما أنه جاهل بعلوم التراث ، أو أنه يعتمد على أنه يخاطب شريحة من القراء تجهل علوم التراث. والاحتمال الثاني هو الأرجح.

إن إسلام البحيري يوهم القارىء أن كتب التاريخ تناطح أحاديث كتب السنة وتنافسها وتتفوق عليها ، وهذا كلام ينم عن جهل شديد لأن المؤرخين الأوائل كالطبري كانوا يتبعون –ما وسعهم إلى ذلك سبيل– نفس منهج أهل الحديث المتمثل في عزو الأخبار إلى سلسلة من الرجال الذين شهد آخرهم الواقعة (وهذا يسمى السند). والمؤرخون المتأخرون كانوا يعتبرون الأحاديث الصحيحة التي وردت في كتب السنة أهم مصادرهم. على سبيل المثال كتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير –الذي استند إليه إسلام البحيري– يورد حوارا بين الحجاج بن يوسف وأسماء بنت أبى بكر، وهو منقول من صحيح مسلم: [رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَى ابْنِي دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَدَّثَنَا «أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا»....]. ويعلق ابن الأثير على كلام أسماء قائلا: «وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ».

وابن كثير –الذي يستشهد به إسلام البحيري– يفعل نفس الشيء، بل أكثر، فهو يورد مثلا في إحدى الوقائع رأيا للواقدى – وهو أحد المؤرخين– لكن ابن كثير يرفض هذا الرأي، وينحاز لحديث رواه الإمام أحمد. يقول ابن كثير: [فَوَلَدَتْهُ بِقُبَاءَ أَوَّلَ مَقْدِمِهِمِ الْمَدِينَةَ، وَقِيلَ: إِنَّمَا وَلَدَتْهُ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ. **قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ، وَمُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَغَيْرُهُمَا، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ ; لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ،** عَنْ أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَسْمَاءَ، أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ بِمَكَّةَ.... وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ][146].

إن إسلام البحيرى يعتمد على جهل أغلب القراء بكتب التراث، فيكذب في مقاله كتب السنة وعلى رأسها صحيح البخاري ومسلم اعتمادا على كتب التاريخ والسيرة (الكامل– تاريخ دمشق – سير اعلام النبلاء – تاريخ الطبري – البداية والنهاية – تاريخ بغداد – وفيات الأعيان)، وهذه مغالطة، فرغم الأهمية القصوى لكتب التاريخ إلا أنه ليس كل ما بها صحيحا ، ففي بعضها روايات منقطعة السند أو في غاية الضعف. وإن وجد تعارض بين كتب السنة وكتب التاريخ وجب الركون إلى أصحها سندا ، وفى الغالب تربح كتب السنة. والأهمية الأكبر لكتب التاريخ تكون في ظل غياب مصادر من كتب السنة ، ففي هذه الحالة يكون من الحكمة قبول كتب التاريخ طالما أن وقائعها لا تتعارض مع القرآن والسنة.

146) **"البداية والنهاية"** (12/ 186). تأليف أبو الفداء بن كثير. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1997 م. سنة النشر: 1424هـ / 2003م

ثم إن **أهم حقيقة استند إليها إسلام البحيري –ألا وهي فارق السن بين عائشة وأسماء البالغ عشر سنوات– لم ترد في أغلب كتب التاريخ التي استشهد بها**، فهي لم تذكر في "تاريخ الطبري"، ولا في "البداية والنهاية" ، ولا في "الكامل في التاريخ" ، ولا في "وفيات الأعيان" ، ولا "تاريخ بغداد". ورغم ذلك يتكلم البحيري بثقة عجيبة قائلا: (كما ذكرت جميع المصادر بلا اختلاف أنها أكبر من عائشة بـ 10 سنوات).

والفضيحة الكبرى أن كتاب "وفيات الأعيان" الذي يستشهد به إسلام بحيري يؤكد أن السيدة عائشة كان عمرها ست سنوات وقت أن تزوجها الرسول عليه السلام. اقرأوا معي ما قاله الكتاب[147]:

«أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن والدها؛ تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، شرفها الله تعالى، قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل انه تزوجها قبل سودة، زوجه إياها أبوها فأصدقها مثلما أصدق سودة. **وكان لها يوم تزوجها ست سنين، وما تزوج بكراً سواها، وقبض صلى الله عليه وسلم وهي بنت ثماني عشرة سنة**»

والفضيحة الثانية هي أن كتاب "البداية والنهاية" الذي يستشهد به إسلام البحيري على سن السيدة عائشة أكد هو الآخر أن عمر عائشة وقت زواجها كان ست سنوات. اقرأوا ما يقوله كتاب البداية والنهاية[148]:

«فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَظِيَتْ عِنْدَهُ. وَقَدْ قَدَّمْنَا ذَلِكَ فِي أَوَّلِ السِّيرَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَتَيْنِ، وَقِيلَ: بِسَنَةٍ وَنِصْفٍ. وَقِيلَ: بِثَلَاثِ سِنِينَ. **وَكَانَ عُمْرُهَا إِذْ ذَاكَ سِتَّ سِنِينَ، ثُمَّ دَخَلَ بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ** بَعْدَ بَدْرٍ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ثِنْتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ فَأَحَبَّهَا».

والفضيحة الثالثة أن كتاب تاريخ الطبري – الذى استشهد به إسلام البحيري– ذكر أكثر من مرة أن السيدة عائشة وقت زواجها كان عمرها ست سنوات، ودخل بها الرسول عليه السلام وعمرها تسع سنوات. يقول الطبري:

147) **"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان "** (3/ 16). تأليف أبو العباس شمس الدين بن خلكان. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر – بيروت. 1994م.
148) **"البداية والنهاية"** لابن كثير (11/ 337)

«وقال بَعْضُهُمْ: .... **فَأَمَّا عَائِشَةُ فَكَانَتْ يَوْمَ تَزَوَّجَهَا صَغِيرَةً لا تَصْلُحُ لِلْجِمَاعِ**، وَأَمَّا سَوْدَةُ فَإِنَّهَا كَانَتْ امْرَأَةً ثَيِّبًا»[149].

وقال الطبري بعد ذلك على لسان السيدة عائشة: « وَوَثَبَ الْقَوْمُ وَالنِّسَاءُ، فَخَرَجُوا، فَبَنَى بِي رَسُولُ اللَّهِ فِي بَيْتِي، مَا نُحِرَتْ جَزُورٌ وَلا ذُبِحَتْ عَلَيَّ شَاةٌ، **وَأَنَا يَوْمَئِذٍ ابْنَةُ تِسْعِ سِنِينَ**، حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِجَفْنَةٍ كَانَ يرسل بها الى رسول الله ص»[150].

وقال الطبري بعدها: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ رَأَى عَائِشَةَ مَرَّتَيْنِ، يُقَالُ لَهُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، **وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ ابْنَةُ سِتِّ سِنِينَ**. ثم ان رسول الله ص **بنى بعائشة بعد ما قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَهِيَ يَوْمَ بَنَى بِهَا ابْنَةُ تِسْعِ سِنِينَ** رجع الخبر إلى خبر هشام بن محمد ثم تزوج رسول الله ص عائشة بنت أبي بكر – واسمه عتيق بْن أبي قحافة، وهو عثمان– ويقال عبد الرحمن بن عثمان– بن عامر بن عَمْرو بن كعب بن سَعْدِ بْنِ تيم بن مرة **تزوجها قبل الهجرة بثلاث سنين، وهي ابنة سبع سنين، وجمع إليها بعد أن هاجر إلى الْمَدِينَةِ وهي ابنة تسع سنين** فِي شوال، **فتوفى عنها وهي ابنه ثمان عشره**، ولم يتزوج رسول الله ص بكرا غيرها»[151].

<u>**والفضيحة الرابعة أن كتاب الكامل في التاريخ الذى استشهد به إسلام البحيري يؤكد هو الآخر أن السيدة عائشة تزوجت في سن ست سنوات، ودخل بها الرسول عليه السلام في سن تسع سنوات.**</u> يقول ابن الأثير مؤلف الكتاب في أحداث السنة الأولى من الهجرة:

«وَفِيهَا بَنَى النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِعَائِشَةَ بَعْدَ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ بِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ بِسَبْعَةِ أَشْهُرٍ فِي ذِي الْقِعْدَةِ، وَقِيلَ: فِي شَوَّالٍ، **وَكَانَ تَزَوَّجَهَا بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ** بَعْدَ وَفَاةِ خَدِيجَةَ، **وَهِيَ ابْنَةُ سِتِّ سِنِينَ، وَقِيلَ: ابْنَةُ سَبْعِ سِنِينَ**»[152].

فيا لعجائب الزمان! إن بعض الملحدين لديهم معرفة بالعلوم الدينية الأساسية ، وهم يعرفون جيدا كيف يستخدمون هذه المعرفة ليس للوصول إلى الحقيقة ، بل لخداع المسلم الذى شغله اللهو واللعب

---

149) **"تاريخ الطبري"** (3/ 161)

150) **"تاريخ الطبري"** (3/ 162)

151) **"تاريخ الطبري"** (3/ 163)

152) **"الكامل في التاريخ"** (2/ 6). تأليف عز الدين ابن الأثير. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، 1417هـ / 1997م

أو طلب الرزق عن تعلم أبجديات علوم دينه. إننا أمام عصابة فكرية ، فتحت لها أبواق الإعلام، وأغلقت أمام العلماء الجادين.

نسأل الله العافية. والحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

إسلام البحيري ينسب لابن كثير كلاما لم يقله

ويستمر مسلسل فضائح إسلام البحيري الذى زعم أن ابن كثير ذكر أن السيدة عائشة أسلمت فى السنوات الثلاثة الأولى من الدعوة بمكة حين كانت سرا ، وهذا فى رأيه يتناقض مع رواية البخاري التى يفهم منها أن السيدة عائشة فى نهاية السنوات الثلاث الأولى لم تكن قد ولدت بعد لأن عمرها وقت الهجرة كان حوالي 8 سنوات، والهجرة كانت بعد 13 عاما من الدعوة إلى الإسلام. وبناء على كلام ابن كثير يطيح إسلام البحيري بروايات البخاري ومسلم.

ولما قرأت النص الذى اقتبسه إسلام البحيري من كتاب البداية والنهاية لابن كثير وجدت أنه بدل نص كلام ابن كثير ، ونسب إليه كلاما لم يقله كي يثبت فكرته. اقرأوا ما يقول البحيري:

« ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية عن الذين سبقوا بإسلامهم: «ومن النساء... أسماء بنت أبى بكر وعائشة وهى صغيرة فكان إسلام هؤلاء فى ثلاث سنين ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدعو فى خفية ، ثم أمر الله عز وجل رسوله بإظهار الدعوة»...»

والآن أرجو القاريء أن يفتح كتاب البداية والنهاية ، ويبحث في الجزء الخاص بالسيرة النبوية عن هذا الكلام ، ولن يجد له أثرا. **لقد غير إسلام البحيري كلام ابن كثير. ونص ابن كثير الحقيقي كما يلى:**

[وَقَدْ سَرَدَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَسْمَاءَ مَنْ أَسْلَمَ قَدِيمًا مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. قال: ثم أسلم أبو عبيدة [بن الجراح] ، وأبو سلمة [عبد الله بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ] ، وَالْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَامْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَعَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ – وَهِيَ صَغِيرَةٌ – وَقُدَامَةُ بْنُ مَظْعُونٍ....[153]]

إن ابن كثير هنا لا يذكر مطلقا أن هؤلاء أسلموا في السنوات الثلاثة الأولى من الدعوة السرية. يا له من تزوير فج لم يسبق له مثيل!

153) **"البداية والنهاية"** لابن كثير (3/ 49)

ونستمر في الرد على شبهة إسلام البحيري بخصوص كلام ابن كثير. إن ابن كثير لما تكلم في الصفحة التالية عن الجهر بالدعوة كان نص كلامه كما يلي: **(قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ مِنَ الْبِعْثَةِ بِأَنْ يَصْدَعَ بِمَا أُمِرَ، وَأَنْ يَصْبِرَ عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ)**[154].

لكن لم يكن هذا ترتيبا زمنيا من ابن كثير للأحداث لأنه تكلم قبل ذلك عن إسلام عمر وحمزة وإظهارهم للإسلام واضطهاد المشركين لهم ، وكل هذا حدث طبعا بعد الجهر بالدعوة ، فإسلام عمر بن الخطاب مثلا كان في العام السادس من الهجرة. **إذن ذكر ابن كثير لإسلام عائشة قبل ذكره للجهر بالدعوة لا يعتبر على الإطلاق دليلا على أنها أسملت فى السنوات الثلاثة الأولى حين كانت الدعوة سرية.**

وإذا عدت عزيزى القاريء إلى **كتاب سيرة ابن إسحاق**[155، 156]**لوجدته يفعل نفس الشىء، فهو يذكر إسلام السيدة عائشة وهى صغيرة السن ، لكنه لا يذكر قط أن ذلك تم في سنوات الدعوة السرية الثلاثة.** ونفس الشيء ينطبق على سيرة ابن هشام التى تعد تنقيحا لسيرة ابن إسحاق. وسنورد الآن نص كلام ابن إسحاق كاملا ، ولاحظوا موضع إسلام السيدة عائشة ، ثم لاحظوا أن ابن إسحاق تكلم بعدها عن اضطهاد المسلمين وتعذيبهم ، ثم لاحظوا أخيرا الحديث عن جهر الرسول بالدعوة. وهذا معناه أن **ابن إسحاق لا يقدم هنا ترتيبا زمانيا للأحداث** لأن اضطهاد المسلمين لا بد أن يعقب الجهر بالدعوة ، وليس العكس. وهذا يعنى أن البدء بذكر السيدة عائشة لا يعنى أنها أسلمت في سنوات الدعوة السرية الأولى. اقرأوا هذا المقطع من سيرة ابن إسحاق:

حدثنا أحمد: حدثنا يونس عن ابن إسحق قال: ثم انطلق أبو عبيدة بن الحارث، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وعبد الله بن الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، فأسلموا وشهدوا أنه على هدى ونور. ثم أسلم ناس من قبائل العرب منهم: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أخو بني عدي بن كعب، وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، أخت عمر بن الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، **وعائشة بنت أبي بكر**

154) **"البداية والنهاية"** لابن كثير (4/ 95)

155) **سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)** (ص: 143). تأليف: محمد بن إسحاق بن يسار. تحقيق: سهيل زكار. دار الفكر – بيروت. الطبعة: الأولى 1398هـ /1978م

156) يقول مارسدن جونس: (وصلت إلينا سيرة ابن إسحاق بطرق عدة، أشهرها رواية ابن هاشم عن البكائى. ومن أهمها رواية ابن بكير، التي لم تصل إلينا كاملة ولكننا نجد قطعا كثيرة منها عند ابن سعد، وابن الأثير، وابن كثير، وأخيرا وجدت قطعة منها مخطوطة فى مسجد القرويين بفاس، وهي تشتمل على الجزء الأول من الكتاب. وقد اعتمد الطبري على رواية سلمة بن الفضل الأبرش الأنصارى، واعتمد ابن سعد- زيادة على رواية ابن بكير- على رواية هارون بن سعد. ومع ذلك فإن رواية ابن هشام لا تمثل النص الأصلى الكامل لسيرة ابن إسحاق، لأنه هو والبكائى أيضا قد غيرا فى النص، كما اعترف بذلك ابن هشام فى مقدمته للسيرة). انظرمقدمة كتاب **"المغازي"** (المقدمة/ 26). تأليف محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي . تحقيق: مارسدن جونس. دار الأعلمي – بيروت. الطبعة الثالثة - 1989/1409.

وهي صغيرة، وقدامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون الجمحيان، وخباب بن الأرت حليف بني زهرة، وعمير بن أبي وقاص الزهري وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة، ومسعود بن القاري وسليط بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي، وعياش ابن أبي ربيعة المخزومي وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخرمة التميمي، وخنيس ابن حذافة السهمي، وعامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب، وعبد الله بن جحيش الأسدي، وأبو أحمد بن جحش، وجعفر بن أبي طالب وامرأته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث الجمحي وامرأته أسماء بنت المحلل أخت بني عامر بن لؤي، والخطاب بن الحارث وامرأته فكيهة بنت يسار، ومعمر بن الحارث بن معمر الجمحي، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطالب بن أزهر ابن عبد عوف الزهري وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صبير بن سعد بن سهم، والنحام واسمه نعيم بن أسد أخو بني عدي بن كعب، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، وخالد بن سعيد بن العاصي وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة من خزاعة، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس أخو بني عامر بن لؤي، وأبو حذيفة بن عقبة بن ربيعة، وواقد بن فائد بن عبد الله بن عزيز بن ثعلبة التميمي حليف بني عدي بن كعب، وخالد بن البكير، وعامر بن البكير، وعاقل بن البكير، وإياس بن البكير بن عبد الله بن ناشب من بني سعد بن ليث، حلفاء بني عدي بن كعب، وعمار بن ياسر حليف بني مخزوم، وصهيب بن سنان حليف بني تميم. ثم دخل الناس في الأسلام أرسالا من النساء والرجال حتى فشا ذكر الإسلام وتحدث به، **فلما أسلم هؤلاء النفر وفشا أمرهم بمكة أعظمت ذلك قريش، وغضبت له، وظهر فيهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم البغي والحسد، وشخص له منهم رجال فبادوه العداوة، وطلبوا له الخصومة منهم: أبو جهل بن هشام، وأصحابه وأبو لهب**، وعبيد بن عبد يغوث، وعمرو بن الطّلاطلة، والوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، وأمية بن خلف، وأبيّ بن خلف، وهو الذي أصاب وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، وأبو قيس بن الفاكة بن المغيرة، وأبو قيس بن الأسلت والحضين أو الحضير بن الحارث بن سعيد بن الحجاج وهو زهير بن أبي أمية بن المغيرة والسائب بن صيفي بن عائذ، والأسود بن عبد الأسد، والعاصي بن سعيد، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وأبو العاصي بن هشام، وعقبة بن أبي معيط، وأبو الأصد الهذلي، نطحته أروى فسقط فتقطع، والحكم بن أبي العاصي، وعدي بن جبر الثقفي، وزمعة بن الأسود. وكان الذين يؤذونه: أبو لهب، وعقبة بن أبي معيط، والحكم بن أبي العاصي، وعدي بن جبر الثقفي، ورجل آخر.

قوله عز وجل: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ»

حدثنا أحمد: حدثنا يونس عن ابن إسحق قال: وكان الذي تنتهي إليه عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ويجتمع إليه فيها أبو جهل، حسداً وبغياً، لما خص الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من كرامته. **ثم أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاء به، وأن ينادي الناس بأمره، وأن يدعو إلى الله تعالى، وكان ربما أخفى الشيء، واستسر به إلى أن أمر بإظهاره، فلبث سنين من مبعثه، ثم قال الله تعالى: «فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ».** وقال: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ. وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ».

ثم هب أن ابن كثير قال شيئا، وقال البخاري شيئا آخر ، فأيهما نقبل كلامه؟ قطعا كلام البخاري. ولو سئل ابن كثير نفسه هذا السؤال لأجاب كما أجبنا لأن ابن كثير يعتبر من كبار علماء الحديث، وستجده في كتابه "البداية والنهاية" وغيرها من كتبه يعتبر صحيح البخاري ومسلم قمة مصادره. إن كل روايات البخاري لها أسانيد نعرف من خلالها بالضبط من سمع الخبر أو شهد الحادث ، ولمن نقله حتى وصل إلينا. أما ابن كثير فلا يقدم أسانيد خاصة به لأنه كان بعيدا جدا عن زمن الرسول والصحابة ، ولهذا لم يفعل أكثر من جمع الروايات من المصادر الأصلية ، على رأسها صحيح البخاري ومسلم.

ثم **إن رواية ابن إسحاق التي ذكر فيها إسلام السيدة عائشة هي بلا سند ، فابن إسحاق لا يذكر لنا من أخبره بذلك ، ولذا فروايته لا يمكن أن تتساوى بروايات البخاري ومسلم ذات السند المتصل القوي** ، هذا بفرض أن ابن إسحاق كان يقصد القول أن السيدة عائشة أسلمت في السنوات القليلة الأولى من الدعوة[157].

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

157) إننا نرى أن من الجائز قبول مثل هذه الروايات المنقطعة السند فقط إن غابت الروايات الصحيحة المتصلة السند (القرآن والسنة الصحيحة)، ففي هذه الحالة نتصرف كما يفعل العلماء الذين يأخذون التاريخ الفرعوني من النقوش الموجودة على المعابد رغم أنهم لا يعرفون الرجال الذين كتبوها.

تحديد سن عائشة من خلال الهجرة إلى الحبشة

أعترف أن إسلام البحيري عبقري في إثارة الشبهات ، لكن أغبى الناس رجل يسارع إلى خوض معارك ، تنتهي دوما بهزيمته. وهذا ما يفعله إسلام البحيري ، فهو يظن أن شبهته لا تقاوم ، فإذا بالله تعالى يسخر عباده ليفضحوه ويخزوه. ومشكلتنا الحقيقية مع إسلام البحيري وأمثاله ليست أن شبهاتهم لا يمكن الرد عليها ، ولكنهم أنهم لا يشعرون بالخجل كلما تبين للناس جهلهم. اقرأوا معنا هذه الشبهة الجديدة. يقول إسلام البحيري:

[أخرج البخاري نفسه (باب– جوار أبى بكر في عهد النبي) أن (عائشة) قالت: «لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قِبَلَ الحبشة». ولا أدرى كيف أخرج البخاري هذا، فـ (عائشة) تقول إنها لم تعقل أبويها إلا وهما يدينان الدين، وذلك قبل هجرة الحبشة كما ذكَرَت، وتقول إن النبي كان يأتي بيتهم كل يوم، وهو ما يبين أنها كانت عاقلة لهذه الزيارات. والمؤكد أن هجرة الحبشة، إجماعا بين كتب التاريخ كانت في عام (5) من بدء البعثة النبوية ما يوازى عام (615م)، فلو صدقنا رواية البخاري أن عائشة ولدت عام (4) من بدء الدعوة (عام 614م)، فهذا يعنى أنها كانت رضيعة عند هجرة الحبشة، فكيف يتفق ذلك مع جملة (لم أعقل أبوي). وكلمة أعقل لا تحتاج توضيحا، ولكن بالحساب الزمنى الصحيح تكون (عائشة) فى هذا الوقت تبلغ (4 قبل بدء الدعوة، + 5 قبل هجرة الحبشة = 9 سنوات) وهو العمر الحقيقي لها آنذاك]

ونحن نؤكد أن هذه الشبهة ساقطة لأسباب عديدة:

1. وقع إسلام البحيري في خطأ كبير ، فهو يظن أن هناك إجماعا على أن الهجرة إلى الحبشة تمت فقط في العام الخامس من الهجرة. لكن الحقيقة أن هناك هجرتين للحبشة: الهجرة الأولى والهجرة الثانية. وقد حدد "الواقدي" تاريخ الهجرة الأولى بشهر رجب من العام الخامس للبعثة.

وقد نقل عنه ذلك ابن سعد[158] ثم البلاذري[159] والطبري[160]. وهذا التاريخ منطقي ويتفق مع سير الأحداث. وفي الهجرة الأولى كان عدد المسلمين 11 رَجُلا و 4 نِسْوَةٍ [161]، بينما كان عددهم في الهجرة الثانية 83 رَجُلا و 11 امْرَأَةً[162] كما قال الواقدي.

وذكر الواقدي أن المسلمين بعد الهجرة الأولى مكثوا في الحبشة شهرين فقط (شعبان ورمضان)، ثم عادوا سريعا إلى مكة في شهر شوال[163] ، وذلك لأن إشاعة سرت إلى الحبشة بأن أهل مكة قد أسلموا ، فرأى المهاجرون أنه لم يعد هناك مبرر للغربة عن أوطانهم[164]. ولكنهم لما وصلوا إلى مكة اكتشفوا أن أهلها لا يزالون كفارا ، فكان من الصعب عليهم أن يرجعوا مرة أخرى للحبشة ، ففضل أغلبهم البقاء بمكة مع طلب الحماية من بعض أهلها. وبعد الهجرة

---

158) **"الطبقات الكبرى"** لابن سعد (1/ 159)

159) **"جمل من أنساب الأشراف"** للبلاذري (1/ 198). تأليف أحمد بن يحيى بن جابر البَلَاذُري. تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي. الناشر: دار الفكر – بيروت. الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م

160) **"تاريخ الطبري"** (2/ 329)

161) **"الطبقات الكبرى"** (1/ 159)

162) **"الطبقات الكبرى"** (1/ 161)

163) **"الطبقات الكبرى"** (161/1)

164) قال الواقدي: رأى رسول الله ص مِنْ قَوْمِهِ كَفًّا عَنْهُ. فَجَلَسَ خَالِيًا فَتَمَنَّى فَقَالَ: لَيْتَهُ لا يَنْزِلُ عَلَيَّ شَيْءٌ يُنَفِّرُهُمْ عَنِّي! وَقَارَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَوْمَهُ وَدَنَا مِنْهُمْ وَدَنَوْا مِنْهُ. فَجَلَسَ يَوْمًا مَجْلِسًا فِي نَادٍ مِنْ تِلْكَ الأَنْدِيَةِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ: «وَالنَّجْمِ إِذا هَوى» النجم: 1. حَتَّى إِذَا بَلَغَ: «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى» النجم: 19- 20. أَلْقَى الشَّيْطَانُ كَلِمَتَيْنِ عَلَى لِسَانِهِ: تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى. وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى. فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِهِمَا. ثُمَّ مَضَى فَقَرَأَ السُّورَةَ كُلَّهَا وَسَجَدَ وَسَجَدَ الْقَوْمُ جَمِيعًا وَرَفَعَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ تُرَابًا إِلَى جَبْهَتِهِ فَسَجَدَ عَلَيْهِ. وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا لا يَقْدِرُ عَلَى السُّجُودِ. وَيُقَالُ: إِنَّ أَبَا أُحَيْحَةَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ أَخَذَ تُرَابًا فَسَجَدَ عَلَيْهِ رَفَعَهُ إِلَى جَبْهَتِهِ. وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا. فَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ إِنَّمَا الَّذِي رَفَعَ التُّرَابَ الْوَلِيدُ. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ أَبُو أُحَيْحَةَ. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ كِلاهُمَا جَمِيعًا فَعَلَ ذَلِكَ. فَرَضُوا بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالُوا: قَدْ عَرَفْنَا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيَخْلُقُ وَيَرْزُقُ. وَلَكِنَّ آلِهَتَنَا هَذِهِ تَشْفَعُ لَنَا عِنْدَهُ. وَأَمَّا إِذْ جَعَلْتَ لَهَا نَصِيبًا فَنَحْنُ مَعَكَ. فَكَبُرَ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ قَوْلِهِمْ حَتَّى جَلَسَ فِي الْبَيْتِ. فَلَمَّا أمسى أتاه جبريل. ع. فَعَرَضَ عَلَيْهِ السُّورَةَ. فَقَالَ جِبْرِيلُ: جِئْتُكَ بِهَاتَيْنِ الكلمتين. فقال رسول الله. ص: قُلْتُ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ يَقُلْ. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: «وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَإِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا» الإسراء: 73. إِلَى قَوْلِهِ: «ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً» الإسراء: 96. وروى الزُّهْرِيّ عَنْ أَبِي بكر ابن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: فَشَتْ تِلْكَ السَّجْدَةُ فِي النَّاسِ حَتَّى بَلَغَتْ أَرْضَ الْحَبَشَةِ. فَبَلَغَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَدْ سَجَدُوا وَأَسْلَمُوا حَتَّى إِنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ وَأَبَا أُحَيْحَةَ قَدْ سَجَدَا خَلْفَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ الْقَوْمُ: فَمَنْ بَقِيَ بِمَكَّةَ إِذَا أَسْلَمَ هَؤُلاءِ؟ وَقَالُوا: عَشَائِرُنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا. فَخَرَجُوا رَاجِعِينَ حَتَّى إِذَا كَانُوا دُونَ مَكَّةَ بِسَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ لَقُوا رَكْبًا مِنْ كِنَانَةَ فَسَأَلُوهُمْ عَنْ قُرَيْشٍ وَعَنْ حَالِهِمْ. فَقَالَ الرَّكْبُ: ذَكَرَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ فَتَابَعَهُ الْمَلأُ. ثُمَّ ارْتَدَّ عَنْهَا فَعَادَ لِشَتْمِ آلِهَتِهِمْ وَعَادُوا لَهُ بِالشَّرِّ. فَتَرَكْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ. فَأْتَمَرَ الْقَوْمُ فِي الرُّجُوعِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ثُمَّ قَالُوا: قد بلغنا ندخل فنظر مَا فِيهِ قُرَيْشٌ وَيُحْدِثُ عَهْدًا مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ. وقال الواقدي: دَخَلُوا مَكَّةَ وَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إلا بِجِوَارٍ. إلا ابْنَ مَسْعُودٍ فَإِنَّهُ مَكَثَ يَسِيرًا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ. وقال الواقدي: فَكَانُوا خَرَجُوا فِي رَجَبٍ سَنَةَ خَمْسٍ فَأَقَامُوا شَعْبَانَ وَشَهْرَ رَمَضَانَ وَكَانَتِ السَّجْدَةُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَقَدِمُوا فِي شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ.. انظر: **"الطبقات الكبرى"** (1/ 160). وقد أورد الطبري أيضا قصة الغرانيق عن ابن إسحاق [**"تاريخ الطبري"** (2/ 338)] ، لكني لم أجدها في سيرة ابن هشام ولا في رواية يونس بن بكير لسيرة ابن إسحاق.

ولا أحد يوافق على قصة الغرانيق التى روتها بعض كتب السيرة. وإن كان لها أصل فنحن **نرجح أن يكون كفار قريش قد لجأوا لإطلاق إشاعة تثير البلبلة، وتشوه الإسلام** كما يحدث اليوم حين يشوه اليهود والنصارى دين الإسلام ، فيقولون – لعنهم الله- أن الرسول ابن زنا، أو أن الإسلام انتشر بالسيف، أو أن الرسول كان رجل شهوة. وكفار مكة لهم سوابق من هذا النوع ، فقد زعموا أن الرسول عليه السلام أخذ القرآن من رجل كان يمليه عليه صباحا ومساء: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفرقان: 5]. وبالمثل **ربما يكون المشركون قد أضافوا عبارة (تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى) إلى آية (أفرأيتم اللات والعزى) حتى يوهموا البسطاء أن محمدا تخلى عن دينه ورجع إلى دين قومه.** ومن المعروف أن من السهل نشر إشاعة ، لكن من الصعب تكذيبها. **وربما تعمد المشركون تسريب الإشاعة إلى المسلمين فى الحبشة كي يغروهم بالعودة خوفا من أن تقوى شوكتهم في الحبشة ، فيقنعوا النجاشي بالهجوم على مكة كما حدث من جيش أبرهة قبل الإسلام.**

الأولى قاسى المسلمون في مكة اضطهادا من قريش ، فأذن لهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى ، وهذه هي الهجرة الثانية[165].

وقد تكلم ابن إسحاق أيضا عما يمكن أن نسميه موجتين من الهجرة إلى الحبشة[166] ، لكنه لم يسمهما "الهجرة الأولى" و"الهجرة الثانية"، بل سمى الهجرة الثانية ب"الفتنة الآخرة": روى يونس عن ابن إسحق قال: «فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة تواثبوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت **الفتنة الآخرة** التي أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين **كانوا خرجوا قبلهم** إلى أرض الحبشة»[167]. ولا يهمنا اختلاف المصطلحات ، فالمدلول واحد.

وعلى ذلك **فمن المحتمل أن يكون أبو بكر الصديق قد سعى إلى الهجرة إلى الحبشة في الهجرة الثانية وليس الأولى. وهذا الاحتمال منطقي تماما** ، وذلك لأنه كان الوزير الأول والصديق الأقرب للرسول صلى الله عليه وسلم. وليس من السهل أن يضحي الرسول برأيه ومشورته ومكانته ، ويتركه يهاجر إلا بعد استنفاذ كافة الخيارات.

وفضلا عن ذلك **فنحن لا نعرف بالضبط متى كانت الهجرة الثانية** ، وهل كانت بعد عدة أشهر أم سنة أم سنتين أم ثلاثة من الهجرة الأولى. كل شيء محتمل لأن المؤرخين لم يحددوا لها

---

165) قال الواقدي: لَمَّا قَدِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَكَّةَ مِنَ الْهِجْرَةِ الأُولَى اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ قَوْمُهُمْ وَسَطَتْ بِهِمْ عَشَائِرُهُمْ وَلَقُوا مِنْهُمْ أذى شَدِيدًا. فَأَذِنَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْخُرُوجِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً. فَكَانَتْ خَرْجَتُهُمُ الآخِرَةُ أَعْظَمَهَا مَشَقَّةً وَلَقُوا مِنْ قُرَيْشٍ تَعْنِيفًا شَدِيدًا وَنَالُوهُمْ بِالأَذَى. وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ مَا بَلَغَهُمْ عَنِ النَّجَاشِيِّ مِنْ حُسْنِ جِوَارِهِ لَهُمْ. فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَهِجْرَتُنَا الأُولَى وَهَذِهِ الآخِرَةُ إِلَى النَّجَاشِيِّ وَلَسْتَ مَعَنَا؟ [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: أَنْتُمْ مُهَاجِرُونَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيَّ. لَكُمْ هَاتَانِ الْهِجْرَتَانِ جَمِيعًا] . قَالَ عُثْمَانُ: فَحَسْبُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ خَرَجَ فِي هَذِهِ الْهِجْرَةِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلاثَةٌ وَثَمَانِينَ رَجُلا. وَمِنَ النِّسَاءِ إِحْدَى عَشَرَةَ امْرَأَةً قُرَشِيَّةً. وَسَبْعُ غَرَائِبُ. فَأَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ بِأَحْسَنِ جِوَارٍ. فَلَمَّا سَمِعُوا بِمُهَاجَرِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى الْمَدِينَةِ رَجَعَ مِنْهُمْ ثَلاثَةٌ وَثَلاثُونَ رَجُلا. وَمِنَ النِّسَاءِ ثَمَانِي نِسْوَةٍ. فَمَاتَ مِنْهُمْ رَجُلانِ بِمَكَّةَ. وَحُبِسَ بِمَكَّةَ سَبْعَةُ نَفَرٍ. وَشَهِدَ بَدْرًا مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلا. انظر: **الطبقات الكبرى** لابن سعد (1/ 161)

166) ابن إسحاق يتكلم عما يمكن أن نسميه "**موجتين من الهجرة للحبشة":** الموجة الأولى على رأسها عثمان بن مظعون وعثمان بن عفان ، والموجة الثانية على رأسها جعفر بن أبي طالب. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: «فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنْ الْبَلَاءِ، وَمَا هُوَ فِيهِ مِنْ الْعَافِيَةِ، بِمَكَانِهِ مِنْ اللَّهِ وَمِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ الْبَلَاءِ، قَالَ لَهُمْ: لَوْ خَرَجْتُمْ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ. فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ، وَفِرَارًا إلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ، **فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَةٍ كَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ**» [**السيرة النبوية لابن هشام** (1/ 321)]. وعدد ابن إسحاق – فيما رواه عنه ابن هشام- أسماء الصحابة الذين هاجروا، فكان على رأسهم عثمان بن عفان والسيدة رقية وعثمان بن مظعون. ثم قال: «**فَكَانَ هَؤُلَاءِ الْعَشَرَةِ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ**، فِيمَا بَلَغَنِي». قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: «وَكَانَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ». وفي الفقرة التالية مباشرة تكلم ابن إسحاق عن الموجة الثانية من الهجرة إلى الحبشة ، فقال: «**ثُمَّ خَرَجَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَتَابَعَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى اجْتَمَعُوا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ**، فَكَانُوا بِهَا، مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ بِأَهْلِهِ مَعَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ بِنَفْسِهِ لَا أَهْلَ لَهُ مَعَهُ» [**السيرة النبوية لابن هشام** (1/ 323)]. ثم **أخذ ابن إسحاق يعدد أسماء من هاجروا في الموجة الثانية واحدا واحدا ، وفي النهاية ذكر أن جملة المهاجرين بلغت 83 رجلا** (بما فيهم العشرة الأوائل): «فَكَانَ جَمِيعُ مَنْ لَحِقَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَهَاجَرَ إلَيْهَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ، سِوَى أَبْنَائِهِمْ الَّذِينَ خَرَجُوا بِهِمْ مَعَهُمْ صِغَارًا وَوُلِدُوا بِهَا، ثَلَاثَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا» [**السيرة النبوية لابن هشام** (1/ 330)]. ويلاحظ كما قلنا أن ابن إسحاق لا يستخدم مصطلح الهجرة الأولى ولا الهجرة الثانية ، إلا أن مدلوليهما موجودان في ثنايا سيرته. ويبدو أن هذين المصطلحين ظهرا وشاعا لدى كتاب السيرة الذين جاءوا بعد ابن إسحاق كالواقدي وابن سعد والبلاذري والطبري. ومصطلح الهجرة الثانية موجود لدى الطبري فى ثمانية مواضع، وهو يستخدمه لوصف الأحداث التي أوردها ابن إسحاق ، فيقول مثلا: «وهاجر المقداد الى أرض الحبشة الهجرة الثانية في رواية ابن إسحاق وابن عمر» [**تاريخ الطبري** (506/11)]. والبلاذري يفعل نفس الشيء، فيقول مثلا: «هاجر سعد، في رواية ابن إسحاق والواقدي، في الهجرة الثانية» [**أنساب الأشراف** (222/1)].

167) **سيرة ابن اسحاق** (ص: 213)

لها زمنا. إذن لا يمكن لمؤرخ محترم أن يقول بثقة أن أبا بكر الصديق حاول الهجرة إلى الحبشة في العام الخامس من البعثة.

وحتى لو كانت الهجرة الثانية قد بدأت بعد أشهر قليلة من الهجرة الأولى ، فمن المؤكد أنها لم تحدث في يوم وليلة ، بل خرج المهاجرون على دفعات ، وهذا مدلول كلمة (تتابع) في قول ابن إسحاق: «وكانوا هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة، فيما بلغني. ثم جعفر بن أبي طالب..... **ثم تتابع المسلمون** حتى اجتمعوا بأرض الحبشة»[168].

ويؤكد كلامنا أن **أصحاب السير ذكروا بوضوح أن المسلمين في الهجرة الأولى ركبوا البحر في نفس الوقت ، لكنهم لم يذكروا شيئا مماثلا عن الهجرة الثانية ، وهذا يسمح لنا بالاعتقاد أنهم هاجروا على دفعات.** يقول ابن سعد عن الهجرة الأولى: «فَخَرَجُوا مُتَسَلِّلِينَ سِرًّا وَكَانُوا أَحَدَ عَشَرَ رَجُلا وَأَرْبَعَ نِسْوَةٍ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الشُّعَيْبَةِ مِنْهُمُ الرَّاكِبُ وَالْمَاشِي وَوَفَّقَ الله تعالى للمسلمين ساعة جاؤوا سَفِينَتَيْنِ لِلتُّجَّارِ حَمَلُوهُمْ فِيهِمَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ بِنِصْفِ دِينَارٍ»[169].

ولاحظوا أيضا أن **عدد المهاجرين في المرة الثانية كان كبيرا ، وهذا يرجح خروجهم على دفعات، واحدا بعد الآخر ، فلكل واحد ظروفه الخاصة** التي تشمل توافر المال والزاد والحاجة إلى ترتيب أموره وتصفية أعماله في مكة. كما كان كل منهم يعاني من درجة معينة من الاضطهاد ، ولن يفكر في الهجرة إلا إذا بلغ التعذيب ذروته.

والقول بأن الهجرة الثانية للحبشة تمت بالتدريج ليس بدعا من القول ، فربما كانت تشبه الهجرة إلى المدينة ، التى تمت أيضا بالتدريج على دفعات. وقد ذكر ابن إسحاق أن الهجرة إلى المدينة بدأت بعد العالم العاشر من البعثة ، وهو ما يعني أنها استمرت لمدة ثلاث سنوات متواصلة: «مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين بعد ما أوحي إليه خائفاً هو وأصحابه يدعون الله عز وجل سراً وعلانية، ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة».[170،171] بل إن

168) **سيرة ابن اسحاق** (ص: 224- 226)

169) **الطبقات الكبرى** (1/ 159)

170) **سيرة ابن اسحاق** (ص: 174)

171) وقال ابن إسحاق في موضع آخر: (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاث فرق: فرقة بالمدينة، وفرقتين بمكة، فرقة كانوا يؤذون **بمكة عشر سنين** فيعفون عن المشركين، وفرقة كانوا إذا أوذوا انتصروا منهم، فأنزل الله عز وجل عليهم جميعاً، فقال: «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ» وهو الشرك «وَالْفَواحِشَ» وهو الزنا «وَإِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ» هؤلاء الذين كانوا لا ينتصرون من المشركين «وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ» الذين كانوا بالمدينة لم يكن عليهم أمير، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهم بالمدينة، يتشاورون في أمرهم. انظر: **سيرة ابن إسحاق** صفحة 175.

هجرة المسلمين إلى المدينة استمرت حتى بعد وصول الرسول عليه الصلاة والسلام إليها. فلماذا لا تكون هجرة الحبشة بنفس التدرج؟

وإذا عدنا إلى رواية السيدة عائشة التي تكلمت عن محاولة أبي بكر الصديق الهجرة للحبشة لوجدنا أن من حقنا أن نفترض أن أبا بكر حاول الهجرة فى العام الثامن أو التاسع من البعثة مثلا. **وفي هذا الوقت كان عمر السيدة عائشة ثلاث أو أربع سنوات. ولذا فيمكنها أن تكون واعية لحضور الرسول عليه السلام إلى بيتهم كل يوم ، وواعية لهجرة أبيها إلى الحبشة.** وكثير من الناس يحملون ذكريات عن أحداث وقعت لهم فى هذا السن الصغير. وأنا مثلا أذكر اليوم الذي ولد فيه أخي ، وكان عمري وقتها أقل من ثلاث سنوات ، وأذكر كيف كنت ألاعبه وعمره لا يتجاوز ثمانية أشهر.

2. تأمل كلام السيدة عائشة مرة أخرى تكتشف برهانا آخر في غاية القوة: **السيدة عائشة تقول أنها لا تذكر قط أن أبويها كانا يوما ما يعبدان الأصنام (لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ ، إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ) ، وهذا ينفي تماما أنها ولدت قبل بعثة الرسول بأربع سنوات كما يزعم إسلام البحيري.** فلا شك أن أغلب الناس يتذكرون كثيرا من الأحداث التى مروا بها في عمر أربع سنوات، خاصة إن كانت هذه الأحداث تتكرر كل يوم مثل السجود للأصنام والذهاب للكهنة وتقديم القرابين للآلهة والاستقسام بالأزلام والذبح على النُصُب. كما أن السيدة عائشة لا تروي أى شيء عن الأحداث المبكرة للدعوة مثل كيف أقنع أبوها أمها وأختها أسماء باعتناق الإسلام؟ وهل عارضته أمها أم أطاعته على الفور؟ وكم كان عدد الأصنام الموجودة في بيتهم؟ وهل كسروا هذه الأصنام بعد الإسلام؟ وهل فعلوا ذلك سرا أم علانية؟ وهل كانت تقسم باللات والعزى ، فوجدت فجأة أن أمها صارت تأمرها أن تقسم بالله؟ السيدة عائشة لا تذكر أي شيء عن هذه اللحظات الحرجة بين نهاية الجاهلية وبداية الإسلام ورغم أنها معروفة بقوة ذاكرتها ، وحرصها على رواية كل شاردة وواردة عن الإسلام. ولا تفسير لدينا إلا أنها لم تكن قد ولدت بعد حين اعتنق أبواها الإسلام. إن جملة (لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ ، إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ) تمثل حكما بالإعدام على شبهة إسلام البحيري.

3. **إذا قرأنا رواية السيدة عائشة عن هجرة أبيها إلى الحبشة كاملة لتأكدنا أنها وقعت في فترة متأخرة جدا ، وأغلب الظن أن ذلك كان في العام التاسع أو العاشر من البعثة** ، وذلك لأن أبا بكر لما تراجع عن هجرته إلى الحبشة دخل في جوار ابن الدغنة ، لكن ابن الدغنة رضخ لضغوط المشركين ، فرد أبو بكر له جواره وحمايته. **فكان رد فعل الرسول على ذلك أنه بشر المسلمين بدار الهجرة الجديدة ألا وهي المدينة المنورة.** ويبدو من نص الحديث أن **الهجرة إلى المدينة بدأت عقب محاولة هجرة أبي بكر للحبشة بوقت قصير،** لا يمكن أن يتجاوز بضعة أشهر. **ومن المعروف أن الهجرة للمدينة بدأت بعد العام العاشر كما قلنا ، ولهذا فمحاولة أبي بكر الهجرة إلى الحبشة كانت في العام العاشر على الأرجح. وفي هذا الوقت كان عمر السيدة عائشة طبقا لروايات البخاري ومسلم خمس سنوات. وفي هذا السن يمكن أن تكون واعية بسهولة لهجرة أبيها للحبشة.** اقرأوا الرواية كاملة كما وردت في البخاري:

[عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: **لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ، إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً،** فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ **خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الحَبَشَةِ،** حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ القَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ، إِنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلاَ يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ المَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَقَالُوا: لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلاَ يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلاَ يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلاَ يَسْتَعْلِنُ بِصَلاَتِهِ وَلاَ يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ، وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ، عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلاَةِ وَالقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهُ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلاَنَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لاَ

أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ العَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، **فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ**، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ، **فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ»** وَهُمَا الحَرَّتَانِ، **فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المَدِينَةِ**، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ وَهُوَ الخَبَطُ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ][172].

****

وعلى ذلك فالدلائل والملابسات السابقة تشير في مجموعها إلى أن محاولة أبي بكر الهجرة إلى الحبشة لا يمكن أن تكون قبل العام العاشر من البعثة أو التاسع على أقصى تقدير. وحينئذ كان عمر السيدة عائشة خمس سنوات على الأقل. وهذا يسقط شبهة إسلام البحيري.

لقد سقط إسلام البحيري سقوطا مدويا ، فقد ظن الرجل أن مجرد التفكير فى مرويات السنة بعقلية الشكاك يجعله مفكرا عبقريا. ولكن تبين لنا أنه يشبه طفلا رأى لعبة ، فأخذ يلعب بها في سذاجة دون أن يفحصها جيدا ، فإذا بها في الحقيقة قنبلة ، تنفجر، وتشوه وجهه الجميل! الشك ليس حكمة. الحكمة أن تشك ثم تبحث عن رد على الشك حتى تتبين هل شكك في محله أم لا. وكل المحلدين وكل أعداء الإسلام من تلك النوعية التي تشك ، وتفرح بالشك ، وتظل واقفة عنده ، دون أن تتقدم. الشك مجرد خطوة نحو هدف أكبر هو الحقيقة. التوقف عند الشك سطحية.

أخيرا علينا أن نلاحظ أن إسلام البحيري يذكر الأحداث بالتاريخ الميلادي والهجري، مع أن التاريخ الميلادي لا يضيف أي شيء للموضوع الذي يتكلم عنه. ونحن على يقين أنه تعمد ذلك حتى

172) هناك رواية أخرى في البخاري قد يفهم منها أن أبا بكر عزم على الهجرة إلى الحبشة قبل الهجرة إلى المدينة بأربعة أشهر فقط ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام رده ، وبشره بصحبته في الهجرة. والرواية كما يلي: [عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: هَاجَرَ نَاسٌ إِلَى الحَبَشَةِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَتَرْجُوهُ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصُحْبَتِهِ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ].
ونحن نرى أن هجرة أبي بكر في هذه الرواية يقصد بها هجرته إلى المدينة وليس إلى الحبشة ، ولكن الرواي أراد اختصار القصة ، فأساء الاختصار، وجاء كلامه غامضا. ويؤكد ذلك الرجوع إلى الرواية الأخرى للبخاري: [فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ» وَهُمَا الحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المَدِينَةِ، **وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ المَدِينَةِ**، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ وَهُوَ الخَبَطُ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ].

يصبح مقاله أكثر تعقيدا ، فيشعر القاريء المسكين أنه أمام علامة ذي عقلية جبارة ، يستحيل أن يخطيء أبدا. إنه نوع من الإرهاب الفكري. الحمد لله الذي أنقذنا من الضلال.

شبهة غبية

وقدم إسلام البحيري شبهة أخرى:

[أخرج الإمام أحمد فى مسند عائشة: «لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تتزوج، قال: من، قالت: إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا, قال: فمن البكر قالت: أحب خلق الله إليك عائشة ابنة أبى بكر». وهنا يتبين أن (خولة بنت حكيم) عرضت البكر والثيب–المتزوجة سابقا– على النبى، فهل كانت تعرضهن على سبيل جاهزيتهن للزواج، أم على أن إحداهما طفلة يجب أن ينتظر النبى بلوغها النكاح؟ المؤكد من سياق الحديث أنها تعرضهن للزواج الحالي بدليل قولها (إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا) ولذلك لا يعقل أن تكون عائشة فى ذاك الوقت طفلة فى السادسة من عمرها، وتعرضها خولة للزواج بقولها: (بكرا)]

إسلام البحيري هنا يشنق نفسه ، فهو يتساءل: لماذا تزوج الرسول عائشة إن لم تكن تصلح للزواج؟ وكان عليه أن يسأل نفسه بدلا من ذلك: **إذا كانت عائشة كبيرة وناضجة وتصلح للجماع، فلماذا لم يدخل بها الرسول عليه السلام على الفور؟ لماذا انتظر لمدة ثلاث سنوات بعد أن تزوجها؟** إن انتظار ثلاث سنوات لا معنى له إلا أن عائشة كانت صغيرة ، ولا تطيق الجماع ، فاضطر الرسول عليه الصلاة والسلام إلى التمهل حتى تكبر، وفى نفس الوقت تزوج على الفور بالسيدة سودة لأن من الصعب عليه أن ينتظر ثلاث سنوات بلا زوجة. لقد كان على الرسول عليه الصلاة والسلام أن يسارع إلى الزواج من عائشة لأنه لو تركها فقد تتزوج برجل غيره. وفي نفس الوقت إن دخل بها بعد الزواج مباشرة لم تطق الجماع ، ولهذا كان الحل أن يتزوجها ، ويؤخل الدخول ثلاث سنوات حتى تكبر. ألا يعرف إسلام البحيري الفرق بين الزواج والدخول؟

ومن العجيب فعلا أن يستشهد إسلام البحيري بحديث من مسند أحمد كى يهدم به البخاري مع أن أسانيد البخاري أقوى لأنه كان يتشدد فى اختيار رواته ، أما مسند أحمد ففيه الصحيح والضعيف والحسن. الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

خطبة السيدة عائشة لجبير بن مطعم

ويتوقف البحيري عند قصة خطبة خولة بنت حكيم للسيدة عائشة ، فيؤكد أن ما ورد بالقصة بخصوص خطبة السيدة عائشة لجبير بن مطعم بن عدى قبل النبي الكريم لا يمكن تصديقه. اقرأوا ما قاله:

«لا يمكن أن تكون عائشة مخطوبة قبل سن 6 سنوات لشاب كبير– لأنه حارب المسلمين في بدر وأحد– يريد أن يتزوج مثل جبير، كما أنه من المستحيل أن يخطب أبو بكر ابنته لأحد المشركين وهم يؤذون المسلمين في مكة، مما يدل على أن هذا كان وعدا بالخطبة، وذلك قبل بدء البعثة النبوية حيث كان الاثنان في سن صغيرة ، وهو ما يؤكد أن عائشة ولدت قبل بدء البعثة النبوية يقينا».

ونحن نتساءل: **كيف يكذب إسلام البحيري خطبة السيدة عائشة من جبير بن مطعم بحجة أنه كان كبيرا في السن؟** ما المانع أن يتزوج الرجل الكبير فتاة صغيرة؟ هذا يحدث في كل زمان ومكان. ألم يشاهد إسلام البحيري ذلك في الأفلام العربية القديمة؟

كما أن **اشتراك جبير في غزوة بدر ليس دليلا على أنه كان كبير السن لأن الناس قديما كانوا يعتبرون المراهقين رجالا ، ويسمحون لهم بالاشتراك في الحروب.** ومن المعروف مثلا أن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه شارك في غزوة الخندق وعمره خمسة عشر عاما[173]. كما كان أسامة بن زيد قائدا لجيش المسلمين وعمره عشرون عاما[174]

173) قال ابن حجر عن عبد الله بن عمر: «وعرض على النبيّ صلى الله عليه وسلّم ببدر فاستصغره ثم بأحد فكذلك ثم بالخندق فأجازه، وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة كما ثبت في الصحيح». انظر: **"الإصابة في تمييز الصحابة"** (4/ 156). تأليف ابن حجر العسقلاني. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى - 1415 هـ

174) **الإصابة في تمييز الصحابة** (1/ 202)

وبالرجوع إلى القصة كما وردت في كتب السيرة نجد دليلا آخر على أن جبير بن مطعم لم يكن كبيرا ، وذلك لأن أبويه خشيا عليه من اعتناق الإسلام إن تزوج ابنه أبى بكر. **ولو كان جبير رجلا فوق الثلاثين مثلا لما خاف عليه والداه.** يقول الطبري: «فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مُطْعِمٍ، وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ ابْنِهِ الَّذِي كَانَ ذكرها عليه، فقالت العجوز: يا بن أَبِي قُحَافَةَ، لَعَلَّنَا إِنْ زَوَّجْنَا ابْنَنَا ابْنَتَكَ أَنْ تَصْبِئَهُ وَتُدْخِلَهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ! فَأَقْبَلَ عَلَى زَوْجِهَا الْمُطْعِمِ، فَقَالَ: مَا تَقُولُ هَذِهِ؟ فَقَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ ذَاكَ قَالَ: فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ، وَقَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ الْعِدَةَ الَّتِي كَانَتْ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَتِهِ الَّتِي وَعَدَهَا إِيَّاهُ»[175]

وأهم من ذلك أن **والدي جبير بن مطعم هما اللذان قررا التراجع عن الزواج بالنيابة عن ابنهما.** ولو كان ابنهما كبيرا وله شخصية مستقلة عن أبويه لذهب أبو بكر إليه مباشرة لأن الابن سيكون حينئذ هو صاحب القرار.

أما عن قول إسلام البحيري أن من المستحيل أن يزوج أبو بكر ابنته برجل كافر يؤذى المسلمين، فهو ينم عن جهل شنيع لأن **مطعم بن عدي (والد جبير، خطيب عائشة) كان من المشركين المتعاطفين مع المسلمين ، خاصة حين حاصرتهم قريش وجوعتهم. ومن المشهور أنه أجار النبي صلى الله عليه وسلم بعد عودته من الطائف ، أي أعلن على الملأ أن الرسول في حمايته، ولن يسمح لأحد بأن يتعرض له بالأذى. وكان الرسول عليه السلام يشكر له هذا المعروف**[176،177]. واقرأوا مثلا ما أورده البلاذري عن مطعم بن عدي: **[كان أقل أصحابه أذى للنبي** صلى اللَّه عليه وسلم، ولكنه كان ينكر عليه ما أنكروا. وهو الذي قام بأمر بني هاشم وبني المطلب ، حتى خرجوا من الشعب. **وأجار النبي صلى اللَّه عليه وسلم، حتى طاف بالبيت.** وقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم لابنه جبير بن مطعم يوم بدر: لو كان أبوك حيا فاستوهبني هؤلاء الأساري، لوهبتهم له وشفعته فيهم[178]. وقال ابن عساكر عن جبير بن مطعم: **[كان أبوه هو الذي قام في**

---

175) **تاريخ الطبري** (3/ 162)

176) يقول البلاذري: ووجه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلا من خزاعة إلى سهيل بن عمرو يسأله أن يدخل في جواره، فأبى. ثم بعث إلى مطعم بن عدي، فأجاره. فدخل في جواره. ولبس قومه السلاح حتى أدخلوه المسجد. فكان رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشكرها لمطعم بن عدي. انظر: **"جمل من أنساب الأشراف"** (1/ 237). تأليف أحمد بن يحيى بن جابر البَلَاذُري. تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي. الناشر: دار الفكر – بيروت. الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م

177) وقال ابن سعد في **"الطبقات الكبرى":** [فَأَرْسَلَ – أي الرسول- رَجُلًا مِنْ خُزَاعَةَ إِلَى مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ: «أَدْخُلُ فِي جِوَارِكَ؟» فَقَالَ: نَعَمْ، وَدَعَا بَنِيهِ وَقَوْمَهُ فَقَالَ: تَلَبَّسُوا السِّلَاحَ، وَكُونُوا عِنْدَ أَرْكَانِ الْبَيْتِ فَإِنِّي قَدْ أَجَرْتُ مُحَمَّدًا، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَقَامَ مُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَنَادَى: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ مُحَمَّدًا فَلَا يَهْجُهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ، فَانْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَانْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ وَمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ وَوَلَدُهُ مُطِيفُونَ بِهِ] انظر: الطبقات الكبرى ط دار صادر (1/ 212)

178) **"أنساب الأشراف"** للبلاذري (1/ 153)

نقض صحيفة القطيعة، وكان يحنو على أهل الشعب، ويصلهم في السر، وهو الذي أجار النبي صلى الله عليه وسلم حين رجع من الطائف حتى طاف بعمرة][179]

وكل كتب التراجم تجمع على هذه الحقائق ككتاب "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"[180]، و"أُسد الغابة"[181]، و"الإصابة في تمييز الصحابة"[182]، و"سير أعلام النبلاء"[183].

ومن الحقائق المعروفة أيضا أن **جبير بن مطعم أخذ علم النسب من أبى بكر الصديق ، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كان بينه وبين أبى بكر نوع من التوافق الروحي ، وهذا مؤشر على أنه كان فعلا قد خطب ابنته ، أو على الأقل دليل على أن أبا بكر كان يستشعر أن لديه ميلا للمسلمين:** قال ابن إسحاق: [كان جبير بن مطعم من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة، وكان يقول: إنما أخذت النسب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. وكان أبو بكر من أنسب العرب] [184]

وفضلا عن ذلك ، ففي بعض الأحيان يحاول المسلم أن يتقرب إلى رجل كافر أملا في أن يسمع منه مبادئ الإسلام ، فيؤمن في يوم من الأيام خاصة إن أبدى هذا الكافر تعاطفا تجاه الإسلام. وربما كان هذا الهدف في بال أبي بكر حين قبِل زواج ابنته من كافر.

ثم ألا يعلم إسلام بحيرى **أنه في العهد المكي لم يكن زواج المسلمة بكافر محرما** ، وأن هذا التحريم نزل فقط في العام السادس من الهجرة بعد صلح الحديبية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ } [الممتحنة: 10] ؟

وعلينا أن نلاحظ أن أعداد المسلمين قبل الهجرة كانت قليلة ، ولهذا كان من الصعب أن يشترط الأب المسلم دائما أن يكون زوج ابنته مسلما ، **فزواجها من كافر أهون من بقائها بلا زواج مدى الحياة.**

179) **"تاريخ دمشق"** لابن عساكر (72/ 42)

180) **"الاستيعاب في معرفة الأصحاب"** (1/ 232). تأليف يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري. تحقيق علي محمد البجاوي. دار الجيل، بيروت. الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1992 م

181) **"أسد الغابة"** (1/ 323). تأليف عز الدين ابن الأثير. دار الفكر – بيروت. 1409هـ - 1989م

182) **"الإصابة في تمييز الصحابة"** (1/ 570).

183) **"سير أعلام النبلاء"** للذهبي(3/ 95)

184) **"معرفة الصحابة لأبي نعيم"** (2/ 518)

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

سورة القمر كدليل على عمر عائشة

ويصر إسلام البحيري على أن يبرهن لنا على ضحالة فكره من خلال دليل آخر بناه على رواية في صحيح البخاري[185]. يقول إسلام البحيري:

«أخرج البخاري في (باب– قوله: بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) عن (عائشة) قالت: «لقد أنزل على محمد بمكة، وإني جارية ألعب «بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ». والمعلوم بلا خلاف أن سورة (القمر) نزلت بعد أربع سنوات من بدء الوحي بما يوازى (614م)، فلو صدقنا رواية البخاري تكون (عائشة) إما أنها لم تولد أو أنها رضيعة حديثة الولادة عند نزول السورة ولكن (عائشة) تقول (كنت جارية ألعب) أي أنها طفلة تلعب، فكيف تكون لم تولد بعد؟ ولكن الحساب المتوافق مع الأحداث يؤكد أن عمرها عام (4) من بدء الوحى، عند نزول السورة كان (8) سنوات، كما بينا مرارا وهو ما يتفق مع كلمة (جارية ألعب)».

ونحن نسأل: **من أخبر إسلام البحيري أن سورة القمر نزلت في العام الرابع من بعثة الرسول؟** إن كتب التفسير تكتفي فقط – في افتتاحية تفسير السورة– بذكر أنها نزلت في مكة. كان عليَّ أن أبحث في أهم كتب التفسير بالمأثور، فلم أجد تحديدا لسنة نزولها في "تفسير الطبري"، ولا "تفسير ابن كثير"، ولا "الدر المنثور" للسيوطي، ولا "تفسير البغوي"، ولا "تفسير ابن أبي حاتم"، ولا كتاب "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" للثعلبي. ولم أعثر في أي من كتب التفسير الأخرى عن تحديد للعام الذي نزلت فيه إلا في تفسير القرطبي الذي قال عن إحدى آيات سورة القمر {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} [القمر: 45]: (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ بَيْنَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ وَبَيْنَ بَدْرٍ سَبْعُ سِنِينَ، فَالْآيَةُ عَلَى هَذَا مَكِّيَّةٌ). ويبدو أن **القرطبي نقل كلام ابن عباس من كتاب "التفسير البسيط**

185) روى البخاري عن يُوسُفُ بْنُ مَاهَكٍ، قَالَ: إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ، فَقَالَ: أَيُّ الكَفَنِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ: وَيْحَكَ، وَمَا يَضُرُّكَ؟ " قَالَ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، أَرِينِي مُصْحَفَكِ؟ قَالَتْ: لِمَ؟ قَالَ: لَعَلِّي أُوَلِّفُ القُرْآنَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ، قَالَتْ: وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ " إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر: 46] وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ "، قَالَ: فَأَخْرَجَتْ لَهُ المُصْحَفَ، فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّوَرِ

للواحدي" –**وهو أقدم منه**[186]– الذي قال في قوله تعالى: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر: 46]: **(**قال عطاء عن ابن عباس: كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين**)**.

نخلص من كل هذا إلي أن تحديد العام الذي نزلت فيه سورة القمر لا أثر له إلا في تفسير واحد هو التفسير البسيط للواحدي ، الذي يعتبر المصدر الوحيد الحقيقي للمعلومة ، كما أنه حدد تاريخ نزول آية واحدة فقط من السورة ، فكيف يقول إسلام البحيري أنه لا خلاف حول نزول سورة القمر في سنة 4 من الدعوة في مكة؟ إن كتب التفسير لم تتفق على هذه المعلومة؟ وهل ذكر معلومة في مرجع واحد يعد إجماعا واتفاقا؟ إن العالم المحترم لا يتكلم بثقة مفرطة عن معلومة كهذه.

وفضلا عن ذلك فالواحدي –الذي حدد في تفسيره وقت نزول الآية– توفي عام 468 هـ ، أي أن **السند الذي ذكره منقطع** ، لأنه لم يقابل التابعي عطاء ، الذي نقل كلام ابن عباس. وهناك ثلاثة من تلاميذ ابن عباس اسم كل منهم عطاء هم: عطاء بن يسار الهلالي (توفي عام 94 هـ)[187] ، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني (توفي عام 135 هـ)[188] ، وعطاء بن أبي رباح (توفي عام 114 هـ)[189]. والمسافة بين هؤلاء وبين الواحدي أكثر من مائتي عام كما ترون. أي أن **الرواية التي تحدد تاريخ نزول الآية التي وردت في سورة القمر ضعيفة السند. وهذا كفيل بجعل إسلام البحيري يغلق فمه تماما** ، ويريح بسرعة القاريء الذي لا يحب الإطالة.

وإن افترضنا صحة هذه الرواية ، **فالمفاجأة الأعظم والفضيحة الأثقل أن تفسير الواحدي (الذى نقل كلام ابن عباس) يُستنتج منه بسهولة أن سورة القمر نزلت في العام الخامس قبل الهجرة، أي العام الثامن بعد بعثة الرسول– وليس في العام الرابع بعد البعثة كما يزعم إسلام البحيري–** وذلك لأن غزوة بدر وقعت في رمضان في العام الثاني للهجرة ، والفرق بين نزول الآية وغزوة بدر سبع سنوات كما قال الواحدي. **وفى العام الخامس قبل الهجرة (وقت نزول السورة) كان عمر السيدة عائشة 3 أو 4 سنوات** (3 سنوات و4 شهور *تقريبا*) ، لأنها تزوجت بعد سبعة أو ثمانية

---

186) **"التفسير البسيط"** (21/ 121). تأليف أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي. المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه. الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة الأولى، 1430 هـ

187) **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** (20/ 127).

188) **تهذيب الكمال** (20/ 114). وَقَال أَبُو دَاوُدَ: لم يدرك ابن عباس ولم يره. وَقَال الدَّارَقُطْنِيُّ: ثقة في نفسه إلا أنه لم يلق ابن عباس [**تهذيب الكمال** (20/ 110)]

189) **تهذيب الكمال** (20/ 85)

شهور من هجرة الرسول[190]، وكان عمرها حينئذ تسع سنوات طبقا لرواية البخاري ومسلم. وهكذا يمكننا أن نصدق بسهولة السيدة عائشة حين قالت أن سورة القمر نزلت وهي جارية صغيرة تلعب في مكة ، **فهذا الكلام ينطبق على طفلة في عمر 3 او 4 سنوات. وبهذا ثبت كذب إسلام البحيري الذي زعم أن** السيدة عائشة لم تكن حينئذ قد ولدت ، أو كانت طفلة رضيعة.

أطالب إسلام البحيري بأن يعتذر أو يعتزل.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ملحوظة:

من المعروف أن الرسول عليه الصلاة والسلام **هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول،** وذلك طبقا للطبري الذي قال إن «النبي صلى الله عليه وسلم لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ- وَقَدِمَهَا فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ- أَمَرَ بِالتَّأْرِيخِ»[191]. **ودخول الرسول عليه الصلاة والسلام بالسيدة عائشة تم فى شهر شوال أو ذي القعدة من العام الأول للهجرة.** يقول الطبري عن أحداث العام الأول للهجرة: «وَفِيهَا بَنَى رَسُولِ الله لى الله عليه وسلم بِعَائِشَةَ بَعْدَ مَقْدِمِهِ الْمَدِينَةَ بِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ، فِي ذِي الْقِعْدَةِ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ، وَفِي قَوْلِ بَعْضٍ: بَعْدَ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ بِسَبْعَةِ أَشْهُرٍ، فِي شَوَّالٍ، وَكَانَ تَزَوَّجَهَا بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلاثِ سِنِينَ بَعْدَ وَفَاةِ خَدِيجَةَ وَهِيَ ابْنَةُ سِتِّ سِنِينَ، وَقَدْ قِيلَ: تَزَوَّجَهَا وَهِيَ ابْنَةُ سَبْعٍ»[192]. و**غزوة بدر الكبرى وقعت كما نعرف جميعا فى شهر رمضان من العام الثاني للهجرة.**

190) دخل الرسول عليه السلام بالسيدة عائشة فى شوال من العام الأول للهجرة. انظر: "**تاريخ الطبري**" (2/ 398)
191) "**تاريخ الطبري**" (2/ 388)
192) "**تاريخ الطبري**" (2/ 398)

عائشة ليست أهلا للقبول والرفض

ويورد إسلام البحيري شبهة أخرى قائلا:

«أخرج البخارى– باب: "لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها"– قال رسول الله: «لا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا يا رسول الله وكيف إذنها قال أن تسكت» ، فكيف يقول الرسول الكريم هذا ويفعل عكسه، فالحديث الذى أورده البخاري عن سن أم المؤمنين عند زواجها ينسب إليها أنها قالت كنت ألعب بالبنات – بالعرائس – ولم يسألها أحد عن إذنها في الزواج من النبي، وكيف يسألها وهى طفلة صغيرة جداً لا تعي معنى الزواج ، وحتى موافقتها في هذه السن لا تنتج أثرا شرعيا لأنها موافقة من غير مكلف ولا بالغ ولا عاقل».

ونحن نتساءل: من أخبر إسلام البحيري أن أبا بكر لم يستئذن ابنته في زواجها؟ لقد قلنا قبل ذلك أن **كون الروايات لم يرد فيها أن أبا بكر الصديق استأذن ابنته عائشة لا يعد دليلا على أنه لم يأخذ رأيها ، فربما أخذ رأيها ، ولم ينقله لنا الرواة ، فليس كل ما لم يُرو لم يحدث.** وربما فهم أبو بكر أن ابنته موافقة لما رأى أمارات الفرح على وجهها حين سمعته وهو يخبر أمها أن الرسول عليه السلام خطبها ، فلم يحتج لأن يسألها: "هل أنت موافقة أم لا؟" إن الحديث يقول أن مجرد صمت الفتاة معناه موافقتها على الزواج ، فما بالك إن تبسمت وفرحت؟

ثم بفرض أن أبا بكر لم يأخذ رأى ابنته فى الزواج ، فليس هذا بحجة لأن **الزواج تم فى العهد المكى قبل أن يستقر الإسلام فى المدينة ، ويبدأ الرسول عليه الصلاة والسلام فى تأسيس الدولة الإسلامية ، وبيان قوانين الشريعة التي تحكمها.** لقد كان المسلمون في مكة مطاردون وملاحقون، ولم يكن لهم دولة ، لذا لم يحتاجوا لسن قونين وتشريعات ، لكن بعد الهجرة إلى المدينة بدأت مهمة إنشاء الدولة وبيان القوانين التي تحكمها. ولهذا **فبفرض أن أبا بكر لم يستأذن عائشة فما ذلك إلا لأن الرسول عليه السلام لم يكن قد أمر المسلمين حينئذ باستئذان بناتهم قبل الزواج.** لقد كان على إسلام البحيري أن يفهم أن الشريعة الإسلامية لم تأت من السماء مرة واحدة ، بل نزلت متفرقة؛ على سبيل المثال كانت الخمر في البداية مباحة ، ثم نزل القرآن يحرمها ، فهل يجوز القول بأن المسلمين الذين كانوا يشربون الخمر قبل الهجرة سيدخلون جهنم لأن شربهم لها يتناقض مع الآية التي نزل لتحرمها بعدما هاجروا إلى المدينة؟ طبعا لا.

ثم إن كلا من القبول النفسي أو الرفض النفسي موجود لدى صغار السن كما هو عند الكبار ، بل إن الطفل في عمر عامين أو ثلاثة – وربما قبل ذلك– يميل إلى بعض الأشخاص دون بعض. ومن المعهود أن يصرخ الطفل إن رأى وجها لشخص قبيح أو مخيف ، وبالعكس يبتسم حين ينظر إلى وجه حسن يرتاح إليه. والسؤال هو: هل كان هذا القبول النفسي موجودا لدى السيدة عائشة؟ الإجابة: نعم ، **فلا يوجد أي دليل من كلامها يستشف منه أنها كانت مشمئزة أو ممتعضة من الرسول عليه الصلاة والسلام**، وكيف ذلك وهو الذي كان يأتي إلى بيتهم كل يوم منذ وعت عيناها على الدنيا كما قالت في الحديث الذي استشهد به إسلام البحيري: « لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَرَفَيِ النَّهَارِ: بُكْرَةً وَعَشِيَّةً»؟ إن الأبناء في العادة إذا رأوا آباءهم يحتفون بصديق للعائلة فإنهم يشعرون تجاهه بالألفة والأمان والمودة لأنه يتحول بالتدريج إلى واحد من الأسرة. **كذلك لو كانت ذكرى زواج السيدة عائشة ذكرى مؤلمة وقاسية لحاولت نسيانها ، أو لتكلمت عنها بأسلوب كله مرارة ، ويختلف تماما عن هذا الأسلوب المفعم بالحنين إلى الماضي.**

وما ورد في الحديث من أن السيدة عائشة خافت من الرسول عليه الصلاة والسلام «فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضُحًى»[193] ، **هذا ليس معناه الخوف ، فهو ليس أكثر من الخجل الطبيعي لأى عروس ليلة زفافها ، فقديما كان من الشائع أن نرى العروس تسير في الزفاف وهي واجمة أو مضطربة لأنها بعد قليل ستدخل مع رجل في بيت واحد ويغلق عليهما الباب.** واندثار صفة الخجل من عند أغلب البنات اليوم هو شيء غير طبيعي ، ولا يثبت بحال من الأحوال أن الرسول عليه السلام كان يمثل مصدر خوف وتهديد حقيقي لعائشة. وسنتكلم لاحقا لإبطال الزعم القائل بأن زواج السيدة عائشة من الرسول عليه السلام كان اغتصابا.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

193) روى البخاري عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي، فَوَفَى جُمَيْمَةً فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ، وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ، وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا، لاَ أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهِجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي البَيْتِ، فَقُلْنَ عَلَى الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضُحًى، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ» متفق عليه

هل كان اغتصابا؟

كان الدافع لبعض العلماء لإنكار زواج الرسول عليه الصلاة والسلام من السيدة عائشة فى سن صغير هو الرد على الهجوم الذى شنه بعض الملحدين والنصارى حين شبهوا هذا الزواج بالاغتصاب. يا لها من حماقة! حماقة من المهاجم وحماقة من المدافع.

وللرد على هذه الشبهة نقول أن الاغتصاب هو إقامة علاقة جنسية مع شخص آخر بغير رضا منه. ولا يوجد أى دليل على أن السيدة عائشة كانت ترفض الزواج من الرسول عليه الصلاة والسلام. لا يوجد ما يشير إلى ذلك ، ولو من بعيد. ومن غير المحتمل أن ترفض فتاة الزواج من رجل هو الصديق المقرب لأسرتها ، الذي يأتي إلى بيتهم صباحا ومساء كل يوم ، وقد روى البخاري عن عائشة أنها قالت: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً». من الصعب أن ترفض فتاة رجلا يثق به والديها أشد الثقة ، ويناصرانه أشد المناصرة ، ويحبانه أشد الحب.

وليس هناك ما يدل على أن السيدة عائشة كانت تكره الرسول عليه الصلاة والسلام. والحقيقة عكس ذلك تماما ، **فقد اشتهرت بغيرتها الشديدة عليه**. ومن يغار على إنسان فهو يحبه. ولعلكم تذكرون كيف اتفقت السيدة عائشة مع السيدة حفصة على أن يوهما الرسول عليه الصلاة والسلام أن رائحة كريهة تنبعث منه بعد شربه العسل فى بيت السيدة زينب بنت جحش. روى البخاري عن عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ: أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «لاَ، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ» فَنَزَلَتْ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحريم: 1]– إِلَى – {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ} [التحريم: 4] متفق عليه ، واللفظ للبخارى. **ولو كانت السيدة عائشة تكره الرسول عليه الصلاة والسلام لتمنت الطلاق منه ، ولما دبرت الخطط كى تبعده عن قلب ضرتها**[194].

---

[194]) ضَرَّةُ المَرْأَةِ: امرأَةُ زَوْجِها. والضَّرَّتان: امرأَتا الرجُلِ، كلُّ واحدَةٍ مِنْهُمَا ضَرَّةٌ لصاحِبَتِها. والجمع (ضرائِرُ). انظر معجم **"لسان العرب"** (4/ 486)

ومن المعروف أن زوجات الرسول لما طالبنه بزيادة النفقة ، ورفض الرسول عليه الصلاة والسلام، واعتزلهن شهرا ، نزل القرآن طالبا منه أن يخيرهن بين الطلاق والبقاء معه ، فاستدعى السيدة عائشة ليعرض عليها الأمر ، ويدعوها إلى استشارة أبيها قبل أن تتخذ قرارا ، **فرفضت السيدة عائشة الطلاق، واختارت دون تردد البقاء مع الرسول عليه السلام:** روى البخارى ومسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهَا حِينَ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّرَ أَزْوَاجَهُ، فَبَدَأَ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، فَلا عَلَيْكِ أَنْ لا تَسْتَعْجِلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ» وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ} [الأحزاب: 28] " إِلَى تَمَامِ الآيَتَيْنِ، فَقُلْتُ لَهُ: فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ)

كما كانت السيدة عائشة تتفاخر دائما بعد وفاة الرسول بأنها كانت زوجته المقربة المحبوبة ، ومن دلائل ذلك أنه فى مرضه الأخير كان يود أن يبقى فى بيتها ، وأنه مات بين يديها ، فقد روى عُروة أن عَائِشَةَ قَالَتْ: [إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ: «أَيْنَ أَنَا اليَوْمَ، أَيْنَ أَنَا غَدًا» اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي، قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَدُفِنَ فِي بَيْتِي]. متفق عليه، واللفظ للبخاري. وقوله (بين سحرى ونحرى) يعنى: (بين صدرى وعنقى)

وروى البخارى عن أَبِي عَمْرٍو ذَكْوَانَ أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ: [إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ» فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ» فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ – يَشُكُّ عُمَرُ – فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ]

(فأمرَّه): أي أمرَّه على أسنانه. (ركوة): وعاء من جلد. (يشك عمر): يشك الراوي ، أى لا يذكر الراوي هل قالت ركوة أم علبة. (سكرات): شدائد

وروت السيدة عائشة أيضا كيف غارت زوجات النبى يوما من محبته لها، فأرسلن ابنته فاطمة ثم السيدة زينب بنت جحش للوساطة: روى مسلم أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: [أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي، فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، وَأَنَا سَاكِتَةٌ، قَالَتْ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَيْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟» فَقَالَتْ: بَلَى، قَالَ «فَأَحِبِّي هَذِهِ» قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ، وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْنَ لَهَا: مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاللهِ لَا أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ، فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ. وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا، تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ، قَالَتْ: فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا، عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ وَقَعَتْ بِي، فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ، وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ، هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا، قَالَتْ: فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ، قَالَتْ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا حَتَّى أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَتَبَسَّمَ إِنَّهَا «ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ»]

(العدل في ابنة أبي قحافة): أن يعدل الرسول بين عائشة بنت أبى بكر بن أبى قحافة وبقية نسائه. (تساميني): تعادلني في المكانة. (سورة) سرعة الغضب. (من حد): شدة الخلق وثورانه. (الفيئة): الرجوع، ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف إلا أن فبها شدة خلق وسرعة غضب ، لكن إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعا ولا تصر عليه. (ثم وقعت بي): نالت مني بالوقيعة في. (لم أنشبها): لم أمهلها. (أنحيت عليها): قصدتها واعتمدتها بالمعارضة[195]

[195]) انظر تعليق محمد فؤاد عبد الباقى على صحيح مسلم

ومن الأمور التي تنفى تماما شبهة الاغتصاب عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه تزوج إحدى النساء، فلما دخل عليها نفرت منه، واستعاذت بالله منه ، فلم يُكرهها الرسول على العيش معه، وطلقها ، وأعادها إلى أهلها مكرمة ، ومعها هدية. والقصة رواها البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ "ابْنَةَ الْجَوْنِ لَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَنَا مِنْهَا قَالَتْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ فَقَالَ لَهَا لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ الْحَقِي بِأَهْلِكِ". وروى البخاري أيضا عن أَبِي أُسَيْدٍ قَالَ: [تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَيْمَةَ بِنْتَ شَرَاحِيلَ فَلَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَكَأَنَّهَا كَرِهَتْ ذَلِكَ فَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدٍ أَنْ يُجَهِّزَهَا وَيَكْسُوَهَا ثَوْبَيْنِ رَازِقِيَّيْنِ]. وفى لفظ آخر للبخاري عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم [قَدْ أُتِيَ بِالْجَوْنِيَّةِ، فَأُنْزِلَتْ فِي بَيْتٍ فِي نَخْلٍ فِي بَيْتِ أُمَيْمَةَ بِنْتِ النُّعْمَانِ بْنِ شَرَاحِيلَ، وَمَعَهَا دَايَتُهَا حَاضِنَةٌ لَهَا، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «هَبِي نَفْسَكِ لِي» قَالَتْ: وَهَلْ تَهَبُ المَلِكَةُ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ؟ قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتَسْكُنَ، فَقَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فَقَالَ: «قَدْ عُذْتِ بِمَعَاذٍ» ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «يَا أَبَا أُسَيْدٍ، اكْسُهَا رَازِقِيَّتَيْنِ، وَأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا»]

وأي رجل مكان الرسول كان يمكن أن يثور بسبب نفور امرأة منه بهذا الشكل الفج ، خاصة أنه كان زعيم الجزيرة العربية ، الذي يخطب وده جميع الناس. **إن أي رجل طبيعي لو أصر على نيل حقه من زوجته ليلة الدخول بها لما اندهش أحد ، ولكنه صلى الله عليه وسلم كان أسمى خلقا من الرجال الطبيعيين، فكيف يتهم رجل كريم كهذا باغتصاب السيدة عائشة مع أنه لا يوجد دليل على أنها كانت تكرهه** ، بل بالعكس تشير كل الدلائل إلى أنها كانت شديدة الحب له؟

المسألة محسومة ، والكلام فيها مضيعة للوقت. أما من أنكر من المسلمين الروايات الثابتة بدافع مقاومة هذه الافتراءات التى ساقها أهل الكتاب فهو – بفرض حسن نيته– لا يقل حماقة ، فبدلا من أن يفند ادعاءاتهم – وهذا أمر يسير– أنكر القصة من الأساس ، فهو يشبه رجلا فاضلا ابن رجل فاضل سبه ذات يوم أحد الرعاع قائلا: "يا ابن اللص"، فبدلا من أن يقول له: "أبى ليس لصا، وهاك الدليل على نزاهته" ، إذا به يقول له: "هذا الرجل ليس أبى!"

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الباب الرابع: اتهام الرسول بالميل الجنسي للأطفال (البيدوفيليا)

من التهم التى يفرح بها الملحدون والنصارى، ويداومون على ترديدها ، كالطفل الذي يمسك لعبة القول بأن زواج الرسول عليه الصلاة والسلام من السيدة عائشة فى سن صغيرة دليل على وجود انحراف نفسي وسلوكى فى شخصيته ، وهذا هو ما يسميه العلماء "بيدوفيليا" Pedophilia، أى ميل الرجل جنسيا إلى الأطفال. وهذا الميل قد يكون على شكل اتصال جنسي حقيقي مع طفل أو على شكل خيالات ورغبات ودوافع ملحة متكررة ، لا يستطيع الشخص كبتها ومقاومة إلحاحها. والتعريف الرسمي للبيدوفيليا كما ورد فى الطبعة الخامسة من "الكتاب التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية[196،197] يتضمن الآتي:

1. أن يميل الشخص جنسيا تجاه أطفال أعمارهم 13 عاما أو أقل.
2. لكي يعتبر الشخص مصابا بالبيدوفيليا فيجب أن يكون عمره 16 عاما أو أكثر، وأن يكون هناك فارق قدره خمس سنوات أو أكثر بينه وبين الطفل الذي يميل إليه.
3. ألا يكون هذا الميل الجنسى عابرا ، وأن يستمر لدى الشخص لفترة ستة أشهر أو أكثر.

وأول ملاحظة نبديها على هذا التعريف هو أنه تعريف سياسي أو أيديولوجي، وليس تعريفا علميا، فاعتبار أن عمر 13 عاما هو الخط الفاصل بين الطفل وغير الطفل لا علاقة له بالعلم لأن بداية ظهور علامات البلوغ بشكل طبيعي تختلف من شخص لآخر. والحقيقة أن سن 13 عاما يمثل من الناحية الطبية السن الذي يعتبر بعده البلوغ متأخرا لدى البنات. والبلوغ الطبيعى من الناحية الطبية يمكن أن يبدأ فى سن 8 سنوات لدي الإناث ، وسن 9 سنوات لدى الذكور[198]. **وإذا كان ظهور علامات الأنوثة قبل سن 13 عاما هو الطبيعي، وتأخر ظهور علامات الأنوثة بعد سن 13 غير طبيعي من وجهة نظر الطب** فكيف يتم تعريف البيدوفيليا بناء على سن 13 عاما؟ **هذا التعريف يعبر عن قناعات المجتمع الدولي والمنظمات الدولية ، وليس عن العلم. إننا نطلب بإعادة تعريف البيدوفيليا بحيث لا يتم ربطها بسن معين ، بل تربط فقط بظهور علامات البلوغ،**

196) **Pedophilic disorders**. Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders, Fifth edition (DSM-V). Page 697-700. American Psychiatric Publishing. Washington DC. Copyright © 2013 American Psychiatric Association
197) **Perrotta** G. Pedophilia: definition, classifications, criminological and neurobiological profiles, and clinical treatments. A complete review. Open J Pediatr Child Health. 2020; 5(1): 019-026.
198) **Disorders of Pubertal Development**. By Luigi R. Garibaldi, Wassim Chemaitilly. Nelson Textbook of Pediatrics. (Editors: Robert M. Kliegman et al). Chapter 578. 21st edition. Elsevier.

فإن كان لدي البنت علامات البلوغ اعتبر الميل إليها ميلا عاطفيا طبيعيا ، وإن لم يكن لدى البنت علامات بلوغ اعتبر الميل إليها من رجل كبير بيدوفيليا.

وإن تساءل جاهل: "كيف تعادى الطب ، وترفض تعريفا عالميا متفق عليه؟" قلنا له إن تعريفات الأمراض في الطب– بما في ذلك الأمراض النفسية– ليست ثابتة ، بل تتغير من حين لآخر طبقا للمعطيات العلمية الجديدة ، وهذا شيء معروف للجميع.

وإذا تأملنا التعريف السابق للبيدوفيليا لوجدنا أنه **لا يعتبر أن من قبيل البيدوفيليا إقامة علاقة جنسية بين فتاة أقل من 13 عاما وصديق لها في نفس العمر أو أكبر منها بأقل من خمس سنوات**. وهنا يفكر العلمانيون بطريقة غريبة ، إذ يعتبرون أن العلاقة بين مراهق ومراهقة متقاربين في السن لا تدخل في باب البيدوفيليا ، ولا يتخذون إجراءات جادة لمنعها ، بل بالعكس تجدهم أقرب إلى مباركة زنا المراهقين ، ويعتبرونه من قبيل الحب أو الحرية ، ويتناسون تماما ما يقولونه في مواقف أخرى من أن هذه طفلة صغيرة ، ولم تنضج بما يكفي لتكون مؤهلة للدخول في علاقة جنسية. أما زواج رجل في العشرين أو الثلاثين من فتاة صغيرة ، زواجا شرعيا ، برضا من الفتاة، فهذا في نظرهم عار على البشرية. ما هذه الوقاحة؟

وعلى ذلك فزواج الرسول عليه الصلاة والسلام في رأينا أمر لا غبار عليه لأن تعريف البيدوفيليا الموجود حاليا لا يلزمني كطبيب ، ولا كمسلم ، ولا كإنسان عاقل. الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ماذا يقول الطب؟

إذا ذهبنا للطب لوجدنا أنه لا ينفى أن تكون السيدة عائشة قد وصلت إلى سن البلوغ ، وظهرت عليها علامات الأنوثة والشباب في سن التاسعة ، فمن المعروف أن هناك من البنات من تبلغ أسرع من قريناتها، وهذا شأن الناس في كل السمات، فهم يختلفون فيما بينهم في الطول والوزن والذكاء وضغط الدم ومعدل نبضات القلب وعدد كرات الدم الحمراء ومستويات الهرمونات. وهذه الاختلافات طبيعية فى الغالب ، لكن إن اختلف البعض بدرجة شديدة عن أغلب الناس فهذا ليس اختلافا طبيعيا. والبلوغ ليس استثناء من هذا. **وبالنسبة لسن البلوغ لدى البنات فهو يعد طبيعيا**

طالما بدأت علامات البلوغ فى الظهور بعد سن الثامنة من العمر، أما قبل الثامنة فهذا يسمى بلوغا مبكرا Precocious puberty . العلم يقول لنا أن الفتاة الطبيعية قد تبلغ فى سن الثامنة. والعلم يعترف أيضا بأن سن البلوغ قد يختلف من مجتمع لمجتمع ، ومن عصر لعصر، فيتقدم أو يتأخر حسب عوامل وراثية وعرقية عديدة. فمثلا فى الولايات المتحدة تظهر علامة واحدة على الأقل من علامات البلوغ لدى 95% من الفتيات عند سن 12 عاما. وعند سن 13 عاما تكون علامة واحدة على الأقل قد ظهرت لدى 99% من الفتيات[199]. إذن – طبقا لرأى العلم– من المحتمل أن تكون السيدة عائشة قد وصلت إلى مرحلة البلوغ وهى فى التاسعة حين تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم.

وما روى من أن عائشة كانت تلعب بالعرائس هى وصاحباتها وهى متزوجة من الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقطع بأن عائشة كانت طفلة ، فكلنا نعرف أن الفتيات لديهن ميل للعب دور الأم وتقمص هيئة ربة البيت ، وكثير من البنات البالغات تظل الواحدة منهن تلعب بالعرائس حتى وهى كبيرة فى المرحلة الثانوية أو الجامعية. ولينظر كل منا إلى بناته ليدرك صدق ما أقول. ومن العادات التي انتشرت في بلادنا في السنوات الأخيرة إهداء الخطيب لخطيبته هدية على شكل حيوان "الدب". وظاهرة "الدباديب" كما يسمونها الآن تقدم دليلا عمليا على أن من الممكن لفتاة كبيرة ناضجة أن تلعب بالدمية مثلما كانت تفعل السيدة عائشة.

لنقل بوضوح أن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج من عائشة وهى حقا صغيرة، لكنها لم تكن أبدا طفلة. إننا لا ندعو لزواج الأطفال، ولكننا ندعو للزواج طالما وصلت الفتاة أو وصل الفتى إلى سن البلوغ.

إن الرجل الطبيعي ينجذب للمرأة إن بدت عليها علامات الأنوثة والجمال والبلوغ، أما الرجل الذي لديه ميول جنسية منحرفة تجاه الأطفال فهو يرغب في الفتاة دون أن يكون لديها علامات البلوغ والأنوثة المعروفة. وفرق كبير بين الاثنين.

إن الفكرة المحورية هنا هي أن العبرة ليست بالسن ، بل بظهور علامات البلوغ لدى الفتاة ، فإن بدت عليها أمارات البلوغ والأنوثة لم يكن هناك عيب في أن تتزوج حتى لو كانت صغيرة لأنها

199) **Disorders of Pubertal Development**. By Luigi R. Garibaldi, Wassim Chemaitilly. Nelson Textbook of Pediatrics. (Editors: Robert M. Kliegman et al). Chapter 578. 21st edition. Elsevier.

ستشبع رغبة زوجها بشكل طبيعي مثل أي امرأة كبيرة ، كما أنها أصبحت محتاجة لإشباع رغبتها الجنسية والعاطفية ، ومن الظلم أن نعاملها كطفلة ، بينما تفكيرها قد صار مثل النساء الكبار.

والآن **إن استطعنا أن نثبت أن من الممكن للفتاة أن تكون متمتعة بأنوثة كاملة في سن التاسعة، فستكون هذه براءة كاملة للرسول** عليه الصلاة والسلام. وأي طبيب يعرف جيدا أن من الشائع للفتاة أن تبلغ في سن التاسعة ، **لكننا سنقدم من أجل القاريء غير المتخصص نماذج لنساء من مختلف أنحاء العالم وصلن إلى قمة النضج الجنسي المتمثل في الحمل والولادة ، وكان بعضهن أصغر من السيدة عائشة.** وهذا يجعل من غير الممكن الجزم بأن السيدة عائشة كانت طفلة وقت دخول الرسول بها ، فمن المحتمل جدا أن علامات البلوغ قد ظهرت عندها بشكل مبكر نسبيا.

أورد موقع ميرور Mirror المعروف[200] خبرا عن **فتاة مكسيكية اعتُبرت واحدة من أصغر الأمهات فى العالم بعد أن ولدت في سن "تسع" سنوات فقط.** وقد وضعت الصغيرة – التى تدعى دافين– مولودة وزنها ستة أرطال فى مستشفى زوكويبان Zoquipan Hospital فى ولاية جاليسكو الغربية western Jalisco state فى المكسيك. لكن هذه الأم الصغيرة هى فى الواقع أكبر بأربع سنوات من أصغر أم فى تاريخ الطب ، والتى كان عمرها خمس سنوات فقط حين وضعت مولودا. وأوردت الصحيفة قائمة بأصغر الأمهات في العالم:

1- "**لينا ميدينا**" Lina Medina – من تيكرابو Ticrapo فى بيرو– وضعت مولودا ذكرا بعملية قيصرية ، وكان عمرها حينئذ خمس سنوات وسبع شهور فى عام 1939م. وقد ظن والديها في البداية أن لدى ابنتهم ورما ، ولكن لما أخذوها إلى المستشفى علموا أنها حامل فى الشهر السابع.

2- **يليزافيتا "ليزا" جريشينكو** Yelizaveta "Liza" Gryshchenko: كانت قد أكملت لتوها عمر السادسة حين وضعت أنثى ميتة فى الاتحاد السوفيتى عام 1934م. وكان أبو المولود جد الطفلة لأمها البالغ من العمر 69 عاما. وقد هاجرت العائلة بعد الفضيحة.

200) **Babies having babies: A new mum aged NINE and the world's youngest mothers in medical history**. By Natalie Evans. 6 Feb 2013; https://www.mirror.co.uk/news/weird-news/worlds-youngest-mum-top-10-1589383. Accessed October 5, 2021.

3- طفلة عمرها ست سنوات يرمز لاسمها ب "H" وضعت أنثى بعملية قيصرية فى يونيو من عام 1972م فى دلهى بالهند. وقد دخلت الطفلة إلى المستشفى فى البداية لما كان يعتقد أنه ورم فى البطن ، لكن تبين أنه حمل.

4- توفيت فتاة هندية مجهولة هى وطفلة أثناء الولادة فى أغسطس من عام 1933م. وكان عمرها فقط ثمان سنوات.

5- "**جريزيلدينا أكيونا**" Griseldina Acuña من كولومبيا: قيل أن الحيض جاءها فى سن الثالثة ، ووضعت مولودا ذكرا في عام 1936م، وعمرها 8 سنوات وشهران. ويعتقد أن والد الطفل أحد أصدقاء العائلة.

6- "**موم-زى**" Mum-Zi -من جزيرة كالابار Calabar فى نيجيريا- أصبحت أما وعمرها 8 سنوات و4 شهور، وذلك فى أغسطس من عام 1884م. وقد وضعت ابنتها أيضا مولودا فى سن صغيرة جدا، بحيث أصبحت مومى-زى جدة فى عمر 17 عاما. وكان الاثنان من جوارى الزعيم أكيرى Chief Akkiri.

7- اكتشف أن فتاة كولومبية حامل بعد أن لاحظ أحد رجال الشرطة كبر بطنها، واشتبه فى أنها تهرب المخدرات. وقد أظهرت الأشعة أن الفتاة حامل فى 32 أسبوعا، ووضعت مولودا وعمرها 8 سنوات و5 شهور، وذلك فى عام 2004م.

8- "**أنَّا**" 'Anna ولدت وعمرها حينئذ 8 سنوات و7 شهور. وكان الأب جارها البالغ من العمر 13 عاما.

9- **هيلدا تروجيللو** Hilda Trujillo من بيرو استقبلت بترحاب الابنة ماريا ديل روزاريو Maria del Rosario فى عام 1957م حين كان عمرها 8 سنوات و7 شهور. وكان والد الطفل هو ابن العم البالغ من العمر 22 عاما ، الذى اغتصبها، وقبض عليه لاحقا.

10- "**زى**" Zi : هى ابنة الأم زى Mum-Zi ، وقد وضعت مولودا، وعمرها 8 سنوات و8 شهور، وذلك فى عام 1893م. وكان والد الطفل الزعيم أكيرى كما قلنا من قبل.

إن أغلب الناس اليوم حين يسمعون بزواج فتاة في سن التاسعة أو العاشرة يصابون بالصدمة، ويعتبرون هذا عملا شاذا. بيد أننا نؤكد أن هذا تسرع معيب في الحكم على الأمور لأن **هناك**

فتيات كثيرات يصلن إلى النضج الجنسي في هذه السن. وقمة علامات البلوغ هي حدوث الحيض والحمل. ومن حاضت وحملت فهي لم تعد طفلة مهما كان عمرها.

ونحن نستثنى من هؤلاء أولئك الفتيات المصابات **بمرض معروف ، اسمه "البلوغ المبكر"** Precocious puberty، وهو يُعَرف طبيا على أنه بدء ظهور علامات البلوغ على البنت **قبل سن ثمان سنوات** ، ويكون سببه اضطرابات في الهرمونات نتيجة أمراض شتى. **ورغم أن هؤلاء الأطفال يكون لديهن علامات البلوغ إلا أن تزويجهن في هذا السن خطأ فادح ، بل يجب علاجهن باستخدام حقن توقف عملية البلوغ ، وتردهن لحالة الطفولة ، وذلك لأن البلوغ المبكر يؤدي إلى نمو سريع للجسم ، يعقبه توقف مبكر للنمو ، فتبقى الفتاة قصيرة القامة مدى الحياة. ولا شك أن السيدة عائشة لم تكن من هذا النوع من المرضى لأنها لم تكن قصيرة القامة بشكل لفت انتباه أحد من المؤرخين أو الرواة.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الزواج غير الدخول

ذهلت حين قابلت بعض الشباب الذين قرأوا قول السيدة عائشة: «تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ» ، **ففهموا منه أن الرسول عليه السلام تزوج السيدة عائشة زواجا كاملا، وجامعها في سن السادسة ، فلعبت برءوسهم الوساوس لأن هذا سن صغير جدا.** وكان عليَّ أن أوضح لهم أن عاداتنا اليوم تختلف عن العادات في الماضي ، فاليوم هناك فترة خطبة ، يعقبها الزواج ، أما في الماضي فلم تكن هناك خطبة ، بل كان هناك "زواج" ، يعقبه "دخول" أو "بناء" ، أي أن **الرجل كان يعقد عقد الزواج ، ولكن زوجته تبقى في بيت أهلها دون أن يقترب منها ، حتى يحين موعد الدخول ، فتزف إليه ، ويأخذها لبيته ، ويجامعها.** وهذا الكلام معناه أن الأحاديث التي تقول عن السيدة عائشة أن الرسول عليه السلام "**تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ**" أو "**نَكَحَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ**" يقصد بها أنه عقد عليها ، ولكنها بقيت في بيت أبيها دون أن يمسها إلى أن زفت إليه ، وذهبت إلى بيته في سن تسع سنوات. وهذا الكلام واضح ، ولكن الشباب اليوم لا يعرفون شيئا عن الإسلام ، ولهذا يقعون في أخطاء فادحة بسبب قلة الثقافة الدينية.

ولهؤلاء المساكين نؤكد كلامنا من خلال آية من القرآن تذكر أن الرجل يمكن أن يطلق زوجته قبل أن يمسها أو يجامعها ، وهذا يعنى أن الزواج يختلف عن الدخول والجماع: {**لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً** وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (236) **وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً** فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ...} [البقرة: 236، 237].

وهكذا فالرجل في الماضي كان من الممكن أن يتزوج امرأة ، ثم يطلقها قبل الدخول بها. ومن الأمثلة على ذلك أَنَّ «جُبَيْرَ بنَ مُطْعِمٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً ، فَسَمَّى لَهَا صَدَاقَهَا ، ثُمَّ طَلَّقَهَا قَبْلَ الدُّخُوْلِ، فَتَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: {إِلاَّ أَنْ يَعْفُوْنَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةَ النِّكَاحِ} [البَقَرَةُ: 237] »[201]

لكن لماذا تقدم الرسول عليه السلام للزواج من السيدة عائشة فى سن ست سنوات؟ لماذا لم ينتظر حتى تصل إلى تسع سنوات كى يتزوجها؟

والإجابة على هذا السؤال بسيطة ، وهى أن النتيجة واحدة لأن عائشة كانت ستزف إليه فى نفس السن (تسع سنوات). ثانيا فى أيامنا هذه كثيرا ما يجد الإنسان أمامه فتاة ممتازة ، لكنه لا يقدر على الدخول بها فى التو لأنها على سبيل المثال لم تكمل دراستها ، أو لأنه لم يجهز شقته ، أو لم يكمل المهر، فيكون الحل أن يخطبها ، حتى إذا اكتمل استعداد الطرفين تم الزفاف. وبالمثل **وجد الرسول عليه الصلاة والسلام أن عائشة فتاة ممتازة ، وأباها صديقه المقرب، وأهلها أناس طيبين، فسارع إلى طلبها للزواج قبل أن يتزوجها رجل آخر ، لكنه أجل الزواج حتى تصل الفتاة إلى سن البلوغ** ، فتطبيق الجماع. الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

التفكير المقلوب

تهمة البيدوفيليا التى يصرون على إلصاقها بالرسول عليه الصلاة والسلام تمثل شكلا من أشكال التفكير المقلوب ، فهو يذكرنى برجل أمامه طريق سلس مستقيم، وطريق آخر وعر ضيق ، فاختار الطريق الوعر!

201) "**سير أعلام النبلاء**" للذهبي (3/ 98)

إن الغالبية العظمي من الرجال لا تغريهم البنات الصغار إلا إذا بدأت تظهر عليهن علامات البلوغ والأنوثة. **والمرأة المكتملة الأنوثة فى ملامح وجهها وشكل جسدها وطريقة كلامها هى النموذج المثالي الذي ينشده أغلب الرجال. والدليل على ذلك أن البنات في سن الطفولة في العالم المتحضر يقلدن النساء البالغات** في الملابس ومساحيق التجميل (المكياج) وطريقة تصفيف الشعر وطريقة الكلام ، وهذا دليل دامغ على أن المرأة الناضجة هي النموذج الكامل في نظر الرجال. ولو كان العكس هو الصحيح لقلدت النساء الكبار الأطفال كي يلفتن أنظار الرجال.

وكلما كانت الفتاة الصغيرة أكثر شبها بالمرأة البالغة ازداد انجذاب الرجال إليها ، تماما مثلما يقبل كل الناس على الفاكهة الناضجة ، ويزهدون في الفاكهة قبل نضجها. هذا حال الجمهرة العظمى من الرجال ، ومع ذلك لا ننكر وجود قلة قليلة أو نادرة تشعر بميل جنسي للبنات ، وهن أطفال.

وعلى ذلك فإن سمعنا أن رجلا أعجب بفتاة عمرها تسع سنوات فإن الاحتمال الأكبر هو أن هذه الفتاة ظهرت عليها علامات البلوغ مبكرا، ولهذا لفتت انتباهه. وسيكون الاحتمال الأصغر أن الفتاة لا تزال طفلة ، وأن الرجل انجذب إليها لأنه مريض بالبيدوفيليا. لقد كان المتوقع من كل إنسان لديه ذرة من العقل أن ينأى بتفكيره عن تهمة البيدوفيليا وهو يفكر فى زواج الرسول عليه السلام من السيدة عائشة ، أو على الأقل يعتبر أن احتمال النضوج المبكر للسيدة عائشة مساو لاحتمال البيدوفيليا. ولكن الذي حدث أن جحافل الملحدين والنصارى واليهود ألقوا بالتهمة على الرسول بكل سرعة وثقة ، وكأن هذا هو الاحتمال الوحيد الذي لا بديل له. حقا إنه عصر الحمقى.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الزواج المبكر ظاهرة عالمية

لم يخترع الرسول عليه الصلاة والسلام عادة الزواج بالصغيرات، فقد كانت هذه عادة العرب في عصره ، بل كانت عادة العالم شرقه وغربه حتى القرن العشرين. وبالنسبة لي ، فقد نشأت في قرية مصرية ، وكنا نسمع من آبائنا وأجدادنا أن الفتيات يتزوجن في سن 12 و 14 عاما طالما ظهرت عليهن علامات البلوغ. كما كان الرجال أيضا يتزوجون في سن صغير. وكانت القاعدة هي: من استطاع أن يتزوج فليتزوج . وتلك هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

ومن السخيف فعلا أن يحاول المرء البرهنة على انتشار زواج الصغار في الماضي لأن هذا أمر معروف ، ولكن ماذا نفعل ، والجيل الجديد من الشباب ولد في عالم مختلف تماما عما ألفته البشرية عبر تاريخها ، ومن الصعب على كثير منهم أن يصدقوا أن الفتيات كن يتزوج قديما في التاسعة والعاشرة ، ولهذا سنقدم لهم الآن أدلة على وجود هذه الظاهرة. وليكن هذا من قبيل التوثيق لأن أجيال المستقبل ستكون في الغالب أكثر جهلا من أجيال الحاضر.

وفى البداية نقدم أرقاما ، وردت فى تقرير للأمم المتحدة[202] ، يظهر كيف قل معدل إنجاب النساء الصغيرات في الستين سنة الأخير، وهذا يعنى أن كوننا لا نشاهد زواج الصغيرات اليوم كثيرا فليس هذا دليلا على أنه كان في الماضى قليل الحدوث. يقول التقرير أنه في عام 1950–1955م كان معدل إنجاب المراهقات هو 170 ولادة لكل ألف فتاة عمرها 15–19 عاما كل عام. أما في عام 2010 فقد انخفض المعدل إلى 106 ولادة في الألف. أرجو من كل شاب أن يتذكر هذه الأرقام قبل أن يتهم الرسول عليه الصلاة والسلام في أخلاقه. فإذا كان المعدل قد انخفض بهذا الشكل الكبير في ستين عاما فقط ، فما بالك بالوضع منذ 1400 سنة؟

وقد أجريت بحثا في موسوعة "قصة الحضارة" لويل ديورانت –مستخدما كلمة "تزوجتْ"– فوجدت في مواضع كثيرة كلاما عن زواج الفتيات الصغيرات ، لكنى لم أقرأ أبدا إدانة من المجتمعات القديمة له. حقا قرأت في الموسوعة عن نساء تزوجن في العشرينات والثلاثينات من العمر، لكن عددهن كان أقل ممن تزوجن في سن صغير ، والأهم أنه لا أحد في عصرهن أشاد بتأخرهن في الزواج. فلنقدم الآن أمثلة على الزواج المبكر لدى مختلف الشعوب:

العرب

لم يبتدع الرسول عليه الصلاة والسلام الزواج بالصغيرات ، فقد كانت هذه عادة العرب في هذا الزمان. **والمفاجأة التي تصدم الكثيرين هي أن السيدة عائشة كانت مخطوبة قبل زواجها بالرسول عليه الصلاة والسلام،** فقد روى الطبري وأحمد وغيرهم أن خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ ذهبت إلى بيت أبى بكر تخطب عائشة للرسول عليه الصلاة والسلام ، فقالت لأمها (أم رومان): «أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ

202) **Girlhood, not motherhood: Preventing adolescent pregnancy**. Published by the United Nations Population Fund UNFPA, New York Prepared for UNFPA by: Robert W. Blum and William H. Gates, Sr. 2015

أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَتْ أم رومان: وَدِدْتُ! انْتَظِرِي أَبَا بكر، فانه آت، فجاء أبو بكر، قالت: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ! أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَ: وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ، إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَخِيهِ! فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: ارْجِعِي إِلَيْهِ، فَقُولِي لَهُ: أَنْتَ أَخِي فِي الإِسْلامِ، وَأَنَا أَخُوكَ، وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي؟ فَأَتَتْ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: انْتَظِرِينِي حَتَّى أَرْجِعَ، فَقَالَتْ أُمُّ رُومَانَ: **إِنَّ الْمُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَى ابْنِهِ، وَلا وَاللَّهِ مَا وَعَدَ شَيْئًا قَطُّ فَأَخْلَفَ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مُطْعِمٍ، وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ ابْنِهِ الَّذِي كَانَ ذكرها عليه، فقالت العجوز: يا بن أَبِي قُحَافَةَ، لَعَلَّنَا إِنْ زَوَّجْنَا ابْنَنَا ابْنَتَكَ أَنْ تَصْبِئَهُ وَتُدْخِلَهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ! فَأَقْبَلَ عَلَى زَوْجِهَا الْمُطْعِمِ، فَقَالَ: مَا تَقُولُ هَذِهِ؟ فَقَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ ذَاكَ قَالَ: فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ، وَقَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ الْعِدَةَ الَّتِي كَانَتْ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَتِهِ الَّتِي وَعَدَهَا إِيَّاهُ**، وَقَالَ لِخَوْلَةَ: ادْعِي لِي رَسُولَ اللَّهِ، فَدَعَتْهُ فَجَاءَ فَأَنْكَحَهُ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ ابْنَةُ سِتِّ سِنِينَ»[203].

وهذه القصة تثبت أن **زواج الصغيرات كان ثقافة مجتمع، وليس ميلا جنسيا منحرفا لدى الرسول.**

203) **"تاريخ الطبري"** (3/ 162). ورى القصة الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن: [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ، وَيَحْيَى، قَالَا: لَمَّا هَلَكَتْ خَدِيجَةُ، جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تَزَوَّجُ؟ قَالَ: " مَنْ؟ " قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا، وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا؟ قَالَ: " فَمَنِ الْبِكْرُ؟ " قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: " وَمَنِ الثَّيِّبُ؟ " قَالَتْ: سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، آمَنَتْ بِكَ، وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا تَقُولُ "، قَالَ: " فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ "، فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أُمَّ رُومَانَ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: انْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى يَأْتِيَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَ: وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ؟ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَخِيهِ، فَرَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: " ارْجِعِي إِلَيْهِ فَقُولِي لَهُ: " أَنَا أَخُوكَ، وَأَنْتَ أَخِي فِي الْإِسْلَامِ، وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي "، فَرَجَعَتْ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: انْتَظِرِي وَخَرَجَ، قَالَتْ أُمُّ رُومَانَ: **إِنَّ مُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَدْ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَى ابْنِهِ**، فَوَاللهِ مَا وَعَدَ وَعْدًا قَطُّ، فَأَخْلَفَهُ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ الْفَتَى، فَقَالَتْ يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ لَعَلَّكَ مُصْبِئُ صَاحِبَنَا مُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، إِنْ تَزَوَّجَ إِلَيْكَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ: أَقَوْلُ هَذِهِ تَقُولُ، قَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ ذَلِكَ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، وَقَدْ أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَتِهِ الَّتِي وَعَدَهُ فَرَجَعَ، فَقَالَ لِخَوْلَةَ: ادْعِي لِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَتْهُ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ **وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ**، ثُمَّ خَرَجَتْ فَدَخَلَتْ عَلَى سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، فَقَالَتْ: مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَتْ: مَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْطُبُكِ عَلَيْهِ، قَالَتْ: وَدِدْتُ ادْخُلِي إِلَى أَبِي فَاذْكُرِي ذَاكَ لَهُ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، قَدْ أَدْرَكَتْهُ السِّنُّ، قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَحَيَّتْهُ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ: خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ، قَالَ: فَمَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَخْطُبُ عَلَيْهِ سَوْدَةَ، قَالَ: كُفْءٌ كَرِيمٌ، مَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُكِ؟ قَالَتْ: تُحِبُّ ذَاكَ، قَالَ: ادْعُهَا لِي فَدَعَتْهَا، فَقَالَ : أَيْ بُنَيَّةُ إِنَّ هَذِهِ تَزْعُمُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَرْسَلَ يَخْطُبُكِ، وَهُوَ كُفْءٌ كَرِيمٌ، أَتُحِبِّينَ أَنْ أُزَوِّجَكِ بِهِ، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ : ادْعِيهِ لِي، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، فَجَاءَهَا أَخُوهَا عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ مِنَ الْحَجِّ، فَجَعَلَ يَحْثِي عَلَى رَأْسِهِ التُّرَابَ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ: لَعَمْرُكَ إِنِّي لَسَفِيهٌ يَوْمَ أَحْثِي فِي رَأْسِي التُّرَابَ أَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ مِنَ الْخَزْرَجِ فِي السُّنْحِ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَلَ بَيْتَنَا وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَنِسَاءٌ فَجَاءَتْ بِي أُمِّي وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ بَيْنَ عَذْقَيْنِ تَرْجَحُ بِي، فَأَنْزَلَتْنِي مِنَ الْأُرْجُوحَةِ، وَلِي جُمَيْمَةٌ فَفَرَقَتْهَا، وَمَسَحَتْ وَجْهِي بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ تَقُودُنِي حَتَّى وَقَفَتْ بِي عِنْدَ الْبَابِ، وَإِنِّي لَأَنْهَجُ حَتَّى سَكَنَ مِنْ نَفْسِي، ثُمَّ دَخَلَتْ بِي فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ فِي بَيْتِنَا، وَعِنْدَهُ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَجْلَسَتْنِي فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُكِ فَبَارَكَ اللهُ لَكِ فِيهِمْ، وَبَارَكَ لَهُمْ فِيكِ، فَوَثَبَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، فَخَرَجُوا وَبَنَى بِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِنَا، مَا نُحِرَتْ عَلَيَّ جَزُورٌ، وَلَا ذُبِحَتْ عَلَيَّ شَاةٌ، حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِجَفْنَةٍ كَانَ يُرْسِلُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَارَ إِلَى نِسَائِهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ ". وهذا **إسناد حسن**، من أجل محمد بن عمرو، وهو ابنُ عَلْقَمَة بن وقَّاص، وقد روى له البخاري مقروناً، ومسلمٌ متابعة، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير يحيى، وهو ابن عبد الرحمن بن حاطب، فمن رجال مسلم، وهو ثقة. محمد بن بشر: هو العَبْدي، وأبو سلمة: هو ابنُ عبد الرحمن بن عوف. وقد وهم الهيثميُّ في "مجمع الزوائد" ، فظن أن أكثر الحديث مرسل، وبعضه متصل، وإنما هو متصلٌ كله، وأشار أبو سلمة ويحيى إلى اتصاله قبل نهاية الحديث عند قولهما: قالت عائشة. فظهر أنهما إنما رويا هذا الحديث عنها، وأشار إلى اتصاله الحافظُ في "أطراف المسند" ، وفي "الفتح"، وحسَّن إسناده، وصُرِّح باتصاله في مصادر التخريج، كما سيرد. وأخرجه ابن راهويه عن محمد بن بشر، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" والطبري في "التاريخ" ، والطبراني في "الكبير" ، وابن الأثير في "أسد الغابة" (في ترجمة عائشة) من طريق سعيد ابن يحيى بن سعيد الأموي، عن أبيه، والبيهقيُّ في "دلائل النبوة". انظر: تعليق المحققين على **"مسند الإمام أحمد بن حنبل"** (42/ 504). تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وعادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

وسنجد أيضا أن **السيدة فاطمة بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام تزوجت فى سن الخامسة عشرة تقريبا ، وهذا سن صغير بمقاييس اليوم.** يقول الذهبي: "دخل بها عليّ رضي الله عنه بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، وَقَدِ اسْتَكْمَلَتْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ "[204].

إذن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن شاذا حين تزوج بفتاة صغيرة ، وإنما كانت هذه سنة المجتمع العربى كله. الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

العالم القديم

في الإمبراطورية الساسانية الفارسية كان سن الزواج الرسمي للبنات 9 سنوات، وسن الزواج للذكور 15 عاما[205].

وفى مصر القديمة كان سن الزواج عشر سنوات للبنات: يقول ويل ديورانت: [لقد كان الدم الذي يجري في عروق سكان وادي النيل دما حارا، ومن أجل ذلك كانت البنات يصلحن للزواج في سن العاشرة ، وكان اتصال الفتيان والفتيات قبل الزواج حراً ميسراً][206]

وفى بلاد الصين القديمة كان الزواج يتم بمجرد الوصول لسن البلوغ، وأحيانا قبل ذلك، وكان من الجريمة أن تبقى الفتاة بلا زوج وهي في سن العشرين. يقول ويل ديورانت في ذلك[207]: «وكانوا يعدون امتناع الرجل عن الزواج عيبا خلقيا، كما كانت العزوبة جريمة في حق الأسلاف وفي حق الدولة وفي حق الجنس لا تغتفر حتى لرجال الدين، وكان الصينيون في أيامهم الأولى يعينون موظفا خاصا عمله أن يتأكد من أن كل إنسان في الثلاثين من عمره متزوج وأن كل امرأة قد تزوجت قبل العشرين. وكان الآباء ينظمون خطبة أبنائهم وبناتهم بمعونة وسطاء محترفين، وكانوا يفعلون هذا **عقب بلوغهم الحُلُم وقبله أحيانا وقبل أن يولدوا في بعض الأحيان».**

وفى بلاد اليونان كان الرجال يفضلون الزواج بفتاة لا يزيد عمرها على 15 عاما. يقول ويل ديورانت: «وكان الذين يرضون بالزواج من الرجال يتزوجون متأخرين، في سن الثلاثين عادة، ثم

---

204) **"تاريخ الإسلام"** للذهبي (2/ 29)

205) **Jomepour, Rahele**, "Women in Iran: ancient history to modern times, and back" (2015). Page 9. Graduate Theses and Dissertations. 14396. https://lib.dr.iastate.edu/etd/14396

206) **"قصة الحضارة"** (2/ 99) . تأليف ويل ديورَانت. ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرون. مكتبة الأسرة- مصر- 2001م.

207) **"قصة الحضارة"** (4/ 269)

يصرون على الزواج من فتيات لا تزيد سنهن على خمسة عشر عاماً. وفي ذلك تقول إحدى الشخصيات في مسرحية ليوربديز: "إن زواج الشاب من زوجة شابة شر مستطير، وسبب ذلك أن قوة الرجل تبقى طويلاً، أما نضرة الجمال فسرعان ما تفارق صورة المرأة»[208]

وفى الدولة الرومانية كان سن الزواج صغيرا، فقد كانت النساء غير المتزوجات اللاتي يجاوزن التاسعة عشرة من العمر يعتبرن عوانس، ولكن عددهن كان قليلاً[209].

وكان الهنود قديما شديدو الحرص على تزويج أبنائهم في سن صغير. وفى هذا يقول ويل ديورانت[210]:

«**ولم يكد الطفل عندهم يشهد النور حتى كان يأخذ أبواه في التفكير في زواجه،** لأن الزواج– في النظام الهندي– إجباري للجميع، والرجل الأعزب طريد الطبقات، ليس له في المجتمع مكانه ولا اعتبار، وكذلك بالنسبة للفتاة إن طال بها الأمد عذراء بغير زواج، فذلك عار أي عار.... **ولقد أدى النضوج المبكر بين الهنود، الذي يجعل البنت في سن الثانية عشرة مساوية لزميلتها في أمريكا في سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة،** إلى خلق مشكلة عويصة في النظام الاجتماعي والخلقي فهل الأفضل أن يدبر الزواج بحيث يطابق سن النضوج الجنسي، أم الأفضل أن يرجأ– كما في أمريكا– حتى يبلغ الرجل نضوجه الاقتصادي؟ والظاهر أن الحل الأول للمشكلة يؤدي إلى ضعف البنية في أبناء الأمة ويزيد من عدد السكان زيادة سريعة لا تتمشى مع مقتضيات الظروف، ويضحي بالمرأة تضحية تكاد تكون تامة في سبيل النسل؛ وأما الحل الثاني فيؤدي إلى مشكلة أخرى وهي التأخير الذي تأباه الطبيعة، وإلى كبح الرغبة الجنسية كبحاً يؤدي إلى حبوطها، كما يؤدي إلى الدعارة والأمراض السرية؛ **ولقد آثر الهنود لأنفسهم زواج الأطفال على اعتبار أنه أهون الشرين،** وحاولوا أن يخففوا من أخطاره بأن يجعلوا بين الزواج وبين إثماره فترة تبقى فيها العروس مع والديها حتى يتم نضجها؛ هذا عندهم نظام اجتماعي قديم، ومن قدمه جاءت قداسته،

---

208) **"قصة الحضارة"** (113 /7) لويل ديورانت
209) **"قصة الحضارة"** (10/ 316)
210) **"قصة الحضارة"** (3/ 172)

وإنما نبتت جذوره بادئ ذي بدء في رغبة الناس في منع التزاوج بين الطبقات تزاوجاً قد تسببه مجرد الجاذبية الجنسية العابرة»

ويكمل ويل ديورانت الكلام بعد قليل عن الهنود: «**فقد أقام زواج الأطفال سداً في وجه العلاقات الجنسية السابقة للزواج**؛ والعقوبات الدينية الصارمة التي كانوا ينذرون بوقوعها ليحملوا الزوجة على الوفاء لزوجها، جعلت الزنا أصعب جداً وأندر جداً مما هو عليه في أوربا أو أمريكا؛ وكان الزنا في الأعم الأغلب مقصوراً على المعابد»[211]. ويقول كذلك: «**في هذه الظروف التي يسودها عهر المعابد وزواج الأطفال**، لم يبق أمام ما نسميه "بالحب الشعري" إلا أضيق الفرص»[212]

أوربا في العصور الوسطى

وتكلم ويل ديورانت[213] عن **الزواج في العصور الوسطى في أوربا، فذكر أنه كان يتم في سن الطفولة في كثير من الأحيان:**

«كان الشاب في عصر الإيمان قصير الأجل ، **وكان الزواج يحدث فيه مبكراً** ، **وكان في وسع الطفل وهو في السابعة من عمره أن يوافق على خطبته** ، وكان هذا التعاقد يتم في بعض الأحيان ليسهل به انتقال الملكية أو حمايتها. **ولقد تزوجت جراس صليبي Grace de Saleby في الرابعة من عمرها** بشريف عظيم يستطيع حماية ضيعتها الغنية ، ثم مات هذا الشريف ميتة سريعة **فتزوجت وهي في السادسة من عمرها** بشريف آخر ، **وزوجت وهي في الثالثة عشرة** بشريف ثالث. وكان يستطاع حل هذا الرباط في أي وقت من الأوقات قبل سن البلوغ ، وكان يفترض أن تكون هذه السن هي الثانية عشرة للبنت ، والرابعة عشرة للولد. وكانت الكنيسة ترى أن رضي الوالدين أو الأوصياء غير ضروري للزواج الصحيح إذا بلغ الزوجان سن الرشد ، **وتحرم زواج البنات قبل سن الخامسة عشرة، ولكنها كانت تسمح بكثير من الاستثناءات**، لأن حقوق الملكية في هذه المسألة كانت تطغى على نزوات الحب، ولم يكن الزواج إلا حادثا من حوادث أعمال المالية».

---

211) **"قصة الحضارة"**(3/ 174)
212) **"قصة الحضارة"**(3/ 176)
213) **"قصة الحضارة"**(16/ 182)

وتكلم ويل ديورانت عن **ابنة أحد الملوك التى تزوجت في سن الثالثة عشرة:** «أثارت إليصابات النورنجائية (1208 – 1231) بلاد المجر بحياتها القصيرة التي قضتها زاهدة متبتلة. وإليصابات هذه ابنة الملك اندرو Andrew وقد تزوجت وهي في الثالثة عشرة من عمرها بأمير ألماني ، وكانت أُماً في الرابعة عشرة ، أرملة في سن العشرين»[214].

عصر النهضة والعصر الحديث

أوردت موسوعة قصة الحضارة لويل ديورانت أمثلة عديدة من أوربا في عصر النهضة العصر الحديث على زواج البنات في سن أقل من 18 عاما:

نقرأ مثلا عن **محاولة لتزويج طفلة في السادسة، ولكن أمها رفضت ، ليس لأن ابنتها صغيرة ، ولكن لأنها خشيت أن تتحول للبروتستانتية. وتزوجت الفتاة فيما بعد في سن السادسة عشرة:** «واقترح هنري الثامن ، أملاً منه في ضم إسكتلندة كمقاطعة ملحقة بإنجلترا–اقترح أن تخطب الطفلة إلى ابنه إدوارد وترسل إلى إنجلترا ، وتتربى فيها ، مع افتراض أن تكون بروتستانتية ، لتكون ملكة مع ابنه إدوارد. ولكن بدلاً من هذا ، قبلت أمها الكاثوليكية عرض هنري الثاني ملك فرنسا (1548) أن تزوجها لأكبر أبنائه (الدوفين). وحماية لماري من اختطافها إلى إنجلترا. أسرعوا بها وهي في سن السادسة إلى فرنسا ، حيث بقيت هناك ثلاثة عشر عاماً ، وتلقت العلم مع أولاد الأسرة المالكة، وتأصلت فيها الروح الفرنسية تماماً.... ولما بلغت السادسة عشرة تزوجت ولي عهد فرنسا»[215].

ويتكلم ويل ديورانت عن **امرأة فرنسية في القرن السابع عشر، تزوجت في سن الثانية عشرة:** «وتلقت كاترين دفيفون تعليما لم تألفه الفتيات في القرن السادس عشر. وحين بلغت الثانية عشرة تزوجت من شارل دانجين»[216]

---

214) "قصة الحضارة" (16/ 156)
215) "قصة الحضارة" (28/ 166)
216) "قصة الحضارة" (29/ 267)

ونقرأ أيضا عن ماريا لويزا جابرييلا التي تزوجت في سن الثالثة عشرة: «وكانت ماريا لويزا جابرييلا، ابنة فكتور أماديوس الثاني ملك سافوي ، لا تعدو الثالثة عشرة يوم تزوجت فليب (1701)، ولكنها كانت رغم حداثتها حاذقة لمكر النساء وكيدهن»[217].

والدوقة تريزا كاتيانا تزوجت في سن الثالثة عشرة: «وكانت تريزا كاتيانا ماريا ديل بيلار الدوقة الثالثة عشرة من سلالة ألبا الشهيرة. وكان أبوها قد تشرب الفلسفة الفرنسية ، فرباها على مبادئ متحررة، وتلقت تعليماً هيأ لها عقلاً يقظاً وإرادة عنيدة. فلما بلغت الثالثة عشرة تزوجت الدوق خوزيه دي توليدو أوزوريو ، دوق ألبا البالغ من العمر تسعة عشر ربيعاً»[218]

وتكلم ويل ديورانت عن رجل الدين لورنس ستيرن الذي تودد إلى **امرأة كانت قد تزوجت في سن الرابعة عشرة:** «وتودد إلى إليزابث درايبر. وكانت زوجة موظف في شركة الهند الشرقية آنئذ (مارس 1767) معين في الهند. تزوجته وهي في الرابعة عشرة ، وهو في الرابعة والثلاثين»[219]

وحكى ديورانت أن **أم نابليون بونابرت قد تزوجت في سن الرابعة عشرة:** «ولدت أم نابليون ليتيزيا رامولينو سنة 1750 ، وتزوجت وهي في الرابعة عشرة من عمرها ، وأصبحت أرملة وهي في الخامسة والثلاثين ، وأنجبت ثلاثة عشر مولودا في الفترة من 1764 إلى 1784»[220].

وتكلم ويل ديورانت عن **امرأة من نابولى تزوجت في سن الخامسة عشر** ، وذلك في القرن الرابع عشر، فقال: «وكانت أكثر النساء مرحاً في نابلي هي مارية داكوينو Maria d'Aquino وهي ابنة غير شرعية للملك الحكيم. ولكن زوج أمها قبل أن تكون ابنته. وتعلمت الفتاة في دير للنساء، ثم تزوجت وهي في الخامسة عشرة من عمرها بكونت أكوينو»[221].

وورد كلام عن زواج فتاة في سن 16 عاما من شاب فى سن 15 عاما: «جاءت كاترين الأراجونية، ابنة فرديناند وإيزابلا إلى إنجلترا عام 1501، وكانت في السادسة عشرة من عمرها

217) **"قصة الحضارة"** (40/ 105)
218) **"قصة الحضارة"** (40/ 150)
219) **"قصة الحضارة"** (42/ 211)
220) **"قصة الحضارة"** (ملحق/ 221)
221) **"قصة الحضارة"** (18/ 16)

وتزوجت (14 نوفمبر) من آرثر البالغ من العمر خمسة عشر عاماً ، وهو أكبر أبناء هنري السابع»[222].

اليهود

لم يكن الزواج المبكر ظاهرة انفرد بها الإسلام دون سائر الأديان. على سبيل المثال كانت الزيجات لدى اليهود حتى القرن التاسع عشر تحدث عادة في الفترة المبكرة من المراهقة. وكانت غالبية الرجال والنساء يتزوجون بحلول 13 أو 14 عاما. وقد أكد مثلا أبراهام بير جوتلُبر Abraham Ber Gottlober في مذكراته أن كل من يعرف كان **خاطبا بحلول عمر 11 عاما.** وتوجد أدلة على أن هذا لم يكن شأن النخبة الغنية وحدها ، بل كان شأن جميع اليهود بما في ذلك الطبقات الفقيرة التي لم يكن سن الزواج فيها يتجاوز 13 أو 16 عاما على الأكثر. وقد استمر هذا النظام التقليدي في روسيا أثناء النصف الأول من القرن التاسع عشر. على سبيل المثال صدر قانون في روسيا عام 1835م – لكنه لم يطبق أبدا– فرض على اليهود الزواج في سن المراهقة المتأخرة. ومن هذا القانون يمكن استنتاج أن من عادة اليهود الزواج المبكر[223].

وفى عام 1867م كان 43% من الرجال اليهود في بعض المجتمعات و 61% من النساء اليهوديات يتزوجون تحت سن العشرين. وبحلول عام 1897م انخفضت النسبة إلى 5.8% و 22.7% ، كما انخفض بشدة زواج الصغار بسبب انتشار الأفكار العلمانية المناوئة للدين ، **وتركز زواج الأبناء في سن أقل من 13 عاما بين المجتمعات الحسيدية.** وبمضي الوقت بدأ حتى اليهود التقليديون الأورثوذكسيون يدعون إلى تأخير سن الزواج ، فعلى سبيل المثال ألف موسى فيفيش Moses Feivish عام 1858م رسالة عن قوانين الزواج ، وعارض زواج الذكور في سن 13 عاما ، ودعا إلى تأخير سن الزواج حتى 18 عاما[224].

القديس أوغسطين

---

222) "قصة الحضارة" (79 /25)

223) **Eros and the Jews from biblical Israel to contemporary America**. By David Biale. Chapter7. Page 153. Berkeley, etc., University of California Press, 1997

224) **Eros and the Jews from biblical Israel to contemporary America**. Page 163.

والزواج المبكر كان أيضا معروفا في المسيحية. وقد سبق أن ذكرنا أمثلة عديدة ، لكن أشهر مسيحي تزوج في سن مبكر هو القديس أوغسطين Saint Augustine ، الذي تعد كتاباته – كما تقول الموسوعة الكاثوليكية– أهم ما أُلف عن المسيحية منذ وفاة القديس بولس حتى زمانه. **والقديس أوغسطين خطب فتاة لم تبلغ بعد ، وكان عمرها حينئذ 11 عاما** ، وكان عمره أكثر من ضعف عمرها. ولكن كان على أوغسطين أن ينتظر قليلا حتى تبلغ الفتاة ، ويحدث لها الحيض كي يتم الزواج. ويعلق "فيرن إل. بولو" على تلك القصة قائلا: "**وليس هناك أي شيء يدل على أن الزواج من مثل هؤلاء الفتيات غير البالغات كان غير معتاد بالرغم من أن العادة والقانون منعا من اكتماله إلا بعد الوصول إلى سن البلوغ**"[225]. ولا بد أن نذكر أن أوغسطين فعل هذا في الفترة الأولى من حياته قبل أن يقرر الامتناع نهائيا عن ممارسة الجماع كي يكون مسيحيا كاملا ، لكن ما يهمنا أن الرجل اهتم فقط بالدعوة إلى الابتعاد على الجنس ، ولم يكتب كلمة واحدة معارضا زواج الفتيات الصغار ، وهو ما يعني حتما أنه كان يعتبره ظاهرة طبيعية.

سرينيفازا رامانوجان

ولدينا مثال آخر هو عالم الرياضيات الهندي العظيم سرينيفازا رامانوجان Srinivasa Ramanujan الذى ولد عام 1887ن وتزوج في سن 22 عاما **من فتاة عمرها تسع سنوات** اسمها سريماثيا جانكي Srimathia Janki[226].

السيدة مارجريت بوفورت

مارجريت بوفورت Margaret Beaufort هي أم الملك هنري السابع ملك إنجلترا ، ومؤسسة كلية القديس يوحنا وكلية المسيح. وتقول الموسوعة البريطانية[227] أن هذه السيدة ولدت عام 1443م، ثم تزوجت في عام 1455م من إدموند تيودور ، أي أن **عمرها وقت الزواج كان 12 عاما**. وأنجبت في عام 1457م (في عمر 14 عاما) ابنا اسمه هنري.

225) **Bullough VL**. History in adult human sexual behavior with children and adolescents in Western societies. Page 71. In: Feierman JR, ed. *Paedophilia: biosocial dimensions*. New York: Springer-Verlag. 1990:69-90.
226) **Bullough VL**. History in adult human sexual behavior with children and adolescents in Western societies. Page 71.
227) **Britannica, The Editors of Encyclopaedia**. "Margaret Beaufort". Encyclopedia Britannica, 25 Jun. 2022, https://www.britannica.com/biography/Margaret-Beaufort. Accessed 1 July 2022.

طاغور

وشاعر الهند الشهير طاغور الحائز على جائزة نوبل تزوج سنة 1883 **بفتاة أمية في العاشرة من العمر**، اسمها مرينالينى ديفى Mrinalini Devi ، وكان عمره حينئذ 22 عاما، وأنجب منها خمسة أبناء[228، 229]. فهل كان طاغور رجلا منحرفا ومصابا بالبيدوفيليا؟ طبعا لن يجرؤ أحدهم على توجيه هذه التهمة له لأن طاغور كان صاحب اتجاه إنساني Humanist يروق للغرب.

ويل ديورانت

الكاتب الأمريكي الشهير "ويل ديورانت" ، الذي ولد عام 1885م ، تزوج فتاة اسمها آريل عمرها 15 عاما، وكان عمره وقتها 28 عاما. وزواج ويل ديورانت يلفت النظر إلى أن السن القانوني للزواج في أغلب الولايات الأمريكية حتى وقت قريب كان 14 عاما ، بينما وضعت بعض الولايات سنا أصغر بشرط موافقة الأبوين أو حكم قضائي. ومن الواضح أن زواج الكبار بفتيات صغيرة لم يكن ينظر إليه في الولايات المتحدة وغيرها من البلدان برعب وهلع كما يحدث اليوم[230].

روميو وجولييت

وقد تعرض العالم الاسترالي ماك كوناجي Nathaniel McConaghy لسن الزواج في الماضي فأكد أنه كان بشكل عام منخفضا مقارنة بما هو عليه اليوم. وقدم الباحث مفاجأة بالنسبة لي حين قال عن قصة الحب الخالدة "روميو وجولييت" أن **عمر جولييت كان 13 عاما فقط**. ولم يستهجن أحد هذا العمر الصغير.

غاندي

228) **Rabindranath Tagore's wife Mrinalini Devi's life to come alive on small screen.** Last Updated: Apr 20, 2015. https://economictimes.indiatimes.com/magazines/panache/rabindranath-tagores-wife-mrinalini-devis-life-to-come-alive-on-small-screen/articleshow/46985469.cms?from=mdr; accessed October 6, 2021.

229) **Mrinalini Devi (Raichoudhuri), 1872-1902; Rabindranath's wife**. The Scottish Centre of Tagore Studies. https://scotstagore.org/mrinalini-devi-raichoudhuri-1872-1902-rabindranaths-wife-by-christine-kupfer/ ; accessed October 6, 2021.

230) **Bullough VL**. History in adult human sexual behavior with children and adolescents in Western societies. Page 71-72

وإن أردت أن تسبب صدمة نفسية لأعداء الإسلام ولدعاة تأخير سن الزواج، فقل لهم: ألا تعلمون أن غاندي الزعيم الهندي الهندوسي الشهير، الذى تعتبرونه أسطورة وعبقرية وزعامة تاريخية يندر أن تتكرر، ألا تعلمون أن **غاندي هذا تزوج حين كان عمره 13 عاما، وكانت زوجته أكبر منه بشهور قليلة** كما تقول الموسوعة البريطانية[231]، وكل المراجع[232]؟ واسم زوجته هو "كاستوربا غاندي" Kasturba Gandhi. وهذه الفتاة لم يزوجها أهلها كي يتخلصوا من عبء الإنفاق عليها، فقد كان أبوها تاجرا غنيا.

وفى مقال بصحيفة الإندبندنت البريطانية المرموقة[233] ذُكر أن غاندي تزوج عام 1883م **حين كان عمره 13 عاما، وعمر زوجته 14 عاما**. ويعلق كاتب المقال– ومن الواضح أنه دارس جيد لتاريخ غاندي– أن هذا العمر الذي تزوج فيه غاندي لم يكن صغيرا بمقاييس ولاية جوجارات التي ولد فيها.

ما رأيكم الآن في غاندي؟ وأهم من هذا: هل لا يزال لديكم شك في أن الزواج المبكر كان ظاهرة طبيعية جدا في المجتمع الهندوسي في القرن التاسع عشر، ولم يكن أحد قط يعتبره جريمة؟

انجلترا

في إنجلترا وويلز كان سن الموافقة على الجماع بين ذكر وأنثى في عام 1285م يبلغ 10 سنوات. وفى عام 1875م تم رفع هذا السن إلى 13 عاما، ثم إلى 16 عاما في سنة 1885م، ليس كرها للبيدوفيليا، ولكن خوفا من انتشار ظاهرة دعارة الأطفال. وقبل "قانون سِن الزواج" الصادر عام

231) **Routray, Bibhu Prasad**. "Kasturba Gandhi". Encyclopedia Britannica, 7 Apr. 2021, https://www.britannica.com/biography/Kasturba-Gandhi. Accessed 13 October 2021. Accessed October 13, 2021.

232) **From Satya to Sadbhavana**. By Rekha Mohanty. Orissa Review. January 2011. https://web.archive.org/web/20160101071619/http://odisha.gov.in/e-magazine/Orissareview/2011/Jan/engpdf/46-50.pdf#page=58 . Accessed October 13, 2021.

233) **An odd kind of piety: The truth about Gandhi’s sex life**. https://www.independent.co.uk/arts-entertainment/books/features/thrill-of-the-chaste-the-truth-about-gandhi-s-sex-life-b1912595.html ; accessed October 13, 2021.

1929م كان **سن الموافقة على الزواج هو 12 عاما للإناث و14 عاما للذكور**[234]. وفى عام 1998م كان سن الموافقة على الجماع 12 عاما في نيوزيلانده وهولندا وإسبانيا ومالطة[235].

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ضعوا الرسول في سياقه التاريخي

وهكذا يجب أن يوضع زواج الرسول عليه الصلاة والسلام من السيدة عائشة فى سياقه الصحيح، فهو ليس أكثر من دليل على انتشار زواج الصغيرات فى العالم القديم كله ، ولا يمكن أبدا أن يعد برهانا على ميل جنسي شاذ لدي الرسول تجاه الأطفال. هذا هو المنطق البسيط الصحيح.

وقد فوجئت وأنا أتصفح كتابا أجنبيا ضخما عن البيدوفيليا بوجود فصل عن هذا المرض من الناحية التاريخية ، فذكر المؤلف – واسمه فيرن إل. بولو *Vern L. Bullough*– **أن صغر سن الزواج لم يكن فقط مقبولا من المجتمع عبر التاريخ ، لكنه كان فى بعض الأحيان هو القاعدة الطبيعية ، وما عداها هو الشذوذ.** وقام مؤلف هذا الفصل (الذي ينتمى إلى جامعة العلوم الطبيعية والاجتماعية بمدينة بافالو– نيويورك[236]) بعرض أمثلة تاريخية عديدة على شخصيات معروفة تزوجت من بنات صغيرات. وكانت المفاجأة حين وجدت المؤلف يذكر اسم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بين هؤلاء. **ودهشت أكثر حين وجدت أن المؤلف لم يوجه أى كلمة تجريح للرسول عليه السلام ، ولم يتهمه بأنه وحش آدمي يغتصب الأطفال ، بل أكد أنه لم يفعل شيئا أكثر مما اعتاد عليه العالم**[237].

وهذا الكتاب كتاب علمي جاد مُحَكَّم ، لم ينفرد بتأليف مؤلف واحد ، بل كتب كل فصل فيه أحد المتخصصين فى موضوع هذا الفصل. كما أن المؤلف لا يبدو على الإطلاق أنه مقتنع بالإسلام ، ولا أنه أراد أن يكون الرسول عليه السلام محور بحثه. لقد ذكر الرجل زواج الرسول بالسيدة

234) **Harrison K, Manning R, McCartan K.** Multi-Disciplinary Definitions and Understandings of 'Paedophilia.' Social & Legal Studies. 2010;19(4):481-496.

235) **Paedophilia: A review of the evidence.By Nathaniel McConaghy**. Australian and New Zealand Journal of Psychiatry; 32 (2): 252-265. Published online: 06 Jul 2009

236) *Vern L. Bullough*, Office of the Dean, Faculty of Natural and Social Sciences, SUNY College, Buffalo, New York 14222, USA

237) **Bullough VL**. History in adult human sexual behavior with children and adolescents in Western societies. Page 71.

عائشة بشكل عابر فى سطور معدودة ، ثم انتقل إلى نماذج أخرى من المشاهير الذين تزوجوا فتيات صغيرات. **وقراءة هذا الفصل تحتم علينا أن نقول: "لم يكن الرسول وحشا، ولكن نحن الذين تغيرنا"**. وهذا يذكرني ببعض الشباب الملحد الذين هاجموا الرسول ، واتهموه بعدم النظافة لأنه لم يكن يستخدم أدوات النظافة كالصابون والمراحيض والديتول وغيرها ، مع أنها لم تكن قد اخترعت في عصره! إى والله هذا سمعته! إن الحكم على شخص بمعزل عن سياقه التاريخي جريمة.

لقد شاع الزواج المبكر للبنات في العالم القديم ، واستمر حتى القرن العشرين. وكان هذا أمرا فطريا طبيعيا ، ولم يكن يدخل في باب الرذائل والموبقات. وهذه الحقيقة تدمر اتهام الرسول بالميل الجنسي للأطفال لأن **الرسول لم يفعل شيئا أكثر مما كان يفعله كل الرجال في العالم القديم**. لقد كان الرسول واحدا كغيره من الرجال ، **ومن أراد أن يتهم الرسول بأنه ذو ميل جنسي شاذ تجاه الأطفال ، فليتهم بالمثل كل الرجال في كل بلاد العالم منذ آدم حتى القرن العشرين بالشذوذ.**

إن الجريمة تكبر إن فعلها الشخص لأول مرة ، وابتكرها قبل غيره ، وتفرد بها عن سائر الناس. ولهذا **يوجه أعداء الإسلام تهمة الاغتصاب والميل الجنسي للأطفال إلى الرسول بطريقة توهم البسطاء أنه كان أول من ابتكرها في التاريخ**. والحقيقة أن أقصى ما يمكن أن يقال في حق الرسول هو التساؤل: لماذا لم يخالف الرسول بقية رجال العالم ، ويحذر من مخاطر الزواج المبكر قبل الحضارة الحديثة؟ وقطعا سنرد عليهم ، ونسحقهم ، ونثبت أن الخطر في تأخير الزواج ، وليس في التبكير به ، لكن اتهام الرسول بالانحراف الجنسي تشويه وقح للإسلام.

لماذا سكت الكفار؟

ألا تلاحظون أن **زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة عائشة لم يتعرض لأي نقد إلا فى عصرنا الحديث؟** ولو كان هذا الزواج نابعا من شذوذ فى سلوك الرسول ، أو انحراف فى نفسيته لكان المشركون وأهل الكتاب أول من ينتقده. ولقد سبق لهم أن انتقدوه فى كل صغيرة وكبيرة، واجتهدوا فى إلصاق التهم الظالمة به. **ومن المحال أن يفوتوا فرصة ذهبية مثل زواجه من السيدة عائشة لو كانوا يعتبرونها جريمة أخلاقية.**

لقد كان زواج الفتيات في سن صغير هو القاعدة – لا الاستثناء– في المجتمع العربي وقت ذاك، كانت هذه هي الفطرة والطبيعة البشرية التي لا غرابة فيها ، ولا لوم عليها.

ليس هذا بالشخص المنحرف

متى يمكننا أن نشك في أن شخصا ما لديه ميل جنسي منحرف للأطفال (بيدوفيليا)؟

طبقا للطبعة الخامسة من "الكتاب التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية" لاحظ العلماء أن الشخص المصاب بالبيدوفيليا يكون في الغالب لديه سمات شخصية مميزة ومظاهر إجرامية أخرى:

مريض البيدوفيليا يكون في الغالب مدمنا للخمر والمخدرات، بينما الرسول عليه الصلاة والسلام كان بالعكس معاديا لشرب الخمر ، وحرمها على نفسه وقومه.

كما أن مريض البيدوفيليا يكون ذا شخصية مضادة للمجتمع Antisocial personality، فتجده منعدم الضمير ، متسما بالعدوانية والتهور والخداع والمكر والاعتداء على حقوق الآخرين وسرعة الغضب وفقدان الإحساس بالذنب وعدم الاهتمام بمشاعر الناس وآلامهم ، كما يكون معتادا على خرق القوانين بشكل متكرر ، بينما كان الرسول عليه الصلاة والسلام محبا للناس ، وكثيرا ما كان يصفح عن قومه ، ويتجاوز عن أخطائهم ، ويتغاضى عن زلاتهم. ومن أروع الآيات التي تعبر عن ذلك: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 128]. وقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159].

كما كان الرسول عليه الصلاة والسلام محافظا على عهوده لأقصى حد. بل إنه منع الصحابي حذيفة بن اليمان من الاشتراك في غزوة بدر لأنه قطع على نفسه عهدا للكفار بألا يحاربهم ، فعن حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ». رواه مسلم.

كما يكثر اتصاف مرضى البيدوفيليا بالاكتئاب، بينما كان الرسول عليه السلام متفائلا ، مبتسما ، مليئا بالأمل في الله ، وكثيرا ما وصفه الرواة قائلين أنه "ضحك حتى بدت نواجذه" ، ففي إحدى المرات (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ فَقَالَ: يَا أَبَا القَاسِمِ، إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالخَلاَئِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَنَا المَلِكُ، «فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: 91]) متفق عليه. ولم يكن الرسول قط يحبس نفسه في غرفته كما يفعل الشخص المكتئب الفاقد للرغبة في الكلام ولقاء الناس.

ويحدث الاضطراب الثنائي القطب أيضا لدى مرضى البيدوفيليا، ولم يزعم أحد يوما أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان لديه أعراض من هذا النوع ، التي تشمل تقلبات مفرطة في المزاج مثل الهوس والاكتئاب.

ويكثر إصابة مرضى البيدوفيليا بالقلق. والرسول عليه الصلاة والسلام كان بالعكس يتصف بالشجاعة والإقدام، ولم يرو عنه أبدا أنه انهار ، وسقط من الخوف والجبن في أوقات الشدائد. ومن المعروف أنه لما فر كل المسلمين في غزوة أحد ثبت الرسول وحده ، يحارب الكفار ، ويدعو المسلمين للعودة للقتال: {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ} [آل عمران: 153].

ويؤكد العلماء أن مريض البيدوفيليا يكون في الغالب قد تعرض وقت طفولته لاعتداء جنسي ، فإذا كبر حاول الانتقام من خلال تكرار نفس الجريمة التي تعرض لها وهو صغير. ولا يوجد دليل على أن الرسول عليه الصلاة والسلام تعرض لمثل هذا الاعتداء. ولو حدث للرسول شيء من هذا القبيل لعايره الكفار به (مثلما عايروه بأنه لا ينجب ذكورا كما ورد في سوة الكوثر) ، ولما فوتوا هذه الفرصة الذهبية ، فلا شيء يذل الرجل أكثر من عدوان جنسي عليه.

وكما ترون لم يكن لدى الرسول عليه الصلاة والسلام أيا من الصفات الشخصية التي توجد في العادة لدى المصاب بالبيدوفيليا ، فإلصاق هذه التهمة بالرسول لم يأت كنتيجة أملتها مشاهدات ودلائل ، بل نبعت من خيال غذاه الحقد ، ورواه العناد.

وفوق ذلك **فلو كان الرسول عليه الصلاة والسلام حقا من أولئك المنحرفين جنسيا لأصر على الدخول بعائشة بأقصى سرعة، ولكن الذي حدث هو أنه انتظر لمدة ثلاث سنوات** بعد زواجه بها حتى وصلت إلى سن البلوغ، وصارت أكثر بُعدا عن الطفولة.

ومن المعلومات المعروفة أن كل زوجات **الرسول عليه الصلاة والسلام كن من الثيبات ، اللائي سبق لهن الزواج. ولم يتزوج الرسول بكرا إلا عائشة ، فكيف يقال عن رجل كهذا أن لديه ميلا جنسيا للأطفال؟** لو كانت كل زوجات الرسول أو أغلبهن أعمارهن قريبة من الثامنة أو التاسعة فربما جاز للمرء أن يشك في مسألة البيدوفيليا ، ولكن هذا لم يحدث.

وفى أحيان كثيرة يعتدى الرجل على طفلة صغيرة لأنه لا يجد سبيلا آخر لتفريغ شهوته، تماما مثلما يلجأ الرجل للعادة السرية أو لجماع ذكر مثله أو حتى جماع حيوان ، ليس لأنه يحب هؤلاء، ولكن لعدم توافر البديل الطبيعي كما يحدث في السجون. **ولو كان الرسول عليه الصلاة والسلام من هذا النوع لحاول إقامة علاقات مع أطفال في شبابه قبل زواجه بالسيدة خديجة** ، وهى الفترة التي كان فيها في أشد حالات الحرمان من الجماع. لكن الواقع أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يتحكم في غريزته لأقصى حد ، ولهذا ظل دون زواج مع السيدة خديجة رغم أنها كانت عجوزا، ولم يتزوج بعدها إلا بعد سن الخمسين. فكيف يتهم رجل مثل هذا بتهمة البيدوفيليا؟

ولكى نوقف هذه المهزلة نقول: **لو كانت عائشة حقا طفلة وقت أن تزوجها الرسول، فهل ظلت طفلة بقية عمرها؟ هل توقف بها الزمن عند سن تسع سنوات أم أنها كبرت،** وصارت شابة؟ طبعا كبرت، وصارت شابة. **لماذا إذن لم ينصرف عنها الرسول ، ويطلقها ، ويبحث عن طفلة أخرى ، يتزوجها إشباعا لرغبته المريضة في الأطفال؟** بالعكس لقد ظل حب الرسول عليه الصلاة والسلام لعائشة باقيا حتى آخر لحظة في حياته ، حين أظهر رغبته في أن يُمرض في بيتها. إن من أهم سمات البيدوفيليا "الاستمرار" ، فالتعريف الرسمي يشترط استمرار الميل الجنسي للأطفال فترة أكثر من ستة أشهر. ويقول العلماء أن هذا الاضطراب النفسي يبدو أنه يستمر مدى الحياة (وإن كان قابلا للتأرجح). والشيء المهم في نظرنا أن علاقة الرسول الجنسية المزعومة بالأطفال لم تتكرر ، وهو ما يحول دون إطلاق تهمة البيدوفيليا ، فالتكرار ليس فقط شرطا للبيدوفيليا ، بل شرطا لإلصاق أي تهمة بأي إنسان ، فمن قتل مرة لا يمكن أن يوصف بأنه سفاح ، ومن شتم مرة

لا يمكن أن يوصف بأنه سليط اللسان ، والرئيس الذي اتخذ قرارا خاطئا ذات يوم لا يمكن أن يوصف بأنه فاشل. إن البينة على من ادعى ، وفى حالة الرسول عليه الصلاة والسلام لا توجد قط أي بينة على تكرار علاقته بالأطفال (بفرض أن عائشة كانت طفلة وقت الدخول بها).

من وجهة نظر علم النفس فإن الوصف الأقرب للرسول هو "تيليوفيل" Teleiophile ، أي ذلك الشخص الذى يميل جنسيا إلى النساء الناضجات لا الصغار. والحقيقة أن الرسول عليه السلام لم يكن من أولئك ولا من هؤلاء ، فقد تزوج كلا من البكر والثيب ، الصغيرة والكبيرة ، بل إنه خطب كل من البكر والثيب في نفس الوقت (السيدة عائشة والسيدة سودة بن زمعة).

نرجو من أعداء الإسلام أن يحترموا أنفسهم قبل أن يلقوا بالتهم جزافا. **إن من يتهم الرسول بأنه سيء الخلق هو نفسه مريض بسوء الخلق ، فمن الحماقة أن تتهم آينشتاين بالغباء لأن الناس سيجزمون أنك أنت الغبي لأنك لم تفهم نظريته في النسبية.** وبالمثل من يتهم الرسول بالانحراف فهو جاهل بسيرة الرسول وشخصيته وخلقه الرفيع.

رد مختصر

من المفيد في بعض الأحيان لملمة شتات الأفكار خاصة في موضوع زواج الرسول بعائشة. والرد التالى كتبته ردا على أحد المشككين. وهو لن يضيف جديدا سوى أنه ينفع في الرد السريع:

«يخبرنا الطب أن علامات البلوغ الطبيعية تظهر على الفتاة فى سن 8 سنوات أو أكثر. وعلى ذلك فلو كانت الفتاة بها علامات الأنوثة عند سن 9 سنوات فلا مشكلة فى الزواج. ولا تقارن فتيات اليوم بفتيات الماضي، ففي الماضي كانت الفتاة قادرة على إدارة المنزل بكل احتراف في سن 8 و9 سنوات أما اليوم فالفتاة تبلغ الثلاثين، وهى مرفهة ولا تعرف كيف تصنع كوبا من الشاي. ثانيا كل النساء في كل مكان في العالم كن يتزوجن في سن صغير دون أي مشاكل، مثلا شاعر الهند الشهير طاغور تزوج من فتاة في العاشرة اسمها مرينالييني ديفى. والسيدة عائشة كانت مخطوبة قبل زواجها من الرسول لجبير بن مطعم. كانت هذه عادة العرب وكل شعوب الأرض عبر التاريخ. وآباؤنا يحكون لنا أن كل البنات كن يتزوجن في سن صغيرة. إذن من الحماقة أن تتهم الرسول بأنه كان يقوم بعمل غير أخلاقي بسبب زواجه من فتاة صغيرة. لقد كان كل رجال الأرض يفعلون

ما يفعل الرسول، وكانت الحياة أكثر سعادة مما هي عليه الآن ؛ يكفى أنهم في البلاد الإسلامية الآن يحرمون البنت من ممارسة الجنس (من خلال الزواج) رغم حاجتها إليه حتى تصل إلى سن 18 سنة ، أما في الغرب ، فهم يتصرفون بشكل طبيعي ، فيتركون البنت تمارس الجنس طالما كانت في حاجة إليه. وهناك دعوات كثيرة في الغرب لإباحة ممارسة الأطفال للجنس ، وأحد هؤلاء الملحد الشهير ريتشارد دوكينز».

الباب الخامس: في مواجهة عالم زائغ

الزواج المبكر وتحريم الحلال

ليحذر صناع القرار والمثقفون الذين يعملون بشكل حثيث على رفع سن الزواج في مختلف الدول الإسلامية. لقد تجاوزتم الخطوط الحمراء حين حرمتم ما أحل الله. وتحريم الحلال جريمة تعرض بسببها رسول الله عليه الصلاة والسلام للتوبيخ من ربه حين قال له: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التحريم: 1].

انظر! **إن الله عز وجل يعاتب رسوله ، ليس لأنه أحل حراما . ولكن لأنه حرم حلالا** ، وذلك حين أقسم ألا يعود إلى شرب العسل إرضاء لزوجتيه عائشة وحفصة رضي الله تعالى عنهما[238]. **وبعض الناس يظن أن الله تعالى يغضب فقط إن استحلت محارمه، لكن هذه الآية تأتى لتؤكد لنا أن الله يغضب أيضا إن حرم الناس حلاله.**

ولاحظ عزيزى القارىء أن **الرسول عليه السلام لم يحرم الحلال على المسلمين ، وإنما حرمه على نفسه فقط ، وهذا لعمرى أهون كثيرا مما فعله الحكام والمُشرعون** في هذا العصر حين حرَّموا –بقوانينهم الغاشمة– الزواج على كافة المسلمين قبل 18 عاما.

وفى القرآن نصوص أخرى تبين بشكل لا لبس فيه أن من أكبر الخطأ أن يحرم الناس ما أحل الله:

- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (87) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ} [المائدة: 87، 88]
- {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (59) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ} [يونس: 59، 60]
- {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } [الأنعام: 140]

---

238) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا، فَوَاطَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَلَى، أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، قَالَ: «لاَ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ، لاَ تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا» متفق عليه ، واللفظ للبخاري.

وقد جاءت السنة لتعضض القرآن، فروى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، إِلَّا صُلْحًا حَرَّمَ حَلَالًا، أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا، وَالمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ، إِلَّا شَرْطًا حَرَّمَ حَلَالًا، أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا**». قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.[239]

ومن حين لآخر نسمع عن أبناء منعوا أمهم من الزواج بعد وفاة أبيهم خوفا من كلام الناس ، فيقول لهم كل العقلاء: هذا ليس من حقكم. ليس لكم أن تحرموا على المرأة شيئا أباحه الله تعالى لها.

لا تحسبوا أن تحريم الحلال أمرا هينا. إنه لا يقل خطورة عن تحليل الحرام. كلاهما سواء ، كلاهما يتضمن طعنا فى شريعة الله ، واتهاما لعلمه وحكمته ، وتعديا صارخا على سلطته. إن تحريم المباحات أمر يغضب أى إنسان. هب أن مريضا ذهب إلى طبيب بابنه ، فطلب منه الطبيب أن يمتنع عن تناول الفراولة والموز والسمك والبيض واللبن وقائمة طويلة من الأطعمة حتى لا تزيد شدة حساسية الصدر عنده. هذا الطبيب في الحقيقة جاهل لأن حساسية الصدر لا تلعب فيها الأطعمة دورا كبيرا بهذا الشكل. ولئن علم المريض أن الطبيب حرم ابنه من هذه الأطعمة دون ضرورة طبية لغضب منه أشد الغضب.

وسألت نفسى: ما السبب الذى يجعلنا نحن الأطباء نغضب من مثل هذه الحماقات التى يرتكبها بعض زملائنا الأطباء؟ لقد كان هذا السؤال محوريا لأن الإجابة عليه تجعلني أعرف لماذا يغضب الله تعالى من تحريم الحلال. وقد كانت إجابتى كالآتى:

أولا:

التضييق على الناس شىء ممقوت ، وهو يدخل فى عداد الجرائم. وما قولك فى رجل أمسك هاتفا جديدا فى يده ، وأخذ يقلبه ، فرحا به ، فسقط منه فجأة وانكسر ؟ ألا يؤدي هذا إلى الشعور بالأسى؟

239) **"سنن الترمذي"** (3/ 627). تأليف محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض (جـ 4، 5). الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر. الطبعة الثانية، 1395 هـ - 1975 م

وقال العلامة أحمد محمد شاكر: [وقد روى الترمذي أيضاً حديث "الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالاً أوأحل حراماً" من طريق كثير عن أبيه عن جده، وقال: "حديث حسن صحيح" فأنكر عليه العلماء تصحيحه، حتى قال الذهبي في الميزان: "فلهذا لا يعتمد العلماء على تصحيح الترمذي"!! وقد حاول بعضهم أن يعتذر عن الترمذي بأنه إنما صححه لما أيده من الشواهد. **والذي أراه أن الترمذي حسنه تبعاً لأستاذه البخاري في تحسين حديث كثير بن عبد الله، وصححه للشواهد التي عضدته.** والبخاري لم يتردد في شأن كثير هذا، فإنه ترجم له في الكبير 4/ 1/ 217 والصغير 187 وأثبت فيهما أنه روى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري، ولم يذكر فيه جرحاً ولم يذكره في الضعفاء، **ونحن نذهب إلى ما ذهب إليه البخاري ثم الترمذي: أن حديثه حسن، فإذا اعتضد بشواهد تقويه كان صحيحاً، وعن هذا صححنا هذا الإسناد**]. انظر: **"مسند الإمام أحمد بن حنبل"** (3/ 238). تحقيق أحمد محمد شاكر. الناشر: دار الحديث – القاهرة. الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م

بالتأكيد ، ففي الحرمان من اللذة ألم ، وهذا ما يغفل عنه كثير من الناس. وإذا كان من حقى كطبيب وإنسان أن أغضب من أولئك الذين يحرمون المرضى من متع الحياة ، أفلا يكون من حق الله تعالى أن يغضب من أولئك الذين ينادون بمنع زواج الفتيات فى سن مبكر ، فيحرمونهن مما أباحه الله لهن من إشباع الشهوة بالطريقة المشروعة؟

ثانيا:

السبب الثانى الذى يدعونا إلى الغضب من تحريم الحلال هو أنه يمثل انتصارا للباطل. وإذا كان الحق هو إباحة شيء ما ، فإن الباطل هو تحريمه. والإنسان السوي لا بد أن يغضب إن وجد للباطل موضع قدم بين الناس ، وأنه ينافس الحق ويتغلب عليه. والطبيب المحترم يمتعض إن قيلت أمامه معلومة طبية خاطئة ، فمجرد تواجد الباطل أمر يثير الغيظ ، وشيوع فكرة كاذبة بين الناس أمر لا يرتاح إليه أحد. وما حياتنا الفكرية كلها إلا صراع لا ينتهي بين الحق والباطل. أوليس الله تعالى إذن محقا فى أن يغضب ممن يُحرمون الحلال ، ويحظرون على المرأة الزواج فى سن مبكر؟

ثالثا:

كل طبيب ماهر يشعر بالمرارة حين يصدق الناس طبيبا آخر غيره ، ويعتقدون أنه أفضل منه ، خاصة إن كان هذا الطبيب جاهلا وليس اهلا للثقة. أوليس الله تعالى محقا فى أن يغضب إن ترك الناس شريعته ، وطبقوا قوانين الأمم المتحدة واليونيسيف ، وكأن المنظمات الدولية أعلم من الله؟ هذه جريمة نكراء فى حق الله. حقا الله تعالى لن تضيره معصية الناس ، ولكنه تعالى إله عادل ، ولا يمكن أن يسوي بين إنسان وثق بالله ، وإنسان وثق بالناس.

لهذه الأسباب الثلاثة يحق لى أن أغضب ويحق لله تعالى أن يغضب من تحريم الحلال.

ثم **ما بال العلمانيين من أنصار المرأة يعتنقون الآن "ثقافة التحريم"**؟ ألم يكونوا هم الذين ابتدعوا مصطلح "ثقافة التحريم" ليشوهوا به المتدينين ، ويُشَهروا بهم ، ويرسخوا فى أذهان الناس أن المتدين رجل لا هدف له فى الحياة سوى التحريم والتضييق والتشديد على الناس؟

ورغم وضوح فكرة القرآن وصراحتها إلا أن بعض الفقهاء البارزين وقعوا فى شرك دعاوى الحركة النسائية ، وظنوا أن الخير كل الخير فى تأخير سن الزواج للفتيات ، وشرعوا يُنظرون لهذه الدعوة،

ويضعون الأساس الشرعى لها ، فقالوا بأن من الجائز للحاكم أن يحرم الزواج المبكر قبل سن معينة (18 عاما مثلا) على اعتبار أنه يمكن للحاكم أن يحظر بعض الأمور المباحة إذا اقتضت المصلحة.

فكرت فى هذا الكلام فوجدته من حيث المبدأ صحيحا ، فمثلا من حق الحكومة أن تصدر قانونا بمنع سير سيارات النقل فى بعض المناطق داخل المدن منعا للازدحام ، أو منع زراعة نبات الأرز فى بعض المحافظات الفقيرة فى الموارد المائية أو منع استيراد الياميش بسبب نقص العملة الصعبة. وفى كل هذه الأمثلة نلاحظ أن الحاكم يحرم الحلال ، فالله تعالى لم يقل لنا أن من المحرم على الناس والدواب السير فى الطرقات ، ولم يقل الله تعالى لنا أن زراعة الأرز حرام ، ولم تقل لنا الشريعة أن الياميش حرام مثل لحم الخنزير ، ولكن الحاكم له الحق فى فرض بعض القيود على الأمور المباحة طبقا لمصلحة الناس والدولة. وبصفة عامة فالإنسان ليس مجبرا على فعل كل الحلال ، فمن حق الرجل أن يأكل اللحم اليوم ، ويتركه غدا ، ويتعطر اليوم ، ويتجنب العطور غدا ، وهكذا.

والوقوف عند هذا الحد من التفكير يعد من قبيل السطحية القاتلة ، فبمزيد من التعمق سنلاحظ أن الأمثلة السابقى تمثل "**تحريما جزئيا مؤقتا**"، يسري في ظروف خاصة ، أما تحريم الزواج المبكر للفتيات الذى يدعون إليه اليوم فهو "**تحريم شامل أبدي مطلق**". وفرق شاسع بين التحريم الجزئي والتحريم الشامل. **التحريم الجزئي مقبول إسلاميا ، أما التحريم الشامل فمرفوض.** على سبيل المثال إن جاء رجل يقول لنا لا تأكلوا اللحوم مدى الحياة ، وكونوا نباتيين لأن اللحوم ضارة ، فقوله هذا مرفوض إسلاميا لأنه يضع لنا تشريعا لم يفرضه الله ، ويجعل نفسه شريكا مع الله فى سلطته. أما من يقول لزوجته لا تطبخى لحما اليوم لأني مللت منه ، وأريد أن آكل بعض الفطائر ، فهذا شكل من أشكال التحريم المؤقت الذى لا مشكلة فيه ، فهو سيترك اللحم اليوم ، ويأكله غدا أو بعد غد. كذلك بعض الناس يكره السمك ، ويظل ممتنعا عنه مدى الحياة ، لكنه لا يزعم أن السمك محرم على كل الناس ، ولم يقل أنه نجس كلحم الخنزير.

أعرف أن فكرة "التحريم الشامل" قد تبدو لأول وهلة غريبة على الأسماع ، لكنها ليست أبدا كذلك، فمثلا حين يسمع المسلم أن البهائيين يحرمون قص الشعر إلا إذا تجاوز الأذنين[240]، كما يحرمون أن تزيد فترة خطبة الرجل للمرأة عن 95 يوما[241]، فإنه يرفض هذا لأنه من قبيل التحريم الشامل، لكن لو حرم إنسان على نفسه قص الشعر إلا بعد أن يتجاوز الأذنين لأنه يحب الشعر الطويل ، فلا مشكلة فى هذا لأنه لا يعتقد أن من واجب كل الناس فى كل زمان ومكان إطالة شعرهم بهذا الشكل.

وقد يقول البعض أننا لا نقصد أن نشارك الله فى سلطانه ، وكل ما فى الأمر أن العلم كشف لنا أخطار الزواج المبكر، والرسول عليه السلام يقول: "لا ضرر ولا ضرار". وهذا اعتراض وجيه ، **لكنه يزيد الطين بلة، فكأنهم يقولون أن الله تعالى لم يكن يعرف أضرار الزواج المبكر حين بعث نبيه محمد ، وأنه غفل عن مساوئه، وأن علينا نحن عقلاء القرن الحادى والعشرين أن نصلح الخطأ الذى ارتكبه الله منذ أربعة عشر قرنا!** يا لها من وقاحة!

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

240) ورد في كتاب الأقدس: (لا تحلقوا رؤسكم قد زيّنها الله بالشعر وفي ذلك لآيات لمن ينظر الى مقتضيات الطبيعة من لدن مالك البريّة انّه لهو العزيز الحكيم ولا ينبغي أن يتجاوز عن حدّ الاذان هذا ما حكم به مولى العالمين).
كتاب الأقدس (الكتاب المقدس للبهائية). آية 44 ، صفحة 26 . الكتاب متاح إلكترونيا على موقع الجامعة البهائية العالمية. مكتبة المراجع البهائية
https://reference.bahai.org/ar/t/b/KA/download.html
241) **كتاب الأقدس:** ملحق بكتاب الأقدس. صفحة 157.

إن لم يتزوج المراهقون فمن يتزوج؟

يصاب المرء بالجنون من تلك القوانين التي تحرم الزواج المبكر. ما هذه الحماقة؟ **إن فترة المراهقة تمثل قمة الشوق للجنس الآخر**. وكلمة " المراهقة" في ذاتها توحى على الفور بجنون الغريزة وفورة الشباب. في هذه الفترة يكون الشاب كالثور الهائج ، الذي لا يقدر أحد على أن يرده. والحل الطبيعي أن نبحث عن وسيلة حكيمة لإشباع غريزته. وأفضل وسيلة لإشباع الغريزة هي الزواج ، أما ترك المراهقين يشبعون غرائزهم بالأفلام الإباحية والزنا، فهي كارثة ، إن تركناها تحدث بيننا فهي وصمة عار على جبيننا.

كلنا مررنا بمرحلة المراهقة، **وكلنا نعرف العذاب الذي يحس به المراهق**. لقد كان بعض زملائنا في السنة الأولى من المرحلة الإعدادية (في عمر 13 عاما) يعدون الأيام انتظارا لليوم الذي يتزوجون فيه ، وكان بعضهم يحسمون أمرهم ، ويذهبون إلى الحقول للقاء الفتيات في الحرام. فهل نترك هؤلاء بلا زواج ، مع العلم أن الشعب المصري في ذلك الوقت (نهاية الثمانينات من القرن العشرين) كان في ذروة التدين والأخلاق قبل الحملة المنظمة لتصفية الحركات الإسلامية ، فما بالك بما يحدث هذه الأيام؟

إن قمة العبث أن نحرم المراهق من الزواج إلا بعد أن يكبر، وتكون حدة الشهوة عنده قد انكسرت نسبيا. إن لم تعط المريض الدواء وهو في ذروة الألم ، فأنت إما مجنون أو شرير.

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ملكيون أكثر من الملك!

تعالوا معنا إلى مفهوم المراهقة. إن سن المراهقة باختصار هو السن الذي يوَدِّع فيه الطفل طفولته. **المراهق يحاول دائما التمرد على الطفولة ، وينكر أنه لا يزال صغيرا ، ويسعي بشتي السبل إلى تقليد الكبار في كل شيء.** المراهق ينظر إلى الطفولة على أنها عار لا يشرفه ، وما ثورة المراهق على سلطة الأسرة إلا دليل على أنه يحاول إثبات أنه لم يعد طفلا. هذه هي المراهقة. حقا المراهقة مرحلة وسطى بين الطفولة والكبر، ولكنها أقرب بكثير للكبر منها للطفولة. **وإن أردت أن تلخص مرحلة المراهقة في جملة واحدة لما كنت مخطئا إن قلت أنها "مرحلة عداء مع الطفولة".**

وطبعا لا ينام الطفل في المساء، ثم يستيقظ ليجد لنفسه كارها لطفولته ، ومعتبرا نفسه رجلا بالغا. المراهقة تحدث بالتدريج ، لكنه ليس تدرجا بطيئا جدا. أذكر أن سن البلوغ بدأ عندي وعند أغلب زملائي ونحن في الصف الأول الإعدادي. وأذكر أن هذه كانت آخر سنة استمعت فيها إلى برنامج الأطفال "غنوة وحدوتة" لأبلة فضيلة في الإذاعة. لقد كنت أحكي لزملائي عن حكايات أبلة فضيلة كل يوم في طريق عودتنا من المدرسة ، وكانوا يسمعونها بشغف. لكن بعد عام واحد من وصولي لسن البلوغ فقدت اهتمامي بهذا البرنامج أنا وزملائي ، وأصبحنا نحاول التصرف كالكبار في كل شيء. وهذا يعنى أن الانتقال من الطفولة إلى الكبر مرَّ عبر مرحلة انتقالية امتدت لعام واحد. وبمتابعة أطفال كثيرين فيما بعد وجدت أن هذه المرحلة الانتقالية لا تستغرق أكثر من عام أو عامين، وهذا يعرف مثلا حين تجد الواحد منهم ينصرف عن أفلام الكرتون، ويفضل عليها أفلام الكبار بعد أن كان في الماضي يكرهها تماما.

وإن اعتبرتم أن المرحلة الانتقالية أطول قليلا (4 سنوات مثلا)، ورأيتم أن تجعلوا سن الزواج مثلا 14 عاما ، فسيكون هذا مؤشرا على وجود شيء من حسن النية لديكم ، لكن إصراركم على اتباع توصيات المنظمات الدولية ، ومنع الزواج حتى سن 18 عاما أمر مريب للغاية.

إن معاملة المراهقين على أنهم أطفال هو شيء غير واقعي على الإطلاق. كما أن المراهقين أنفسهم أشد أعداء الطفولة. من ينادون بتأخير الزواج ملكيون أكثر من الملك!

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

امنعها من الزواج، وافتح عينيها على الجنس

يا لهم من منافقين! إن هذا العالم الذى يذرف دموع التماسيح على طفولة البنات التي ضيعها الزواج المبكر هو نفسه الذى وصل بالثورة الجنسية إلى الأطفال.

لقد اغتالوا طفولة البنات حين جعلوا الطفلة في عمر خمس سنوات ترتدي أزياء مثيرة جنسيا من نفس الأنواع التي ترتديها البغايا. كما جعلوها تضع على وجهها نفس المساحيق ، وتستخدم نفس أدوات التجميل التي تستعملها النساء الكبار.

ويصاب المرء بالجنون حين يتابع قنوات فضائية ، يقال أنها قنوات أطفال ، فإذا بنا نشاهد فتيات في عمر 10 و 12 عاما، يغنين ، ويتمايلن ، ويرقصن ، ويتكلمن في خلاعة ، في محاولة فجة لتقليد المذيعات والمطربات والممثلات الكبار. كنت أصرخ: كيف تكون هذه قنوات أطفال؟

وفى بعض الأحيان كنا نشاهد إعلانات تجارية على الفضائيات ، تظهر فيها بنات في سن ثمان سنوات ، تقوم الواحدة منهن بتلميحات وإيماءات وحركات جنسية ، لا تخطؤها العين.

هذه هي الجرائم الحقيقية في حق الأطفال. **الاغتيال الحقيقي للطفولة أن تفتح عين الطفلة على عالم الجنس قبل أن تبلغ ، وليس أن تطالب بزواج مراهقة فُتحت عينها بالفعل على مسألة الجنس.**

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

هل هو حقا عالم فاضل ؟

تسمع الداعين إلى تأخير سن الزواج ، فتتخيل أنك أمام ملائكة ، تمشى على الأرض ، لكن الحقيقة أن هؤلاء أبعد ما يكونون عن الفضيلة. إن نفس هؤلاء الأشخاص والمنظمات يقودون العالم الحديث بخطى ثابتة نحو الانحلال والفجور. **لقد أصبح الزنا حقا أصيلا من حقوق الإنسان** ، ولم يعد من المقبول أبدا أن يدعو أحد إلى حرمان إنسان من ممارسة الفاحشة. **وأصبح العرى ظاهرة طبيعية ، نراها في كل الشوارع والمحال والمجلات** ، بل صارت تصاحبنا في غرف نومنا عبر الإنترنت والهواتف الذكية. كما ارتفعت أصوات الشواذ ، **وأمسى اللواط حقا من حقوق الإنسان** ، وبات زواج الرجل بالرجل وزواج المرأة بالمرأة أمرا تبيحه قوانين كثير من الدول، والضغوط الرهيبة مستمرة على بقية الدول لإباحته والترحيب به. ومؤخرا تعرض اللاعب السنغالي المسلم إدريسا غانا –لا عب فريق باريس سان جيرمان– لحملة شرسة في فرنسا لأنه رفض ارتداء قميص يحمل علم الشواذ ، وغاب عن مباراة فريقه أمام مونبلييه ، وذلك بعد أن ارتدى جميع أعضاء الفريق القميص في اليوم العالمي لمكافحة رهاب المثلية الجنسية ورهاب المتحولين جنسياً[242]. وقبلها بشهور قليلة تعرض اللاعب المصري محمد أبو تريكة لحملة عاتية بسبب هجومه على الشذوذ. **وفى المقابل يتم التشهير بالزواج المبكر ، وتنسب إليه كل الموبقات ، ويصور على أنه جريمة الجرائم في حق الإنسانية.** بالله عليكم: أيهما أقبح: الزنا والعري والشذوذ الجنسى أم زواج بنت ناضجة جنسيا في سن صغير كي تُكون أسرة ، وتربي أولادا؟

إننا لا يمكن أن نحترم أولئك الليبراليين الذين يقيمون الدنيا من أجل زواج فتاة صغيرة ، بحجة الخوف على صحتها ، مع أنهم لا ينبسون ببنت شفة حين يشاهدون مبارة في مصارعة الثيران، وهي تنتهى بوفاة دموية لشخص بريء ، أو يتابعون جولة من جولات المصارعة الحرة القذرة التي يتفنن فيها اللاعبون في تدمير أجساد بعضهم البعض. ولا أحد من هؤلاء الليبراليين يغضبه الانتشار الوبائي للمخدرات ، أو الإهمال الجسيم في المستشفيات ، أو الفساد الذي يترعرع على دماء الفقراء. أمثل هؤلاء يُسمع لهم؟

---

242) **رفض مباراة بسبب المثليين.. من هو اللاعب السنغالى إدريسا غانا؟** تحقيق كتبته ريم محمود. صحيفة الدستور. 19 مايو 2022م.

وفي بلاد المسلمين يذرف أنصار المرأة أنهارا من الدموع على زواج البنات الصغيرات، ولكن لما حُكم يوما على فتيات أعمارهن أقل من 15 عاما بالسجن لمدة 11 عاما بسبب تظاهرهن سلميا ضد بعض الحكومات لم ينتفض أنصار المرأة ، بل بالعكس استمروا في تأييدهم المطلق للحكومة التي سجنتهم ، بحجة أنها حكومة مستنيرة ، تناصر قضايا المرأة ، وتحارب الظلام والتخلف. فهل تزويج الفتاة قبل 18 عاما حرام ، بينما سجنها مع اللصوص دون ذنب حلال؟

يا إخواني المسألة في غاية البساطة: **حين تأتيك النصيحة من عدوك ، ففكر ألف مرة ، إذ ما الذي جعله فجأة حريصا على مصلحتك؟** والمثل المصري يقول: "الحدأة لا تلقي بالكتاكيت". **والدعوة لتأخير سن الزواج تأتينا من دول لم تثبت يوما أنها تحبنا ، ولم تناصر أبدا قضايانا ، فكيف تؤخذ النصيحة من هؤلاء؟ وكيف نسمع لهم ، ونصم الآذان عن كتاب الله وسنة رسوله؟ ما هذا الخبل؟**

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

منع زواج الصغار ثم منع زواج الكبار

أقسم لكن أن هدف المنظمات الدولية وعملائها المنتشرين في بلادنا ليس رفع سن الزواج. الهدف الحقيقي هو إلغاء نظام الزواج نفسه. وأنا لا أبالغ. ففي تقرير للأمم المتحدة بعنوان "صبا ، لا أمومة "[243] Girlhood, not motherhood توجد صورة لفتاة من الهند عمرها 17 عاما ، عليها كل علامات الأنوثة. تكلمت الفتاة كما لو كانت ضحية ، فقد أراد أهلها تزويجها ، فرفضت لأنها تريد أن تتعلم ، وتصبح "شيئا" حسب تعبيرها. تعجبت فعلا. ماذا تنتظر فتاة كاملة الأنوثة كي تتزوج؟ ترى هل خطيبها لا يعجبها؟ لو كان الأمر كذلك فهذا حقها ، لكن الأمم المتحدة تريد منع الزواج في هذا السن بشكل مطلق سواء أحبت الفتاة من جاء يخطبها أم كرهته.

إن **من الأفكار المعروفة للحركة النسائية محاربتها للزواج**. وهذا شيء يعرفه المتخصصون جيدا، لكنه لا يقال في وسائل الإعلام حرصا على سمعة الحركة. إن غلاة الحركة النسائية يرون أن نظام الزواج يمثل قهرا للمرأة ، ويوقعها تحت سلطة الرجل الغاشمة ، ولا سبيل للتحرر من الرجل في نظرهم إلا بأن تحيا المرأة حياة مستقلة ؛ **تحيا لنفسها بنفسها**. يجب أن **تكون المرأة في نظرهم هي هدف نفسها**، أي تعمل كي تحقق ذاتها ، وتعلى شأنها ، وتحقق مكانة رفيعة في المجتمع ، وتنسى تماما ما يقال عن تضحية المرأة من أجل أسرتها. إنهم لا يريدون من المرأة أن تضحى من أجل أولادها ، ولا من أجل زوجها ، ولا من أجل وطنها. **إن إنجاب الأطفال يمثل خدمة للوطن ككل ، ولكن حتى هذه الخدمة الوطنية يحرضون المرأة على التهرب منها** ، ولهذا بحت أصوات الحكومات في أوربا وروسيا لإقناع النساء بالإنجاب ، ولكن لا حياة لمن تنادي، فالمرأة مستمرة على طريقها بثبات أحمق ، حتى صارت هذه الشعوب مهددة بالانقراض.

إن المنطق يقول أن **الجماعة إن احتاجت من الفرد أن يضحى فعلى الفرد ألا يتردد ، وإلا أصبح في عداد الخائنين، ولكن العجيب أنه لا أحد في العالم يجرؤ على اتهام المرأة المعاصرة بالخيانة مع أن التهمة مثبتة بالصوت والصورة والقلم.**

243) **Girlhood, not motherhood: Preventing adolescent pregnancy.** Published by the United Nations Population Fund UNFPA, New York Prepared for UNFPA by: Robert W. Blum and William H. Gates, Sr. 2015.

يجب أن نفهم جيدا كيف يفكر أعداء الدين. **إنهم لو طالبوا بمنع الزواج مرة واحدة لما استمع إليهم أحد. أما إذا منعوا زواج الفتيات قبل 18 عاما، ونجحوا في تغيير وعي البشرية لعدة سنوات، فسيكون من السهل عليهم في الخطوة التالية أن يطالبوا بمنع كل الناس من الزواج.** وأؤكد لكم أنهم سيستخدمون نفس المبررات ، من قبيل الحرص على مستقبل المرأة وتعليمها ومشاركتها في الحياة العامة. وهذه هي المبررات الظاهرة ، لكن الحقيقة شيء آخر.

الحقيقة أن إبليس وأتباعه (الماسون واليهود) الذين يحكمون العالم يريدون أن ترتد البشرية إلى حالة الحيوانية ، أي حالة الفوضى الجنسية الكاملة ، فيصبح من حق أي إنسان أن يجامع أي إنسان يشاء في أي وقت يشاء ، وأي مكان يشاء. الحيوانات تفعل ذلك. وهذا حرفيا هو ما يبغونه للإنسان. وبهذا الشكل يكون إبليس قد حقق الانتقام الكامل من آدم وذريته.

لقد كرم الله بني آدم ، ورفع قدرهم على كل المخلوقات التي تدب على الأرض ، ولكن ها هو إبليس قد جعلهم يحيون طواعية حياة القرود والوحوش ، التي لا تعرف كيف تنظم شهواتها أو تضبط رغباتها. وهذا ملخص ما تفعله المنظمات الدولية والحركات النسائية ، التي اتخذت لنفسها شعارا غير معلن هو: "عش حيوانا أيها الإنسان".

والآن يمكننا أن نفهم سر هذه الأخبار الغريبة التي أتتنا مؤخرا من الدول الأجنبية. فقد تناقلت وسائل الإعلام حكاية رجل ياباني يعيش بين الناس بهيئة تشبه الكلب تماما! يقول الخبر:

« تمكن رجل يابانى كان يريد دائما أن يعيش كحيوان، من تحقيق حلمه بفضل زى كلب احترافى صنعته شركة متخصصة فى المؤثرات الخاصة، فدائما ما كان "توكو" يفكر فى الأمر، وقرر مؤخرا متابعة حلمه، فاتصل بورشة المؤثرات الخاصة Zeppet وطلب منهم صنع **زى كلب واقعى للغاية يخفى هيكله البشرى** ويسمح له بعيش خياله، وبحسب ما ورد دفع حوالى مليوني ين (15000 دولار) مقابل ذلك ، لكن النتيجة النهائية كانت مبهرة. ومنذ حوالى شهر ، قدم "توكو" شخصيته البديلة للكلاب إلى العالم على موقع التواصل الاجتماعى" تويتر " ودشن قناة على موقع "يوتيوب" جديدة تماما، معلناً أنه يريد مشاركة رحلته مع العالم فى حياته ككلب، و فعل كل ذلك بينما كان **يرتدي زي كلب الكولى الخام عالى الجودة** الذى ادعى الناس فى Zeppet أنه صعب للغاية، ويختلف تشريح الكلاب كثيراً عن تشريح الإنسان، لذلك **كان عليهم العمل بجد لجعل توكو يبدو وكأنه كلب حقيقى،** بحسب oddity central. وقال المتحدث الرسمي باسم

شركة أو ورشة Zeppet، "استخدمنا صوراً لأشكال الكولى التى تم التقاطها من زوايا مختلفة، وعززنا قوام المعطف لإخفاء قشرة الزى بقدر الإمكان، وجعلنا الفم يفتح ويغلق من تلقاء نفسه.. وفى الوقت الحاضر ، العملاء الرئيسيون لشركتنا وهم شركات الأفلام والإعلان، تمثل الطلبات الفردية حوالى 10٪ من الإجمالى". ويقال إن الكولى الخام الواقعى للغاية صُنع يدويا باستخدام الفراء الصناعى واستغرق إكمالها 40 يوما. وانتشرت قصة "تاكو" غير العادية فى اليابان فى أواخر الشهر الماضى، وظهر ككلب فى البرامج التلفزيونية الوطنية، وكانت التعليقات غير متحمسة للفكرة الجديدة، حيث يكافح بعض الأشخاص لفهم رغبته في العيش ككلب، بينما قال آخرون إنه طالما لا يؤذى أى شخص، فإن يفعله هو عمله وحده»[244].

وليس لدي شك في أن هذا الرجل الكلب ينفذ خطة صممها الشيطان –من خلال اليهود والماسون– لجعل البشر ينزلون باختيارهم من على عرش خلافة الأرض الذي أجلسهم الله عليه، مفضلين العيش كحيوانات وضيعة. إبليس يريد أن يذل الإنسان ، ويجعله أضحوكة ، فينتقم منه شر انتقام ، وكأنه يقول لله في صلف: (هذا هو الإنسان الذي أمرتني يوما بالسجود إليه! لقد حولته بذكائي إلى كلب لا يساوي شيئا!) .

هذا هو إبليس ، وهؤلاء هم جنوده ، فماذا نحن فاعلون؟

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

---

244) **يابانى يحقق حلمه بالعيش ككلب في زى صنعته شركة متخصصة في ملابس الحيوانات.** بقلم خالد إبراهيم. صحيفة اليوم السابع. 26 مايو 2022

تسقط المنظمات الدولية

فى السنوات الأخيرة ارتفع سن الزواج في أغلب دول العالم ليصبح في المتوسط 16 عاما بالنسبة للإناث و17 عاما للذكور. لكنه لا يزال في بعض البلاد 14 عاما أو حتى 12 عاما. وفى بلاد أخرى كالصين يتم تأخير سن الزواج إلى 20 عاما للإناث و22 عاما للذكور بهدف تقليل عدد الأطفال في كل أسرة. وبشكل عام فإن الاتجاه العالمي هو رفع سن الزواج كما حدث في السنوات الأخيرة حين رفعت إسبانيا سن الزواج من 14 إلى 16 عاما أسوة ببقية بلاد الاتحاد الأوربي [245،246]. والهدف الذي تسعى المواثيق الدولية (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وميثاق حقوق الطفل وميثاق إزالة كل أشكال التمييز ضد المرأة)[247] إلى فرضه على كل حكومات العالم هو **جعل الحد الأدنى لسن زواج كل من الإناث والذكور هو 18 عاما مع رفض أي استثناءات من قبيل موافقة الأبوين أو الحصول على حكم قضائي**. وهذا الهدف يتم تحقيقه بخطى ثابتة عاما بعد عام[248].

إننا نعبد الله ، ولا نعبد الأمم المتحدة. لتذهب المواثيق الدولية إلى الجحيم ، فالمسلمون لا يضعون أيديهم في أيدي الزناة والشواذ والسكارى. لننسحب فورا من هذه المنظمات والمواثيق، فأي فائدة جنينا من ورائها؟ بم نفعتنا الأمم المتحدة واليونيسيف ومجلس الأمن؟ إنهم أشبه ببلطجي، صوب سلاحه نحو رءوسنا ، فركعنا أمامه ، فأخذ يصدر القرارات ، ويبث الإملاءات ، ويوجه الإنذارات، ونحن لا نفعل شيئا غير السمع والطاعة بمنتهى الإخلاص.

هناك نوع من البشر يستسيغ الخنوع. هذا شأنهم. لكن حين تمتد الأيدي إلى شريعة الله لتعبث بها، فلا بد من وقفة حاسمة لأن المسألة خرجت عن نطاق الخلاف الشخصي. لنقل لهم: لا شأن لكم

245) **World minimum marriage age: Chart shows the lowest age you can legally get married around the world**. By Caroline Mortimer. 2015; https://www.independent.co.uk/news/world/lowest-age-you-can-legally-get-married-around-world-10415517.html . Accessed October 19, 2021

246) **Legal age for marriage.** United Nations Data Retrieval Systems. http://data.un.org/documentdata.aspx?id=336; accessed October 19, 2021.

247) The Universal Declaration of Human Rights, the Convention on the Rights of the Child (CRC), and the Convention on the Elimination of All Forms of Discrimination against Women (CEDAW).

248) **Arthur M, Earle A, Raub A, Vincent I, Atabay E, Latz I, Kranz G, Nandi A, Heymann J.** Child Marriage Laws around the World: Minimum Marriage Age, Legal Exceptions, and Gender Disparities. J Women Polit Policy. 2017;39(1):51-74.

بنا ، لا نريد مساعدتكم ، ولا نسعى لاعترافكم ، ولا يشرفنا أن نضع أيدينا في أيديكم ، فأنتم جنود إبليس، وصبية اليهود. والمسلم لا يركع للشيطان ، ولا يستسلم لليهود.

{وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا} [النساء: 141]

نسأل الله العزة للإسلام والمسلمين في الدنيا والآخرة. والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

تم الكتاب بحمد الله

أغسطس 2022- محرم 1444 هـ

المراجع

المراجع العربية

1. **البداية والنهاية**. تأليف أبو الفداء بن كثير. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1997 م. سنة النشر: 1424هـ- 2003م.

2. **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان**. مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان. ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان، علاء الدين الفارسي. مؤلف التعليقات الحسان: محمد ناصر الدين الألباني. دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م

3. **التنوير شرح الجامع الصغير**. تأليف محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني. تحقيق د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم. مكتبة دار السلام، الرياض. الطبعة الأولى، 1432 هـ- 2011 م.

4. **إحياء علوم الدين**. تأليف أبو حامد الغزالي. دار المعرفة – بيروت

5. **إرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني**. المؤلف: أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري. قدم له: د سعد بن عبد الله الحميد. راجعه ولخص أحكامه وقدم له: أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني المأربي. دار الكيان – الرياض، مكتبة ابن تيمية – الإمارات.

6. **إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**. تأليف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل. تحقيق الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر. الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م

7. **الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة**. تأليف زين الدين قاسم بن قُطْلُوْبَغَا. دراسة وتحقيق شادي بن محمد بن سالم آل نعمان. مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء، اليمن. الطبعة الأولى، 1432 هـ - 2011 م

8. **الرّوض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم**. تأليف أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري. قدم له: فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سعد بن عبد الله الحميد، فضيلة الشيخ الدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل. قدم له وراجعه ولخص أحكامه: فضيلة الشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني. دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية. الطبعة الأولى، 1432 هـ - 2011 م

9. **المستدرك على الصحيحين**. تأليف: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. يشمل الكتاب تضمينات الإمام الذهبي فى التلخيص والميزان والعراقي فى أماليه والمناوي فى فيض القدير وغيرهم من العلماء الأجلاء. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى، 1411 – 1990

10. **المغازي**. تأليف محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي . تحقيق: مارسدن جونس. دار الأعلمي – بيروت. الطبعة الثالثة – 1409/1989.

11. **الإصابة في تمييز الصحابة**". تأليف ابن حجر العسقلاني. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى – 1415 هـ.

12. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**". تأليف محمد بن حبان بن أحمد بن حبان. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الأولى، 1408 هـ – 1988 م.

13. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. تأليف يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري. تحقيق علي محمد البجاوي. دار الجيل، بيروت. الطبعة الأولى، 1412 هـ – 1992 م

14. **الإعصار الديموغرافي يعصف بأوكرانيا**. بقلم سامي عمارة. إندبندنت عربية. 5 مايو 2022. تم الدخول للموقع يوم 2 أغسطس 2022. https://www.independentarabia.com

15. **أسد الغابة**. تأليف عز الدين ابن الأثير. دار الفكر – بيروت. 1409هـ – 1989م

16. **الحرب في أوكرانيا**: كيف يمكن أن يؤدي الصراع إلى تفاقم الأزمة السكانية في روسيا؟ بقلم بابلو أونتشوا. موقع بى بى سي نيوز. 20 أبريل 2022. https://www.bbc.com/arabic/world-61149151

17. **الموطأ**. تأليف الإمام مالك بن أنس المدني. المحقق: محمد مصطفى الأعظمي. الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات. الطبعة الأولى، 1425 هـ – 2004 م

18. **الطبقات الكبرى**. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد البغدادي المعروف بابن سعد. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، 1410 هـ – 1990 م.

19. **المعجم الكبير**. تأليف أبو القاسم الطبراني. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. الطبعة الثانية. مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

20.**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. تأليف محيى الدين يحيى بن شرف النووى. دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة الثانية، 1392 هجرية.

21.**القاموس المحيط**. تأليف مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادى. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. الطبعة الثامنة، 1426 هـ – 2005 م

22.**الوسيط في علوم ومصطلح الحديث**. تأليف محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة. دار الفكر العربي. 1982م ، 1403 هجرية.

23. الكامل في التاريخ. تأليف عز الدين ابن الأثير. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، 1417هـ / 1997م

24.**التفسير البسيط**. تأليف أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي. المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه. الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة الأولى، 1430 هـ

25.**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. تأليف أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين – بيروت. الطبعة الرابعة 1407 هـ – 1987 م.

26.**المحلى بالآثار**. تأليف أبو محمد علي بن حزم الظاهري. دار الفكر – بيروت. بدون طبعة ، وبدون تاريخ.

27.**اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر**. تأليف زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي. تحقيق المرتضي الزين أحمد. مكتبة الرشد – الرياض. الطبعة الأولى، 1999م.

28.**احترس.. "أفلام الكارتون" فيها سم قاتل.. تقرير عالمى يكشف: "سبونج بوب" ينشر الشذوذ الجنسى.. وقائمة تضم برامج أطفال. وشخصيات كارتونية تدعم حقوق المثليين.. وخبراء للآباء: لا تتركوا أولادكم للتلفزيون**. تقرير كتبه حسن مجدي. صحيفة اليوم السابع. 21 يوليو 2014م. تم الدخول على الموقع يوم 25 يونيو 2022م.

29. بعد 44 عاما على رحيل عبد الحليم حافظ.. الكشف عن الفتاة التي انتحرت حزنا عليه. بقلم خير راغب. صحيفة المصري اليوم ، 1-4-2021. وخبر الانتحار نشر أصلا في صحيفة الأهرام المصرية بتاريخ 1 أبريل 1977م.

30. **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**. المؤلف: شمس الدين الذهبي. تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى، 2003 م

31. **تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري**. تأليف محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري. (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي). دار التراث – بيروت. الطبعة الثانية – 1387 هـ

32. **تاريخ أسماء الثقات**. تأليف عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين .تحقيق صبحي السامرائي. الدار السلفية – الكويت. الطبعة الأولى، 1404 – 1984

33. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**. تأليف: يوسف بن عبد الرحمن الْمِزِّيّ. تحقيق: د. بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة – بيروت. الطبعة الأولى، 1400 – 1980

34. **تهذيب التهذيب**. تأليف ابن حجر العسقلاني. الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند. الطبعة الطبعة الأولى، 1326هـ.

35. **تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**. تأليف فخر الدين الرازي. دار إحياء التراث العربي– بيروت– الطبعة الثالثة– 1420 هجرية.

36. **تاريخ دمشق**. تأليف أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر. المحقق: عمرو بن غرامة العمروي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. 1415 هـ – 1995 م

37. **جمل من أنساب الأشراف**. تأليف أحمد بن يحيى بن جابر البَلَاذُري. تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي. الناشر: دار الفكر – بيروت. الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1996 م.

38. **دائرة المعارف الماسونية المصورة: صفحات جديدة في تاريخ الإنسانية**. تأليف حنا أبي راشد. منشورات مكتبة الفكر العربي ومطبعتها. الطبعة الأولى– بيروت– 1961م.

39. **رفض مباراة بسبب المثليين.. من هو اللاعب السنغالى إدريسا غانا؟** تحقيق كتبته ريم محمود. صحيفة الدستور. 19 مايو 2022م.

40. **زاد المعاد في هدي خير العباد**. تأليف ابن قيم الجوزية. مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. الطبعة السابعة والعشرون– 1415هـ /1994م

41. **زرع ثقافة المثلية الجنسية في أفلام الكرتون... والضحايا هم الأطفال**. تقرير كتبته فرح القادري. موقع سبوتنيك. 15 يونيو 2022. تم الدخول على الموقع يوم 25 يونيو 2022م.
https://arabic.sputniknews.com

42.**زواج النبى من عائشة وهى بنت 9 سنين كذبة كبيرة فى كتب الحديث**. مقال لإسلام البحيرى. موقع جريدة اليوم السابع. 16 أكتوبر 2008. تم الدخول على الموقع يوم 8 أكتوبر 2021.

43. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي). تأليف: محمد بن إسحاق بن يسار. تحقيق: سهيل زكار. دار الفكر – بيروت. الطبعة: الأولى 1398هـ /1978م

44.**سير أعلام النبلاء**. تأليف شمس الدين الذهبي. تحقيق محمد أيمن الشبراوي. دار الحديث– القاهرة. 1427هـ–2006م

45.**سنن أبي داود**. تأليف أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني. تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي. دار الرسالة العالمية. الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

46. سنن الترمذي. تأليف محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5). الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر. الطبعة الثانية، 1395 هـ– 1975 م

47. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن). تأليف شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي. تحقيق د. عبد الحميد هنداوي. مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض). الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م

48.**صحيح البخاري**. تأليف محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري. شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا الناشر: دار ابن كثير– دمشق– بيروت، ودار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع– دمشق. الطبعة الخامسة 1993م– 1414هجرية.

49.**صحيح مسلم**. تأليف الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

50."**صناعة الجوع**" **(خرافة الندرة)**. تأليف فرانسيس مور لابيه وجوزيف كولينز. ترجمة أحمد حسان. سلسلة "عالم المعرفة" ، عدد 64– من إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت– 1983م.

51.**فتح الباري شرح صحيح البخاري**. تأليف ابن حجر العسقلاني. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.

52. **فتوح البلدان**. تأليف أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري. دار ومكتبة الهلال– بيروت. 1988 م

53. **قذائف الحق**. تأليف محمد الغزالي. دار القلم، دمشق. الطبعة الأولى، 1411 هـ – 1991 م.

54. **فيديو.. البابا فرنسيس: تناقص أعداد المسيحيين في الشرق الأوسط ضرر جسيم**. بقلم هديل هلال. صحيفة الشروق. 7 مارس 2021م.

55. **قصة الحضارة**. تأليف وِيل ديورَانت. ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرون. مكتبة الأسرة– مصر – 2001م.

56. **كتاب الأقدس (الكتاب المقدس للبهائية)**. الكتاب متاح إلكترونيا على موقع الجامعة البهائية العالمية. مكتبة المراجع البهائية.https://reference.bahai.org/ar/t/b/KA/download.html

57. **كم عدد الأقباط في مصر**. بقلم حمدي رزق. صحيفة المصري اليوم. 4 أكتوبر 2017م. https://www.almasryalyoum.com/news/details/1200646

58. **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**. تأليف علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الشهير بالمتقي الهندي. تحقيق بكري حياني – صفوة السقا. مؤسسة الرسالة. الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م

59. **لسان الميزان**. تأليف ابن حجر العسقلاني. المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند. الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان. الطبعة الثانية، 1390هـ /1971م

60. **لسان العرب**. تأليف جمال الدين ابن منظور. الطبعة الثالثة. دار صادر – بيروت، 1414 هـ.

61. **محمد صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى**. تأليف توماس كارلَيل. تعريب محمد السباعي. الطبعة الثانية– مكتبة الآداب. القاهرة. 1993م–1413هجرية.

62. **معرفة الصحابة لأبي نعيم**. تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران الأصبهاني. تحقيق عادل بن يوسف العزازي. دار الوطن للنشر – الرياض. الطبعة : الأولى 1419 هـ – 1998 م

63. **معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)**. تأليف عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح. تحقيقعبد اللطيف الهميم – ماهر ياسين الفحل. دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى. 1423 هـ / 2002 م.

64. **من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة.** تأليف دكتور محمد سعيد المكاوي. الناشر: منصة أمازون للكتب الرقمية. رقم أمازون (B0B4DVM942). والكتاب متاح للتحميل مجانا من على موقع أرشيف وفله بوك ومكتبة نور.

65. **معجم اللغة العربية المعاصرة.** تأليف دكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل. الناشر: عالم الكتب. الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

66. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال.** تأليف شمس الدين الذهبي. تحقيق: علي محمد البجاوي. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، 1382 هـ - 1963 م.

67. **معرفة الصحابة لابن منده.** تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن مَنْدَه العبدي. حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري. الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة. الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005 م

68. "**مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم**". تأليف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. تحقيق عبد المعطي قلعجي. دار النشر: دار الوفاء – المنصورة. الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م

69. **مسند الإمام أحمد بن حنبل.** تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وعادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

70. **مسند الإمام أحمد بن حنبل.** تحقيق أحمد محمد شاكر. الناشر: دار الحديث – القاهرة. الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م

71. **نثل النبال بمعجم الرجال الذين ترجم لهم فضيلة الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني.** جمعه ورتبه: أبو عمرو أحمد بن عطية الوكيل. دار ابن عباس، مصر. الطبعة الأولى، 1433 هـ - 2012 م.

72. **هل معجزات الأنبياء مستحيلة.** تأليف دكتور محمد سعيد المكاوي. الناشر منصة أمازون للكتب الرقمية. أبريل 2020م رقم أمازون: ASIN: B087G1BFB9

73. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تأليف أبو العباس شمس الدين بن خلكان. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر – بيروت. 1994م.

74. **يابانى يحقق حلمه بالعيش ككلب في زى صنعته شركة متخصصة في ملابس الحيوانات.** مقال بقلم خالد إبراهيم. صحيفة اليوم السابع. 26 مايو 2022



1. **Abraham M, Alramadhan S, Iniguez C, et al**. A systematic review of maternal smoking during pregnancy and fetal measurements with meta-analysis. PLoS One. 2017;12(2):e0170946.

2. **American Academy of Pediatrics, Committee on Adolescence, American College of Obstetricians and Gynecologists, Committee on Adolescent Health Care**; Menstruation in Girls and Adolescents: Using the Menstrual Cycle as a Vital Sign. *Pediatrics* November 2006; 118 (5): 2245–2250. 10.1542/peds.2006-2481.

3. **Amjad S, MacDonald I, Chambers T, Osornio-Vargas A, Chandra S, Voaklander D, Ospina MB**. Social determinants of health and adverse maternal and birth outcomes in adolescent pregnancies: A systematic review and meta-analysis. Paediatr Perinat Epidemiol. 2019 Jan;33(1):88-99.

4. **An odd kind of piety: The truth about Gandhi's sex life**. https://www.independent.co.uk/arts-entertainment/books/features/thrill-of-the-chaste-the-truth-about-gandhi-s-sex-life-b1912595.html ; accessed October 13, 2021.

5. **Arthur M, Earle A, Raub A, Vincent I, Atabay E, Latz I, Kranz G, Nandi A, Heymann J.** Child Marriage Laws around the World: Minimum Marriage Age, Legal Exceptions, and Gender Disparities. J Women Polit Policy. 2017;39(1):51-74.

6. **Azevedo WF, Diniz MB, Fonseca ES, Azevedo LM, Evangelista CB**. Complications in adolescent pregnancy: systematic review of the literature. Einstein (Sao Paulo). 2015 Oct-Dec;13(4):618-26. doi: 10.1590/S1679-45082015RW3127.

7. **Babies having babies: A new mum aged NINE and the world's youngest mothers in medical history**. By Natalie Evans. 6 Feb 2013; https://www.mirror.co.uk/news/weird-news/worlds-youngest-mum-top-10-1589383. Accessed October 5, 2021.

8. **Ben Chong-Pun Chan, Terence Tsz-Hsi Lao.** Effect of parity and advanced maternal age on obstetric outcome. *International Journal of Gynecology and Obstetrics* (2008) 102, 237–241

9. **Birdsall N and Sinding SW,** How and why population matters: new findings, new issues, in: Birdsall N, Kelley AC and Sinding SW, 2001, op. cit.

10. **Birdsall N.** 1988 Economic approaches to population growth and development. In Handbook of development economics (eds H. B. Chenery & T. N. Srinivasan), pp. 478–536. Amsterdam, The Netherlands: Elsevier Publications. [Quoted from: **Steven W. Sinding.** Population, poverty and economic development. Phil. Trans. R. Soc. B (2009) 364, 3023–3030. doi:10.1098/rstb.2009.0145]

11. **Britannica, The Editors of Encyclopaedia**. "Margaret Beaufort". Encyclopedia Britannica, 25 Jun. 2022, https://www.britannica.com/biography/Margaret-Beaufort. Accessed 1 July 2022.

12. **Bullough VL**. History in adult human sexual behavior with children and adolescents in Western societies. Page 71. In: Feierman JR, ed. *Paedophilia: biosocial dimensions.* New York: Springer-Verlag. 1990:69-90.

13. **Contraception**. By Frances E Casey; Chief Editor: Richard Scott Lucidi. Last updated October 6, 2020. https://emedicine.medscape.com/article/258507-overview

14. **Cooper LG, Leland NL, Alexander G.** Effect of maternal age on birth outcomes among young adolescents. Soc Biol 1995;42:22_35.

15. **Corina Schoen, Todd Rosen.** Maternal and perinatal risks for women over 44—A review. *Maturitas* 64 (2009) 109–113.

16. **Denny L, Coles S, Blitz R.** Fetal Alconnhol Syndrome and Fetal Alcohol Spectrum Disorders. Am Fam Physician. 2017 Oct 15;96(8):515-522.

17. **Disorders of Pubertal Development**. By Luigi R. Garibaldi, Wassim Chemaitilly. Nelson Textbook of Pediatrics. (Editors: Robert M. Kliegman et al). Chapter 578. 21st edition. Elsevier.

18. **Dong Y, Zhang M, Wang Y, Li S, Guan X, Lyu W**. [Exploration of the process of prenatal screening and diagnosis for women with advanced maternal age based on results of 351 cases of fetal chromosomal abnormalities]. Zhonghua Yi Xue Yi Chuan Xue Za Zhi. 2019;36(6):538-542.

19. **Eros and the Jews from biblical Israel to contemporary America.** By David Biale. Chapter7. Page 153. Berkeley, etc., University of California Press, 1997**.**

20. **Five myths about the world's population.** By Nicholas Eberstadt. Washington Post. November 4, 2011. https://www.washingtonpost.com/opinions/five-myths-about-the-worlds-population/2011/10/26/gIQArjSWmM_story.html ; Accessed July 3, 2022.

21. **From Satya to Sadbhavana**. By Rekha Mohanty. Orissa Review. January 2011. https://web.archive.org/web/20160101071619/http://odisha.gov.in/e-magazine/Orissareview/2011/Jan/engpdf/46-50.pdf#page=58 . Accessed October 13, 2021.

22. **Girlhood, not motherhood: Preventing adolescent pregnancy.** Published by the United Nations Population Fund UNFPA, New York Prepared for UNFPA by: Robert W. Blum and William H. Gates, Sr. 2015.

23. **Harrison K, Manning R, McCartan K.** Multi-Disciplinary Definitions and Understandings of 'Paedophilia.' Social & Legal Studies. 2010;19(4):481-496.

24. **Jewish and non-Jewish population of Israel/Palestine (1517 – present).** www.Jewishvirtuallibrary.org

25. **Johnson DG, Lee RD, Birdsall N, et al.** Population Growth and Economic Development: Policy Questions. National Research Council 1986. Washington, DC: The National Academies Press. https://doi.org/10.17226/620.

26. **Jomepour, Rahele,** "Women in Iran: ancient history to modern times, and back" (2015). Page 9. Graduate Theses and Dissertations. 14396. https://lib.dr.iastate.edu/etd/14396

27. **Lean SC, Derricott H, Jones RL, Heazell AEP**. Advanced maternal age and adverse pregnancy outcomes: A systematic review and meta-analysis. PLoS One. 2017 Oct 17;12(10):e0186287.

28. **Legal age for marriage.** United Nations Data Retrieval Systems. http://data.un.org/documentdata.aspx?id=336; accessed October 19, 2021.

29. **Leland NL, Petersen DJ, Braddock M, Alexander GR**. Variations in pregnancy outcomes by race among 10_14-year-old mothers in the United States. Pub Health Rep 1995;110:53_58.

30. **Low literacy levels among U.S. adults could be costing the economy $2.2 trillion a year.** By Michael T. Nietzel. *Forbes*. September 9, 2020. https://www.forbes.com/sites/michaeltnietzel/2020/09/09/low-literacy-levels-among-us-adults-could-be-costing-the-economy-22-trillion-a-year/?sh=512b8cfd4c90 ; accessed June 23, 2022.

31. **Mrinalini Devi (Raichoudhuri), 1872-1902; Rabindranath's wife.** The Scottish Centre of Tagore Studies. https://scotstagore.org/mrinalini-devi-raichoudhuri-1872-1902-rabindranaths-wife-by-christine-kupfer/ ; accessed October 6, 2021.

32. **Paedophilia: A review of the evidence.By Nathaniel McConaghy**. Australian and New Zealand Journal of Psychiatry; 32 (2): 252-265. Published online: 06 Jul 2009

33. **Pedophilic disorders.** Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders, Fifth edition (DSM-V). Page 697-700. American Psychiatric Publishing. Washington DC. Copyright © 2013 American Psychiatric Association

34. **Perrotta G (2020) Pedophilia: definition, classifications, criminological and neurobiological profiles, and clinical treatments. A complete review.** Open J Pediatr Child Health 5(1): 019-026.

35. **Pinheiro RL, Areia AL, Mota Pinto A, Donato H.** Advanced Maternal Age: Adverse Outcomes of Pregnancy, A Meta-Analysis. Acta Med Port. 2019 Mar 29;32(3):219-226.

36. **Rabindranath Tagore's wife Mrinalini Devi's life to come alive on small screen.** Last Updated: Apr 20, 2015. https://economictimes.indiatimes.com/magazines/panache/rabindranath-tagores-wife-mrinalini-devis-life-to-come-alive-on-small-screen/articleshow/46985469.cms?from=mdr; accessed October 6, 2021.

37. **Rosegrant MW, Paisner MS, Meijer S, Witcover J.** 2020 Global Food Outlook: trends, alternatives, and choices (A 2020 vision for food, agriculture, and the environment initiative). International Food Policy Research Institute. Washington,D.C. August 2001

38. **Rosenfield RL**. Clinical review: Adolescent anovulation: maturational mechanisms and implications. J Clin Endocrinol Metab. 2013 Sep;98(9):3572-83. doi: 10.1210/jc.2013-1770.

39. **Routray, Bibhu Prasad**. "Kasturba Gandhi". Encyclopedia Britannica, 7 Apr. 2021, https://www.britannica.com/biography/Kasturba-Gandhi. Accessed 13 October 2021. Accessed October 13, 2021.

40. **Roy F. Baumeister, Kathleen R.Catanese, and Kathleen D. Vohs.** Is there a gender difference in strength of sex drive? Theoretical views, conceptual distinctions, and a review of relevant evidence. *Personality and Social Psycheology Review*. 2001; 5 (3): 242-273.

41. **Steven W. Sinding.** Population, poverty and economic development. Phil. Trans. R. Soc. B (2009) 364, 3023–3030. doi:10.1098/rstb.2009.0145

42. **T'sang-T'ang Hsieh, Jui-Der Liou, Jenn-Jeih Hsu, Liang-Ming Lo, Szu-Fu Chen, Tai-Ho Hung**. Advanced maternal age and adverse perinatal outcomes in an Asian population. *European Journal of Obstetrics & Gynecology and Reproductive Biology* 148 (2010) 21–26.

43. **Temmerman M, Verstraelen H, Martens G, Bekaert A.** Delayed childbearing and maternal mortality. *Eur J Obstet Gynecol Reprod Biol*. 2004 May 10;114(1):19-22.

44. **Thayer BA.** Considering population and war: a critical and neglected aspect of conflict studies. Philos Trans R Soc Lond B Biol Sci. 2009 Oct 27;364(1532):3081-92.

45. **The United Nations global campaign against homophobia and transphobia**. https://www.unfe.org/about-2/

46. **Thomas W. Merrick.** Population and Poverty: New Views on an Old Controversy. International Family Planning Perspectives. 2002; 28 (1): 41-46.

47. **World minimum marriage age: Chart shows the lowest age you can legally get married around the world**. By Caroline Mortimer. 2015; https://www.independent.co.uk/news/world/lowest-age-you-can-legally-get-married-around-world-10415517.html . Accessed October 19, 2021

كتب للمؤلف

1- هل أهان الإسلام الرقيق؟ نظرات جديدة في قضية قديمة
2- هل معجزات الأنبياء مستحيلة؟
3- أكذوبة الملحد الطيب: إثبات فساد الأخلاق في غياب الدين
4- ما بعد الحداثة تجتاح ديار الإسلام
5- لماذا آمنتُ بالآخرة؟
6- من يحكم الأسرة في الإسلام: الرجل أم المرأة؟